

بوالأعلى اليهودوي

الحجاب

دار الفكرية

نعويـب
محمد فاطمـه السـاوي

سـطـوق الطـبع مـنـوطـة لـمـؤلفـه
الطـبـعة الثـانـيـة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا السلام على كل هاد إلى سبيله .

وبعد ، فهذا كتاب ألفت قبل عشرين سنة تقريباً شرحاً لهدى الإسلام ونظامه لما بين الرجل والمرأة من العلاقة في الحياة الاجتماعية وتقنيدها لما قد راجع بين المسلمين في هذا العصر من الآراء الباطلة والمبادئ الخبيثة والمناهج الموبقة في هذا الباب مما كاد منهم لحضارة الغرب ومدنيته الزائفة .

قد مضى على تألفي لهذا الكتاب عشرون سنة ، كما قلت آنفاً ، واني جدد متأسف أن ما أنهال عليّ في هذه المدة من الأعمال المهمة المتنوعة لم يترك لي المجال ، على رغم ودي ، لأراجع النظر في هذا الكتاب وأكمله بمعنى أن أضم إليه ما جدد خلال السنوات الأخيرة من المعلومات عن أحوال الغرب وما جرى به وطاسة ما يملق منها بشؤون المرأة ، حتى يأتي اليوم

في طبعته العربية وإني ألقصود التام وسارداً للوقائع والامثلة متسلسلة من
الاول إلى هذه الساعة . بيد أنه إذ لافرق - من حيث البدأ على الأقل -
بين مايفت في هذا الكتاب من الاسس والمنهاج لحياة الترية وبين
الاسس والمنهاج التي تجري فيها اليوم ، وهي بذاتها سوى أن قد نجلى
للدنيا اليوم من نتائجها الوخيمة وثمراتها المسمومة ما كان خافياً على بعض
الناس إلى الامس ، وأرجو أن يستطيع كل من له إلمام بأحوال الغرب
والاطلاع على شؤون المرأة فيه ، إذا تابع البحث على نحو مأسقته في هذا
الكتاب ، أن يستكمل الكتاب ويجعله متناولاً للموضوع إلى هذه الساعة
بمعلوماته نفسه .

على أني قد تناولت هذا الموضوع نفسه - موضوع الحياة الاجتماعية -
في تفسيري لسورة النور ، فعلى من أراد التفصيل المزيد لأحكام التريبة
الاسلامية وتعاليمها في باب الحياة الاجتماعية ، أن يراجع ذلك التفسير ،
فانه عسى أن يجد فيه من تفصيلها ما قد لا يجده في هذا الكتاب ، وإني
على ثقة من أنه إذا قرأ هذين الكتابين معاً ، فانه قلما يحتاج إلى كتابه
آخر لمعرفة أحكام التريبة وتعاليمها في الحياة الاجتماعية .



الحقيقة أني كنت منذ عدة سنوات ماضية أتمنى لو نقل إلى اللغة
العربية كتاباتي « الحجاب » و « تفسير سورة النور » ، حتى أتسكن بهما

من إللاغ رسائي لإخواني أبناء البلاد العربية ، وذلك أني كنت أشعر
 بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد علينا من مصر وغيرها من البلاد
 العربية بأن المرأة في البلاد العربية قد بلغت من اعتدائها لحدود الحرية
 وانسياقها وراء تيار الحضارة الجديدة درجة ربما لم تبلغها المرأة حتى في
 بلادنا نحن ، فكنت لذلك أبعد في نفسي من القلق والاضطراب ما
 قد طالما أقص علي من معنيجي وأجرى القموص من عيني . ثم أنه لما قدّر
 لي قبل عامين ونصف زيارة بعض البلاد العربية وهناك شاهدت بعيني
 ما بلغته حقاً تبذل المرأة العربية المسلمة وتجهض بالمرء والفننة وشدة
 ولوعها بالتفاه آثار أختها الغربية ، ازدادت قلقاً واضطراباً أكثر من
 ذي قبل .



أنا ، مسلمي باكستان ، الهند ، ما زلنا نوزح تحت نير الاستعمار
 البريطاني طيلة مدة ١٩٠ سنة متوالية (١) . في جانب اشتدت علينا وحالة
 الاستعمار وضغطه واضطهاده إلى هذا الحد ، وفي الجانب الآخر كان ،
 ولا يزال ، ٩٩٪ - ان لم تقل أكثر - من أفرادنا على جهل تام باللغة التي
 بها نزل القرآن والسنة ، وما لديهم من وسيلة للارتواء من منهلها المصافي بصفة
 مباشرة ، حتى ان الذين يمكن القول عنهم أن لهم نظرة في علوم القرآن

(١) بدأ استيلاء الانكليز علينا سنة ١٧٥٧ م ولم نحرر من سطقتهم
 السياسية إلا سنة ١٩٤٧ م .

والسنة ، لا يتمكنون من قراءة القرآن بلسنتهم وفيهم أحكام الرسول ﷺ
 بالغائله إلا بعد أن يتفقوا جزئاً غير يسير من سني حياتهم في تلك السنة
 الربية . ولكن بالرغم من هاتين الظاهرتين فإن حضارة أهل العرب
 ومدنيتهم لم تتفلت في بلادها ولم تؤثر في حياتنا مثل ما قد تفلتت في بلاد
 العرب وأثرت في حياتهم في مدة لا تتعد تذكر بالنسبة لامتداد وطأة
 الاستعمار علينا ، وخاصة أن النساء في بلادنا ، وإن كنا دائماً لمسكبه
 المموج على الخرافات في تبسار الحضارة الغربية ، فأنهن على جملة علانين
 ومساوشين يرآن بأنفسهن أن يرتدين الملابس الأفريقية حتى أن اللاتي
 يرتدينها منهن من الممكن أن فذهن على الإفلاس ، ولما توجد واحدة من
 آلاف امرأة تتبرج في الماروق والاسواق وتعرض الرجال وجسدها
 مكشوف فوق كعبها أو يدها مكشوفة إلى منكبيها ، وإني واقع كثير
 ما أسائل نفسي أن اخواننا العرب الذين قد شرفهم الله تعالى بيشة رسوله
 فيهم ومنهم ، والذين لتهم لغة القرآن والسنة ، والذين لا يهتفون شيء عن
 مرفة أحكام الله ورسوله في كل شأن من شؤون حياتهم إذا شاءوا ،
 ماذا عساهم يؤولون به رواج الملابس الأفريقية البحتة في نسائهم وتدرجن
 في الاسواق والاندبة والجامع ، بل وسواحد البحار وما أصبح الملاهي
 كاسيات كماريات ؟ نعم ، إني لا أنكر ما بين العلماء من الخلاف حول
 جواز كشف المرأة وجهها تغير عمارتها ولا أقوم بخيري أن لا يرى في
 هذه المسألة غير رأيي ولكن . . . ياليت شعري ما هو الدليل على جواز
 كشف المرأة سابقا إلى التركيتين وبديها إلى المنكبين وجزءاً عالياً من

سدرها وظلها وخامستها ثم تمحوها - هكذا - في الطرق والاسواق
تدرب للرجال وتنشئ الافنية والجامع المختلطة وتبرز صفاتها في كل واد
بكامل زينتها ؟ وأما ان كانت الحقيقة أن لا دليل على جواز كل ذلك ولا
تأويل له ، فقل لي بالله أليس هو بخروج سافر على الشريعة الإسلامية
واستنزاء علي بأحكامها يرتكب اليوم في بلاد العرب - أسيرة النبي
وقبيلته - على مرأى ومسمع من علماءهم وكشاهم وقادة الرأي والفكر
منهم ؟ ولا أدري - والله - ماذا يتوقع اقوم أن يبرثوا به ذمتهم في عهدة
الله العظيم الخبير يوم القيامة ؟.

والله نسأل أن يقبل منا هذه الجهود المتواضعة بقبول حسن ويجعل
فائقنا وأعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم . وآتجر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين .

أبو الأعلى المودودي



ماهي المسألة

من مسائل التمدن البشري المعقدة وأعظمها خطورة وإعضالا ،
مسألتان يتوغلن على حلتهما المستقيم الحثرتن رقي الانسانية وسعادتها . وقد
حار العلماء في إيجاد حل لها منذ قديم الزمان ، ولا زالون حائرين
في شأنها إلى اليوم . أما المسألتان ، فأولاهما صلة ما بين الرجل والمرأة
وكيفية توطيدها في الحياة الاجتماعية ، فإن هذه العلاقة أساس التمدن
وملاك أمره ، وإن اعوجج هذا الأساس أو مال عن الاستقامة قليلا ،
فلا خير في بناء التمدن الذي ينشأ على هذا الأساس المورج . والمسألة
الثانية تملسن با بين الفرد والجماعة من العلاقة . فانه إذا حدث شيء يخل
بالانتران والتناسق المنشود فيما بينها من الأواصر والصلات ، بقيت
الانسانية تتجرع مرارته وتذوق وباله قرونا عتاقية .

وفي جانب هاتان المسألتان وخطورتهما ، وفي جانب آخر لهما قد بلغتنا
من التقصد والإعضال أن لا يقدر على حلتهما إلا من أوتي نظرة فائقة في
حقائق القطرة البشرية بأسرها ، ومحطة بحارنها . ولقد صدق من قال :
إن الانسان علم " أسمر في حيلاته فهذه بنيت وهيته نفسه وقواه ومواهبه

ورشاته وحاجاته، وكذلك عواطفه ومشامره وعلاقته بما وراء شخصه من
ألف الأدوات والأشياء وتأثيره فيها وتأثره بها . . . هذه كلها تحتضن
طالما بنفسه لا تنهي عجائبه ولا يدرك كنهه بسهولة . فلا يمكن أحداً
أن يدرك حقيقة الإنسان ويعرف سره إلا إذا تبين وقوضت أمام عينيه
كل جانب من هذا العالم الأسمر . ومن الظاهر المبين أنه لا يمكن إيجاد
حل أو حلول لمسائل الحياة البشرية الأساسية إلا بعد أن يدرك كنه
الإنسان ويترف حقيقته سرقة تامة .

وعنه هي المصلة التي ما زالت ولا تزال تشكل عنها جهود العقل
والحكمة كلها وتظهر عجزها عن استجلاء وجه الحقيقة منها . وذلك
أن الإنسان لم يدرك بعد حقائق العالم كلها ، ولم يبلغ علم من العلوم
البشرية غايته من التضييق والكمال حتى يصح القول بأنه قد أحاط بجميع
الحقائق التي تملئ موضوعه وتنتمي إليه . زد على ذلك أن الحقائق التي
قد ظهرت وبرزت للعين ، تبلغ من الدقة والسمة والعمق أن لا يمكن
أن يحيط بها بحر ، بل طائفة من البشر في آن واحد . فإن لاح منها
جانب ، بقي الجانب الآخر مخفياً عن الأنظار ، فتارة لا تكاد العين
المبصرة تنفذ إلى أعماقها وطوراً تصبح اليك الشخصية حجاباً دون
إدراك الحقيقة . ولهذا الجزر المضاعف تتحقق جميع الخيل والتدبير التي
يختارها الإنسان نفسه لحل هاتيك المسائل في حياته ، وتظهر التجارب
تعمقها في آخر الأمر . والحل الصحيح لا يمكن إيجاده إلا بعد ما يدرك

المرء نقطة الاعتدال التي تستقيم بها الأمور ، ونقطة الاعتدال هذه لا يمكن إدراكها إلا بعد أن تكون جميع نواحي الحقائق الملوحة على الأخت . - إن لم تقل الحقائق كلها - مروضة على الأنظار . مرتبة على نسق واحد ، ولكن قل في الله ، من أين لك هذه النقطة الوسط إذا كانت سمة الآفاق والمناظر في درجة لا تقدر أن تحيط بها الأبصار البشرية ، ثم إذا كان لرغبات النفس وتوازنها وعواطفها وميولها من التأثير البالغ في تفكير الإنسان ما يصرف بصره عن الحقائق المائلة فليان ؟ إن كل حل يوجد في مثل هذه الحال لابد أن يقسم بإفراط أو تفريط .

بين يدينا الآن للسألة الأولى من المسائلتين اللتين تقدم ذكرهما ، وهي وحدها مناط بحثنا في هذا الكتاب فإذا راجعنا بطون التاريخ القاصر واستنقطنا صفحاته بهذا الشأن وجدنا الأمر في غاية من العجب . رأينا سلسلة من الإفراط والتفريط جارية في جميع أدوار التاريخ وبين الأمم كلها . ففي جانب ترى أن المرأة التي تذل الرجل وترضه وتؤنيه وهي أم وتكون شريكته في الحياة تشاطره اليأس والرخاء وهي زوجة قد اتخذوها خادماً بل أمة تتابع وتشتري عروبة من جميع حقوق الإرث والملك ، وزعموا أنها مجموعة من القل والإنهم . فلا يدعوت لشخصيتها ومواهبها فرصة لتنعو والارتقاء . وفي جانب آخر ترى أنه تلك المرأة نفسها قد عطلوها تنظيمها وأكبروا من شأنها إكباراً تديمه موجة متيفة من فوضى الاخلاق وانحطاط الآداب ، فيتخذها الرجال مطية لأهوائهم ويميلون منها حباله الشيطان في واقع الامر . وهناك

تأخذ الانسانية في التردّي والهبوط كلما تدعجت المرأة في الترقّي والبلور في هذه الجهة .

وهذان الطرفان المتناقضان لا نسمي بهما في الإفرط والتفريط في لغة النظريات حسب " بل إن التجارب إذ جمعت لنا نتائجها الوخيمة وعرضتها مجتمعة على ألسنة ، فالتة نسمي أحدها لعاب بين الإفرط والآخر بالتفريط في لغة الأخلاق أيضاً . والسياق تنازلي الذي قد نسرنا إليه آتفاً يدلنا كذلك على أن أمة من الأمم حين تخرج من ظلمات الجهل والهمجية وتقدم إلى ميدان المدنية والحضارة ، ترى رجالها نسائم كالخدم والاماء ، ولا يوقها ذلك عن الرقي والتقدم في حبة التمدين في أول الأمر ، لا فيها من قوى البداوة العنصرية الفظة . ولكنها تشعر بعد أن تقطع مرحلة من مراحل الرقي المدني أنها لا يمكنها التقدم إلى الأمام وشطر كاس من كيانها في مثل هذا الانحطاط والتقهقر . فتشعر بحية في سبيل رقيها المدني ونسحبها بحسب الحاجة إلى إعداد هذا الشعار الثاني من بنيتها المسيرة شطرها الثاني في ركب الحضارة والنهوض بأعباء التمدين . ولكنها إذا أرادت أن تتدارك ما قلها من استهانة بتأليب امرأة وتقبها ، لا تقب عند حد ، بل تمتد في هذه الجهة تتقدم وتمتطي كل الحدود حتى تصبح " حرية المرأة إلى انهيان نظام الأسرة " الذي هو أساس التمدن . ويفجر بركان من الفحشاء والفجور ، لاختلاط الرجال بالنساء وشكاد الخلعة والاستنثار . يأتيان بيان الأمة الخلق من القواعد . ولا جرم أن يتبع هذا التدهور الخلق الانحطاط

والتهفر في العوى الجسدية والمواهب المعنوية والمدية ، والأمة إذا
وسلت إلى مثل هذا الانحطاط في نواحي الحياة كلها ، تمضيها إلى الهلاك
والانقراض لا محالة .

ومن دواعي الأسف أن المقام لا يتسع لضرب الأمثلة السكاكية من
ما جريات التاريخ ، إلا أنه لا بد من عرض بصفة أمثلة لإيضاح
المسألة وشرحها .

أبولون

أرتقى الأمم القديمة حضارة وزهرها ، تعدنا في التاريخ هم أهل
اليونان ، وفي عصرهم لبدائي كانت لارآة في غاية من الانحطاط وسوء
الحال من حيث نظرية الاخلاق والحقوق لقانونية والسلوك الاجتماعي
جميعاً ، فم تكن لها في مجتمعهم مثلة أو مقدم كرم . وكانت الأساطير
(mythology) اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى « بانديورا »
(Pandora) ينسج جميع آلام الانسان ومعاناته ، كما جعلت الأساطير
اليهودية حواء : البين التي تشق منها جداول الآلام والشدائد ، وعبر
نخف على أحد ما كانت لهذه الاسطورة اليهودية الشيعة عن حواء من
تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، وما كان لها
من مفعول قوي في حقول القانون والاخلاق والاجتماع عند هؤلاء
الشموب وكذلك أو دونه بقيل كان تأثير لاسطورة اليونانية عن

(بانسورا) في عقولهم وأذهانهم . فلم تكن المرأة عندم إلا خفياً من
الحرك الأسفل ، في غيبة من المهانة والذل في كل جانب من جوانب
الحياة الاجتماعية . وأما منازل الذل والكرامة في المجتمع ، فكانت كلها
مختصة بالرجل .

وفي هذا السلوك قبل المرأة في أول عهدهم «بلهنة المدنية ثابتاً على
حاله ، ربما تحسنته تبدلات قليلة . فانه كان من تأثير ديموع لهم والقتار
أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع وأصبحت أحسن حالا
وأرفع منزلة من ذي قبل ، وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل .
فهي أصبحت ربّة البيت « متحصرة واجباتها في حدوده ، وأصبح لها
في داخله سلطة ونفوذ تام . وكانت عقابها وتصويتها من أعلى وأنفس
ما يملك « وما ينظر إليه بعين التقدير والاعظيم . وأيضاً كان الحجاب
شاملاً في البيوت العالية . فكانوا يبنون بيوتهم على قسمين : قسم للنساء
وأخر للرجال . وما كان لسوتهم يشاركن في المجالس والأندية المختلطة
ولا يبرزن في الأماكن العامة . وكان يند زوج المرأة وملازماتها
زوجها دون غيره من أمارات النجابة والكرام . ولأنها كانت الحُرمة
والمنزلة في المجتمع . وبالعكس من ذلك كانوا ينظرون إلى حياة المرء
والمتعة طرفة كره وازدراء . هذا في عصر كانت الأمة اليونانية فيه
في إيلان عبدها وعتقوا شبابها وقوتها ، وكانت تنمو صمداً إلى الرقة
والكآل . ولا يجب أنه كانت توجد عندم مفاسد خلقية في ذلك العصر

إلا أنها كانت منحصرة في نطاق محدود ، وذلك أن الرجال لم يكونوا يُطالَبون بِمُثَلِّلٍ من اعفاف وطهارة الاخلاق وزكاه السجينة كانت تطالب بها امرأة وتؤخذ عليها ، بل كانوا يُستَكثون من التخلُّق بتدب الاخلاق الحسنة ، ولم تكن من المتوقع منهم أن يعيشوا عيشة ذوي النعمان والحشمة . ومن أجل ذلك كانت المومسات جزءاً من صميم المجتمع اليوناني لا ينفك عنه أبداً ، ولا يُدب المرء إذا عثرهن وخادتهن .

ثم حملت الشبوات النفسية تنقلب على أهل اليونان ويجرب بهم تيار انحراف الهيبية والأهواء الجائعة ، فتبوءت الفاحرات والمومسات مكانةً عاليةً في المجتمع لا تطرحها في تاريخ البشرية كبد ، وأصبحت بيوت الفاحرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع ، ومرجساً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة . فكانت ثيوسا في صماء العلم والأدب يدور حوله كوكاكب لفلسفة ولأدب ولتشر ولتاريخ وما عداها من الفنون . . . بل أصبحن القطب الذي تدور حوله رضى الأمة ليونانية فما كنّ يرأسن أفندية العلم ومجالس الأدب غلب بل كانت تشكل السياسة أيضاً فتعمل عَصَداً وتُفَكِّ معضلاتها بمحضرتين وقتت لإسرائيل . . وقد بلغ بهم التمسك في هذا الشأن أن كانوا يرجعون في المسائل الرئيسية التي تملو بها أمة وتسفل وتحيى لها وتموت إلى امرأة التي ريد لا ترضى أن تعاشر رجلاً يمينه أكثر من ليلة أوليلين . ثم زاده أهل ليونان صميم للجهل وتذوقهم المفرط له تدياً في التي " وارتطاماً في حذاء الرذائل ، وأصرم في قلوبهم ظمراً للشبوت لا تُحمد فالتأثيل - عاصج الفن الدرية - التي كانوا

يُطهرون بها وبالأذن في سلتها وبتأنيها خوفهم هذا، كانت هي التي تحررت
 طيهم الشبوات دوماً وعند في ضرائهم اليومية. ولا يحفل لهم بأن
 الاستسلام للشبوت هي ذم في قانون الأخلاق والاندفاع وراء تيار
 الأهواء عار وحقبة. وتعددت مقاييس الأخلاق عديم إلى حد حمل
 كبير فلاحتهم وعلوه الأخلاق عديم لا رون في الثرى وارثك
 الفجشاء غصاة بلأم عبا لرد وبعب. وأصبح عليهم ينظرون إلى
 عقد الزواج خسارة من لا يتم به ولا يرى إليه من حاجة. فلما يرون بأساً
 بأن يباشر أربل المرأة ويتادنها عنان غير عقد ولا نكاح فكانت النتيجة
 أن خصصت لأحلافهم وضرائهم الشهوانية هذه دباشهم أيضاً، وانتشرت
 بهم عبادة أفروديت (Aphrodite) لئى كان من قسيتها عديم في
 الأساطير (Mythology) أنها خلقت ثلاثة آلهة مع كونها روجه إلى
 خاص. وأيضاً كان من أخدامها رحد من عامة البشر علاوة على تلك
 الآلهة. ومن بطنها تولدت كيوبيد (Kupid) إله الحب، نتيجة اتصافها
 بذلك اللدن البشري. وما رأيك في أخلاق أمة ولصطاطها المعنوي والخلقي
 اتحدت من هذه الطباع (Character) رمزاً للكمال بل إلهاً يُعبد
 ويقدم له جميع آداب البوذية والذك والنبوع ؟ هذه، ولا ريب، درجة
 من الانحطاط الخلقي إذا زدت فيها أمة، لم تتمكن من التوض مرة
 أخرى. وفي مثل هذا العصر البائس من الانحطاط أسَّله ظهرت في الهند
 (بام مارك) وفي إيران (الزركية)، وأيضاً في مثل هذا العصر نفسه
 أصبحت افششاء والمعدرة يُنظر إليها بين التقديس والإحلال في (بابل)

فلم تفض على ذلك عشية أو صباحها حتى آله أمرها إلى الافتراض، وأصبح أمرها من خير كان وأمس الحابر. ولا انتشرت بعبادة افروديت في اليونان، أصبحت مواخير الدعارة وأماكن الفجور مركزاً للعبادة وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعبود. وعظّم شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساءاً من الصل اللذني المبرور.

ثم ظهرت الفريضة البهسية في أهل اليونان بمظهر آخر، هو أن انتشرت معهم عبادة قوم لوط انتشاراً كاد يأتي على الأخضر والبس، ورسيت بها الدفاعة والأخلاق أيضاً. وبما هو حري بالذكر أننا لا نرى لهذه المأساة فكرة أثر في عصره ميروس وهسيود، ولكنه لا ترقى المدنية وأخفت في تزيين المري وانباع الشهوات بلاسماء الجذبة كالفن وتذوق الجمال (Amateur Taste) لتتسبب الفرائز الشهوانية في القوم ألتايا جلهم يتكيفون الطريق الفكري، ويتخذون لإرواء غيل شهواتهم طريقاً تأباه الفطرة وتجه الطباع الدليمة. وساعد على ذلك حذاف الفن بإبراز هذه الماطعة في التائيل، وشهد عماء الاخلاق بتدعيم بأن هذه (الملاقة) آصرة لصداقة وثيقة بين الرجلين. واليونانيان اللذان هما أول من عظمهم الامسة وأكرهمهم ببناء قديهم هما: هرموديس وأرسوجين اللذان جمع بينهما ذلك صاحب المنكر الذي تأباه الفطرة البشرية. وبعد، فله تاريخ شاهد بأن اليونان لم يكثر من نصيبهم الجدد والرقى بعد ذلك مرة أخرى.

الرومان

والذين تسلمو دروة الجذ والرقى في انهم يد ايو فانيين م ابرومان . وفي هذه الامة ايضاً نرى تلك السلسلة من الصمود والحموط التي قيد شاهدها في اليونان حينما خرج الرومان من عصر الوحشية وظلمة الجهل ، وظهروا على مسرح التاريخ لأول مرة ، كان الرجل رب الاسرة في مجتمهم ، له حقوق المالك كامة على أهله وأولاده ، يسلم من سلطته في هذا الشأن ان كان يجوز له حتى قتل زوجه في بعض الاحيان .

ولما تجملت فيهم صورة الوحشية وتصدوا خطوات في سبيل المدنية والحضارة ، تخففت القسوة في تلك السلطة وجعلت الكفة تميل الى الاستواء والاعتدال شيئاً فشيئاً ، وإن بقي نظام الاسرة القديم ثابتاً على حاله . وهؤلاء لم يكن الحجاب عندهم معمولاً به - كاليونان - في إن مجد الجمهورية الرومانية ورفها . لكنهم كانوا قبدوا النساء والشباب عامة بقبود متفقة من نظام الاسرة . فالنفاق كان شيئاً ينسفر اليه بين لإجلال ولا سياً في شأن النساء ، وكان يده مقياساً للعرف وكرم المتمد . وكذلك كان مستوى الاخلاق عندهم عالياً . ومن أمثال ذلك أن انقذت مرة أن عضواً في مجلس الشيوخ قتل زوجته أمام ابنته . فضرب عليه القوم وحكموا على سنيبه بأنه غش من كرامة الخلق القوي وإهانة له وأمسوا قرار التكبر (Vote of Censure) عليه في مجلس الشيوخ . وهذا وما كان مباحاً عندهم ولا مرضياً في أخلاقهم أن يتعاصر الرجل والمرأة بدون .

عقد مشروع . وما كانت المرأة تلبوا مكانة المز والكرامة في المجتمع إلا بأن تكون لماً لأسرة (Matron) . والمومسات ، وإن كانت طبقتهن موحودة وكان الرجال نوع من الحرية في مخدنتهن ، إلا أن عامة الرومان وجهودهم كانوا يردونهم وينظرون إليهن نظرة احتقار وتبذير . وكذلك ما كانوا ينظرون بين الاستحسان إلى الرجال المتأدين لهم .

ثم انحلت نظرية الرومان في النساء بتبدل برقيهم وتجاههم في مساكن المدنية والحضارة . وما زال هذا التبدل يطرأ على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة وعقد الزواج والطلاق ، إلى أن انقلب الأمر طبراً لبعين ، وانفكست الحيل وأمس على عقب هم بين لقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدني Civil Contract بحسب ، يتوقف بقاؤه ومضيئه على رضا المتعاقدين ، وأصبحوا لا يهتمون بتيمات الملاقة الزوجية إلا قليلاً . ومنحت المرأة جميع حقوق الارث والميراث وجعلها القانون حرة طليقة لا سيطرة عليها للأب ولا للزوج . ولم تصبح الرومانيات مستعلات بشؤون معاشهن بحسب ، بل دخل في حوزة ملكين وسلطانين حزم عظيم من التراء القومي على مسير الأيام . فكان يقر من أزواجهم بأسماء الرب الفاحشة ، كما يهود به أزواج الثريات من النساء عبيداً لهم في مبادي العمل والوقع . ثم سلبوا من أمر الطلاق تسليلاً جليله شيئاً عادياً يلجأ إليه لآلته الأسباب . فبدأ (سينكا) الفيلسوف الروماني التشوير (ع ق د م - ٥٦ م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تعاظم خطيئه بين بني جلدته ، فيقول : « انه لم يعد طلاق اليوم شيئاً يندم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان . وقد نجح من كثرة

وديوخ أمره أن جعلته النساء يمدن أعمالهن بأعداد أزواجهن .
 وكانت المرأة الواحدة تزوج رجلاً بعد آخر وتوفي في ذلك من غير
 حياء . وقد ذكر مارشل (٤٣-١٠٤ م) امرأة تزوجت عشرة رجال
 وكذلك كتب جويول (٩٠-١٤٠ م) عن امرأة قلبت في أحضان
 ثمانية أزواج في خمس سنوات . وأعجب من كل ذلك وأعجب
 ما ذكره القديس جيسروم (٣٤٠ - ٤٣٠ م) عن
 امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها وكانت
 هي أيضاً الزوجة الحادية والعشرين لها .

ثم بدأت تنير نظرتهم إلى العلاقات والروابط القوية بين الرجل
 والمرأة من غير عقد مشروع . وقد بلغ بهم التطرف في آخر الأمر أن
 جعل كبار علماء الأخلاق منهم يمدون الزنى شيئاً طبيعياً . فهذا كاتو
 Cato الذي أسدت إليه الحسبة الخفية سنة ٩٨ قبل الميلاد ، يجبر
 بيجوار اقترافه الفجشاء في عصر الشباب . وذلك عجز وئ Cicerو مصلح
 الشهير يرى عدم تقيد الشبان بأعلال الأخلاق المشقة وبشهر باطلاذ البنات
 لهم في هذا الشأن . ولا يقتصر لأمر علماء بل ياتي ايكتيتوس Epictetus
 الذي يمد من المتصاليين في باب الأخلاق من فلاسفة الزواقين Stoics
 فيقول لتلاميذه مرشداً ومبدأ : « تحبوا مشرة النساء قبل الأزواج
 استظفم ، ولكنه لا ينبغي أن تلوموا أحداً أو تؤذوه إذا ما لم يتمكن
 من كبح جماح شهواته . »

ولما تراخت عرى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني إلى هذا

الحد ، اندفع تيار من المري والواحش وجموح الشهوات . فأصبحت
 الممارح مقاسمها لاختلاعة والتجريح للموت والمري لشين . وزينت
 اسبوت بعبور ورسوم كلها دعوة مسافرة إلى العجور والدمرة واعصمها .
 ومن حراء هذا كله راجت مهنة المومسات والداعرات وانضمت إليها
 ساء البيوتات . وتعدى الأمر في ذلك إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون
 خاص في عصر تقيس نالي بريس (١٤ - ٣٧ م) لمنع نساء البيوتات من
 احترام مهنة المومسات وصنعتين الدافعة . ونالت مسرحية فلورا Flora
 حظوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوي على سبائ النساء الماربات .
 وكذلك انتشر استنجم الزجان والنساء في مكان واحد برأى من الناس
 ومشهد . أما سرده القنلات العظيمة والقصص المأجزة المأجزة فكان شتلا
 مرضياً مقبولاً لا يتحرج منه أحد ، بل الأدب الذي كان يلقاه الناس
 بالقبول والرشى هو الذي يبر عنه اليوم بالأدب المكتشف ، وهو الذي
 تبين فيه أحوال الحب والناك و تقبيل مسافرة غير مقننة بحجب من
 الجواز والكنائات .

وكان من انفسهم في امشوات الطبيعة ومجازاتهم الحد في إيجاد
 طرق لإصفاء أوارها أن دلت دولة الرومان وقرئ جميعا كل ممزق .

أوربة العسية

ثم جاء عصر التصراية في أوربة ، وأرادت أن تتشارك العوضى
 الخفية في علم الغرب بالمعاج الناجح والبلد المثلاني . وما لا ريب فيه أنها

أدت خدمات جليلة في أول أمرها ، فقد سدت السد في وجه الفحشاء
وقضت على المري في كل ناحية من نواحي الجبال، ودرت الخيل ولفرق
المؤثرة لاستئصال شاة الفعارة ، وجعلت لمومسات غرافسات والفتيات
بشبن يرتدن عن عبيهن ومكاسهن المفسدة ، وجهت جهدها لتشتة
القوم على الأخلاق الزكية و لآداب السمية إلا أن الكثرة التي كانت
بجعلها الآباء لمسيحيون عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد
جاوزت حد التفرق في جانب ، وكانت حرباً على الفطرة البشرية في
جانب آخر .

فن نظريتهم الأولية الأساسية في هذا الشأن أن المرأة بشوع لها صبي
وأصل المسيئة والفجور ، وهي الرجل بأن من أبواب جهنم من حيث
هي مصدر تجرمكه وحمله على الآثام . ومنها التجست عيوب المصائب
الالمانية جماء ، فحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة ، وينبغي أن تستحيي
من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوزنه سلاح من أسلحته
للتنوعة وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً ، لأنها هي
التي قد أتت بما أنت به من نورر والشفاء للأرض وأهلها . ودونك ماقاله
ترتوليان (Tertullian) أحداً أعلام المسيحية الأول وأثنى مبيئاً نظرية
المسيحية في المرأة :

« إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وبها دافعة باره إلى
البشرية المنوعة » « قضية بغاوثون الله ، ومشوثة بصورة الله أي الرجل » .

وكذلك يقول كير في موسنام (Chry Eostem) لذي يدمن
كمار أوليه الدابة المسيحية في شأن المرأة :

« هي شر لابد منه ، ووسوسة جبيلة ، وآفة مرغوب ذم ، وخطر
على الأسرة والبيت ، وعجوبة تشاك وروز » مطلي عمو » .

أما نظريتهم اثنية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين
الرجل والمرأة هي نفس في نفسها ، يجب أن تكون ، ولو كانت عت
طريق لكاح وعقد رسمي مشروط ، هذا التصور « الرهني » للأخلاق
الذي كانت سدوره تسكاد تناسل في أوربة من قبل بتأثير اعلمسة
الإشراقية (Neo - platonism) جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت
به منه . وذلك أن أصبحت فيه الزوبة مقياساً لسوء الأخلاق وعلو
شأنها كما سادت الحياة اماتلية علماً على انعطاف الأخلاق ومهانة انطباع.
وجدوا بدون الزوبة وتجنب الزواج من أعادات التقوى والورع
وزكاه الأخلاق ، وأصبح من المهنوم لمن يريد أن يعيش عيشة زوبة أن
لا يتزوج أصلاً ، أو لا يعاشر امرأته معاشرة الزوج وزوجته ، على الأقل .
وكذلك قرروا ووسعوا القوانين في مؤثرهم الدينية المتصدة بأن
لا يختلي رجال الكنيسة بأرواحهم ، وأن لا يتلاقى الرجل منهم والمرأة
إلا بمرأى من الناس ، أو أمام رجلين من رجالهم على الأقل . وما ألوا
جهداً في أن يبتعوا في قلوب الناس اشعور بشدة العلاقة الزوجية
وتجنبها ، وحذ لذلك مبدأ أن كان شاملاً بينهم ، أت الزوجين الذين

اتفق لها أن يبتدأ ليلة عيد من الأعياد ، لا يجوز لهم أن يبيتا ويشتركا مع القوم في رسومهم ومباهجهم ، كما في يوم يرون أنها قد اقترفا إنشا عليهم حتى ابتشاركة في حمل ديني مقدس عندهم . وقد بلغ من تأثير هذا التصور (الزهني) أن تكثر "مغزو" ما بين أفراد الأسرة والعائلة من الأوامر . وحتى ما بين الأم والولد منها . إذ أسمى كل قرابة وكل سبب ناتج عنه عقد الزواج "بداً إنشاً وشبناً نساً" .

وهذان النظريتان ما وشت من مكانة المرأة وحطتها من شأنها في حقول الأخلاق والاحتجاج فحسب ، بل كان من مفعولها القوي ونفوذها البالغ في القوانين المدنية أن أصبحت الحياة الزوجية سمعت سرج وشيق لرجاء وانساء عجيب ، وبجانب آخر تحطت منزلة المرأة في المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة . فكل ما وضع في العالم الغربي من القوانين تأثير اشرعة المسيحية ، لانجوى من انحصار الآنية :

١ - جعلت المرأة تحت سلطة الرجل الكاملة ، من الناحية الاقتصادية وعادت حقوقها في الإرث محدودة "وأما حقوقها في الملكية فكانت أزرر وأقل" . وما كان لها حتى حتى في كسب بدنها ، بل كان كل "مأخذها" ولها مستكراً لزوجها .

٢ - المطلق وتطوع لم يكونا مباحين في حال من الأحوال فيها بلغ العرك (البنفس) والتنافر بين الزوجين ، ومما بلغ اشرف بينها في إفساد المعرة عليها وجعل بينها قسمة من العذاب ، كان الدين والعتاوى يحترق

عليها دولم الضررة وبقاء حبل الزوجية بينها متصلاً : وأقضي ما كانت
يمكن صله في بعض الأحوال الشاذة البائدة من اشتد غايبتها ، أن يقطع
ما بين الرجل والمرأة من الأسباب ويفرق بينهما تقريباً ، على أنه ما كان
لذلك الرجل أو تلك المرأة بعد ذلك أن يحدد الحياة الزوجية ويختار
لنفسه زوجاً موافقةً أو يبدل موائماً ، والحل أن كان هذا العلاج أكثر
سرراً ونسباً خطياً من ذلك المرسى ، إحداهما كذا بعد ذلك بين اثنين :
إما أن يختار عيشة لربان والراهبات ، أو يتعاملوا القصور وينسحب
كؤوس الفحشاء طول أعمارهما الباقية .

٣ - وكذلك كان من أقيع البار أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية
إذا توفى عن أحدهما وزوجه ، بل هو عندنا من كبار الإثم . وكان من
رأي علماء المسيحية فيه أنه إذا كان تشبوهات البهيمية ، وإطلاق لسان غريزة
الفحشاء ، وكابوا يمسرون عن القرآن الثاني بكلمة (لزنى الهذب) .
أما رجال الكنيسة لم يكن الكلام مباحاً لهم في قانون الكنيسة . وكذلك
القانون المدني العام ما كان يحجز ذلك في بعض الاقطار ، وأما الاقطار
التي كان يسمح به فيها القانون ، قد كان يترخص فيه هناك الرأي السلم
الذي كان متأثراً بالنظريات والتصوّرات القديمة .

أوربة الجديدة

ولم تحض فلاسة أوربة وأولو الرأي والدم منهم في القرن الثامن
عشر وراموا عقيرتهم لحماية حقوق الفرد في المجتمع ، ونفقوا في أيون

الحرية الفردية ، كان بين يديهم ذلك النظام السلطي الفاسد الذي كان تولد تفاعلًا لاجتماعيًا من علم الأخلاق ولسفة الحياة المسيحيين ونظام الاقطاعية (Feodal System) وقيد الروح البشرية بقيود متقنة غير طبيعية وسدني وجهها جميع مسبل لرق والأزدهار. فانظروا التي قدمها أساطين أوروبا الجديدة وأقناب التفكير الجديد فيها ، لتقضاء على ذلك النظام الفاسد واستبدل نظام جديد به ، استقرت عن ثورة فرنسا النيرة ، ثم تحركت عجلة الحضرة والثقافة التريين وبقيت تسير على نهجها ، حتى آلت ، بعد تقلبات الزمان ، إلى مرحلتها الحاضرة.

وكل ما قصوه في يده هذا العهد الجديد لإنهاس المرأة من كونها ، كان له أثر محمود في الحياة الاجتماعية. لقد حققوا شيئاً مما كان في قوانين الطلاق من شدة وتضييق ، وردوا إلى النساء جميعاً مصلحة من حقوقهن الاقتصادية المأخوذة ، وتناولوا بالإصلاح والتهديب. لنظريات الجائلة بذاتة آراء ومبادئ . وعملوا أيضاً قوانين العشرة والاحتياج التي كانت قد وضعت لساء في مستوى الجولري وإماء في وقبح الأمر . كما فتحوا لمن أبواب التعلم والتربية العاليين كالرجال . فهذه الطرق والتدابير الفعالة المختلفة انبثقت مواهباً اساء وبرزت كصفاء ثمين التي كانت مظلومة تحت أثقل طاحنة من قوانين الجنس الغامضة وتصورات الأخلاق الطاغية . قدن ضميد البيوت وتحسين آداب العشرة وأبدين بلاداً حسناً في مسبل الخير وأعمال البر . فترقية الصحة العامة وتربية الجيل الناشئ .

وموسسة الرضى وتسمية النظام المائتي وآدائه كل أولئك كان من جوا كبر
 غار اليقظة التي حصلت بين النساء بفعل الحضارة الجديدة . ولكن
 النظريات التي تولدت من طلبها هذه الحركة كانت تقسم من أول يومها
 بالتروح إلى الإفراط والميلان عن القصد . ثم غا هذا التروح واشتد
 في القرن التاسع عشر . وما كاد يتبدى القرن العشرون حتى بلغ لفظ
 الاحتجاج التربي نهاية لإفراط والتبعيد عن القصد . وهذه النظريات
 التي أسس عليها بنيان لاجتماع التربي الحديث ، يمكن حصرها في
 ثلاثة عناوين :

١ - لمساواة بين الرجال والنساء .

٢ - استقلال النساء بشؤون معاشهن

(Economic Independence)

٣ - الاختلاط اطلاق بين الرجال والنساء .

وفد ظهر من نتائج تأسيس اجتماعهم على هذه النظريات الثلاث
 كان يجب أن يظهر ، وذلك :

١ - أنهم فهموا من معاني المساواة ألا يكون الرجل والمرأة
 متساويين في الحقوق البشرية والميزة الحقيقية حسب ، بل أن تؤدي المرأة
 في الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من الاعمال وأن يرضى لها من عنان
 القيود انسانية مثل ما أرضى للرجل من ذي قبل . فهذه الميزة الحقيقية
 للمساواة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجباتها الفطرية

ووظائفها الطبيعية التي يتوقَّع على أدائها بقية المدينة ، بل بقاء الجسم البشري بأسره . واستهوتها الاحمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحذتها إلى نفسها مكن ما في طبيعتها وشخصيتها من خصائص فشارك لاكتشافات الطبيعة ووظائف المكاتب والمعمل ومتنفسات الرجال في المدن التجارية والصناعية الحرة ، والمشاركة في الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور محالس اللهو والقصف والطهور على المسارح ولاشتراك في حفلات الرقص ولشهرات لامة هذه وأمتها من مشاغل الحياة ومثمتها وآسياب اللهو وطون التي يمنع عن ذكرها الحياة من خديا هذه المدنية البراقة ، هذه كما قد استولت على مشاعرها وشملت أفكارها وعوطفها شذو آدها عن وظائفها الطبيعية وطرد من رافع حياتها اقيام بتمتات الحياة الزوجية وتربية لاطفال وخدمة العائلة وتنظيم الاسرة ، بل كرهه إلى نفسها كل هذه الاعمال التي هي وظائفها الطبيعية الحقيقية . ومن عاقبة ذلك انزال النعام العالي - الذي هو أسس المدنية وعظمتها لاوليقر - قد تبدد فمله في الترف . والحياة البينة - التي يتوقَّع على هدوتها وطمايئتها قوة الانسان اعملية ونشاطه - تكاد تنعدم وتدخل في خبر كان . وهكذا ربطة القيد والزواج - التي هي الصورة الصحيحة الوحيدة لتعاون الرجل والمرأة على خدمة المدينة - أصبحت عندم أوهن من بيت السكوت . وبجانب آخر ، قد بدأ العمل على منع تكاثر التسل ولزيادة اعمرات - يقتل الاولاد ويحبط التوليد ويسقط الجمل . وجه التصور الحاطي لفساد الحياة يساوي بين الرجال والنساء في التبدل

وفساد الأخلاق، حتى عادت تلك المفزبات التي كان ينحرج من مقارنتها الرجال بما قبله، لا تستحي من ركوبها ذات جوار في المجتمع الغربي الحديث .

« - إن استقلال النساء عيشهن واسطلاعهن بشؤونهن الاقتصادية قد جهن في عيني من الرجال . والمبدأ القديم - أن يكسب الرجل وتدبر المرأة شؤون البيت - قد تبدل وأخذ مكانه رأي جديد ، هو أن يكسب الرجل والمرأة كلاهما ، والبيت نقوس شؤونته إلى الفتاة والكسرات . فلم يبق بعد هذا الانقلاب منها من صلة تربتها في البشرية العلية وتجبرها على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس الحيوانية . ومن الطاهر أن مجرد إطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمير بضطرر الرجل والمرأة إلى أن تشارعا في بيت واحد ، مقرونان في نير الرابطة الزوجية الأبدية . والمرأة التي تكسب عيشها يمينها ، وتقوم بجميع وظائفها بنفسها ، ولا تحتاج في حياتها اليومية إلى راعٍ يرعاها أو نصير يمينها ، ما لها تلازم رجلا يمينه لإخماد نار شهوتها فقط ؟ وما لها ترهن نفسها بإعلاء خلقية وأفقها قنوتية في غير طقس ؟ ولماذا تتجمل تحت الأسرّة والمزل ؟ وإذا كانت فكرة المساواة الخلقية قد أزال جميع امتدات والمرا قبل التي كانت هي أنت تخرطها في سلوك طريق المعارة والفجور ، فلماذا تتكسب الطريق الأيسر والسبيل الممعد للشحونة بأفانين السجة والردة ؟ وتسلق الجادة الشقة البالية المنقوفة

بذكاره والنباتات والتشجيرات ؟ أما ما كان على أنت يحبك في صدرها من شعور بالإثم والمصيبة ، فقد ذهب بذهب الدين وتقلص عقله ، وأما خشية المجتمع ، فلا وجه لها ولا داعي اليها ، لأنه بدل أنت بالوميا ويؤسبها على غوايتي وعبرها ، قد عباد يلقسها باليسر والفرح ، وآخر ما كانت تخافه هذه وأخواتها هي المولود النذل الذي تله من هجر ممنوع ولكن قد أذهب عن نفسها هذا الخوف مما يشكر أخيراً من أساليب التخلص منه . وأولها تداير منفع الجلل . فإن أخفقت ، فلا بأس بإسقاط الجنين . وإن لم يتحقق ، فلا حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جناح الظلام ، وإن استعطفت الامومة . ولها من طائفة خبيثة لا تكاد تموت على كل هذا الرقي وتصدن . قتل المولود ، فلا تؤثم على الفتاة في كونها أمّاً لابن زانية . لأنهم قد قضوا الوطر من الذميمة لتكرهم (الام استراة) و (ولد الحرام) ، وقد بلغ من تأثيرها في النفوس أن المجتمع الذي يتجرأ على الزمرائها والمخط من شأنها ، لا جرم أن يوء هو نفسه بتهمة ارجسية وحكم التخنّف والجود .

هذا هو الذي قد نبي بيان المجتمع التربي من القواعد ورفول كيانه ذللاً ، ففي كل قطر من اقطارهم ترى مئات الآلاف من الفتيات والنساء عوانس يرتدن موارد التحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل . وتوقفن في كثرة لعدد للاثي يتزوجن في مسورة من

عطفة الحب العارضة ، ولكنه لما لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة - غير صلة شحنة الجنسية - فخرج أحدهما إلى الآخر ، وتغير حاله على المرأة الزوجية استمررة ، وقد تعدت أمثال هذه الاوضاع الزوجية كأوهن ما يكون من الامور . فالزوج والزوجة المزدان قد استغنى كل واحد منهما عن صاحبه لا يرضيان بأن يراعي أحدهما مصلحة الآخر ، أو يجاسله ويداريه في شأن من شؤونها ، أما عواطف الحب ولغرام التبعة من الشهوة الهيمية ، فلا تلت أن تحف سورتها وتحمدها . ثم لا يكون ينسبها إلا نزاع طفيف أو اختلاف طافه ، حتى تنصرم بينها الاسباب . وقد يكون انطفاء جذوة الحب بينها وحده سبباً كافياً لافتراسها . ومن ذلك ترى أن الاوضاع الزوجية عندهم يؤود أمرها إلى طلاق أو فراق . وهذه الحال الرائعة هي السبب في شيوع الماسد من منع الحمل وإسقاط الاجنة وقتل الاولاد وانخفاض نسبة المواليد وكثرة اولاد انفول ، وكذلك لها يد وأي يد في انتشار الفحشة والخلاعة وازدياد الامراض السرية اعتكافاً .

٣ - وقد استحدث احتلاط المطلق بين الرجال والنساء عريضة التبرج والبري في النساء ، وزواجين تولوا بالفواحش الفجائية الجنسية (Sexual Attraction) التي قد أودعتها لفرد الرجل والمرأة ولها عليها سلطان لا ينكر ، تزداد قوة واشتداداً باختلاط الجنسين وتنحصر في حدوده بكل سهولة . ثم من شأن هذا الخيتم المختلط أن تنشأ فيه عريضة جديدة في الجنس ، وهي التطور بأي مظهر الزينة واجتهادها

Attractive للجنس الآخر . وإنما لم يجد التزبد من أسباب الزينة والتجميل شيئاً يتكرر ويُناب ، بفضل تبدل المظهرات الخلقية ، بل يُستحسن التبرُّع بالسافر والأخذ بكل أسباب لفظة والاستواء ، فلا يقف هذا الاقتناع بإبداء الزينة والجزل عند حدٍّ ، بل يتجاوز الحدود كلها واحداً بعد آخر ، حتى ينتهي أمره إلى آخر غايات المرئي للمشئ . وهذا ما قد وصفت إليه الجبال في المدينة العربية ، فقد ازدادت - ولا تزال تزداد - في المرافعة التجميل وحب " الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال إلى حدٍّ أن لا تكاد تفتن نفسها الوشابة " المتطرفة باللباس البراقة لفاتنة وأسباب الزينة المتجددة من الوششي والتعاريف والاصبغ والحنى ، بل تطمح إلى ما وراء ذلك ، تكاد تتجرّس من ملابسها وتريد ألا تترك حبيبها هدبة ثوب بها . هذه حال امرأة عندهم . وأما الرجال في ترشد هم كل هذه المظهر احتلاية من الحمل النسوي إلا " شوعاً وطموحاً ونهمة " . لأن نال الشهوة ولعاطفة البهيمية المتأججة في الصدور لا تحمد بكل منظر جديد من الخلاعة والسفور ، بل تزداد طبعاً وتطلّب منظرًا آخر أكثر منه سُموراً وحُوراً وتكشفاً ، مستلهم في ذلك كل من تسميه لفظة " من لسعوم ، فيكاد لا يسكن ظمؤه " . كل ما أراد شرباً زداد عطشاً وطعاً ، ثم دائماً في إعداد أدوات وتبرئة أسباب وظروف الإطفاء أوامر شهوتهم لجرح بهم ، ولا بد لهم دون ذلك بل ولا هم يستقر لهم قرار " وما هذه الصور العنصرية وهذه الأدب المكشوف وهذه القصص الترامية وهذه النثر قصص والمباديل

والمرحبات المشعونة بالمواطف والتزعت المارمة : ماهذه كلها إلا
فادح من جهودهم وحيلهم - التي يتماطون بها لإخماد ثراشوبات الجماعة
ولكن في الحقيقة لاستثارتها والتعيج بها - التي أجبجها هـ هذا المجتمع
الاحن وتلك الحياة الاجتماعية العسلة في صدر كل فرد من أفرادهم .
ولكنهم قد سمّوها "فن" (Art) لاختفاء هذا الضميمة الكامن في نفوسهم
وفي حياتهم !

ولا يزال هذا الداء الويل - من غلبة الشهوات الشهية . ينخر في
كيان الأمم لفرية وينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ
يشهد أنه ميسرى هذا الداء في معازل أمة إلا أوردها موارد انفسه
والفناء . ذلك بأنه يقتل في الإنسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية
والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة . وأتسى للناس - لعمر الله - ذلك
المندوء وتلك الدعة واسكنة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الإنشاء
والتعمير هـ وما دامت تحيط بهم محركات شبيهة من كل جانب هـ
وتكون عواطفهم عرضة أبدا لكل فن حديد من الإغراء والتبويض هـ
ويجرق بهم وسط شديد . لاستثارة هوى التحريض هـ ويكون الدم في
عروقهم في غليان مستمر متأثر ما حوهم من الأدب الخليم والصور
العارية والأغاني المجرسة والأفلام الترامية والرقص اثتر والمناظر الجذابة
من بلبل الانشوي المران هـ وفرس . لاختلاط بانصاف المخالف هـ
استغفر الله هـ بل أتسى لهم ولاجبالهم الناشئة أن يجدوا في غمرة هـ دم
المرجات الجوى الهادي المعتدل الذي لا متدرجة لهم عنه لتشتت قواهم

التفكيرية والعقلية ، وم لا يكاد يوثق بملوث الحظ . حتى يشغلهم غول
الشبوات البرجية ويستحوذ عليهم ؟ لو افادهم وقنوا بين فراهي هذا القول
فأشئ لهم النحلة منه ومن غوائله وعزابه ١٧

تخصير الفكر اليوناني

هذا البيان الموجز لتطورات التاريخية لمتدء على ثلاثة آلاف سنة
راجع إلى قيمة ~~كبيرة~~ من هذه الارض ، قد كانت فيها حلا مشوي
لخصارتين عظمتين في تاريخ البشر ، وهما قد تألقت نعم حضارتها في
سماء الدنيا مرة أخرى . ومثل هذه التطورات التاريخية قد حصلت في
كل من مصر وابل وقارس وغيرها من المثلث . وكذلك بقي وملنة
شبه القارة الهندية أيضاً علمياً في أمر المرأة بين طرقي الإمبراطو ليعريط
فترى به بجانب أن المرأة تستخذ مملوكة وبذل الرجل سبامزلة انالته
وللبسود . وهي محتوم عليها أن تظل "مملوكة" لأنها بكرأ وليلها شيئاً
ولأولاده . ألبماً ، ثم تقدم بضجة على نيران زوجها إذا مات عنها^(١) .
وتحرم حقوق الملكية والإرث . وتكتم بأشد ما يكون من قوانين
الزواج مما يستحق تسليم المسكينة إلى رجل من الرجال بغير رضاها

(١) ان المادك يرفون موتام . وكانوا فيه يرفون زوج البتة
جاً ، حتى منتم الحكومات المسلمة والحكومة الانكليزية بعدها من هنا
الرسم الصبح .

واستموا به ، ثم لا يميز لها أن تتخلص من حيازته إلى آخر أنفاس حياتها . وهي تثق بعد ذلك مائه الإثم وعنوان الانحطاط الخلفي والروحي . ولا يسلم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة . ويجنب آخر أذا أقبل عليها القوم بالملبة والمطبة ، فإنها تتخضع لبسه للشهوات الحيوانية . وهناك تركيب المرأة هوى الرجل ركوباً يكتسبها من قياده فتعقب به الطريق ، حتى تصل به في يداء الحياة وتصل الأمة كلها معها . فهذه التقاليد الدينية الهندكية من تقديس فرج الذكر والابن (لك وولي) وعبادة التماثيل العارية الممزوجة ، وتكريم خادمت المعبود اسواهن Religious Prostitutes واختلاط الجنسين في ألعاب عيد (هولي) وفي الضل الملبس في المياه المقدسة في حال نوثك أن تكون مرياً . ما هذه كلها ؟ وأي شيء نذكره به وتدل عليه ؟ إن هي في الحقيقة إلا " باعيات السوء " لتلك الحركة (نيم ماركية) التي انتشرت في الهند أيضاً انتشار الوياه عقب ازدهار الحضارة فيها . كما انتشرت فيما قبل في بابل وفارس واليونان والروم . وتركت الامة الهندكية في حال التخلف والانحطاط لمدة قرون .

إذ إن تأملت هذا اليبس التاريخي الموجز ، تبين لك مبلغ عجز الانسان عن الاحتذاء إلى نقطة الاعتدال في أمر المرأة وكيفية تقصيره في فهم والاستمساك بها . وهل نقطة الاعتدال في أمر المرأة إلا أن تحتاح لها القروس الكاملة لتفتنة مداركها وإنهاء كفافها ، وأن تزوكل للقيام بتصحيحها من العمل على ترقية المدنية والحضارة الانسانية

بكل ما غلظه من الكفاءات الراقية برقي التمدن . ولا نتروك
 - بجانب آخر - أداة التفسخ والاضطراب الطلقي وسبباً غراب
 الانسانية . بل يجب أن نوضع لنشون الجنسين في مضار الحياة خطبة
 مستقيمة تضمن مشاركتهم في الس كل منافع والبركات للتمدن البشري
 ونقطة الاعتدال هذه ما زالت ضائعة الغيب منذ قرون من السنين ،
 ولكم لم تظهر بها يدٌ ، وإنما بقيت تعبط الظلماء دونها . تارةً تقبل إلى
 التفریط فتجس النصف الكامل من النوع البشري عضواً مطعماً عن
 السمل ، وأخرى إلى الإفراط فتتصب بين طريقي الانسانية بأسباب
 الخلاعة والإباحية والعجز ، فتفرقها صاعاً في لُبّة الضلال .

ليست شقة العدد والاعتدال معدومة اليوم ، بل هي لمن يطلبها
 مبيتة موجودة . ولكن الناس دارت بهم الرعي بين الافراط والتفریط
 منذ آلاف من السنين ، قد أصبحوا لدهشتهم ودهوهم لا يكادون يعرفونها
 إذا هي مثلت أمام أعينهم ، ولا يسمون ، إذا عاينوها ، أنها هي التي لم ترل
 فعارتهم تطلبها وتلتبسها . وأعجب من ذلك أنهم وما يتنكرون لبينة
 فوسم هذه ، ويطعنونها ويشتعلونها هزواً . ثم يسكرون الأمر ،
 فيدل أن يلوموا أنفسهم ، يلومون ويحتجبون من عيوبه مستمسكاً بها
 وداعياً إليها . مثلهم في ذلك كمثل طفل انما يولد في معدن رصاص ، ولا
 يبرحه حتى يشبه . فيكون جوّه الضيق المطم في عينه جواً صافياً
 مشرقاً ، وهواؤه المهبوس الكدر في شموره هواً خالصاً طليقاً . فإن

أنت أخرجه فجاء من مضيق المدين إلى براح الأرض ، لا جرم أنت
بُنكر لأول رحلة كل ما رآه في هذا الجو السافر المشرق ، ويستوحش
منه . ولكن ، لأنسان مهاكل من غداة يئنه وريبته ، إنسان على كل
حال ، فالإلام بأشئ يخفى على عينه الفرق بين سقف من الركام الاسود
والسحاب المتلألئة بالنجوم فواهر . وإلى متى يغوت رغبته التميز بين الهواء
الطائى في غيابة المدين والهواء الطيبى في فضاء الارض ؟

موقف المسلم في العصر الجديد

إذا كان هناك من هو جدير بأن يأخذ بيد الانسانية الخائرة بين طرفي الافراط والتفريط ويهدئها سواء السبيل ، فهو المسلم وحده الذي عنده مفاتيح جميع معضلات الحياة الاجتماعية . ولكن من سوء نصيب الانسانية - وأسفاه - أن الذي كان يده المصباح المثير في هذا الظلام الحالك ، أصيب هو نفسه وبسأواء شغل يخبط في سيره خيط عشواء ، وبدل أن يهدي غيره من خلق الله ما زال - ولا يزال - يضيء وراء كل معشرف ويتبع كل نافع .

إن حجة الاحكام التي يُطْلَق عليها عنوان (الحجاب) هي في الحقيقة مشتملة على أمّ جزء قانون الاجتماع الاسلامي ، فإذا وُضعت هذه الاحكام موضعها الصحيح في عالم ذلك القانون كماله ، ثم تأملها أحد حبه ألقاه من البصرة العاتية السليمة ، لم يلبث أن يتعرف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التي تضمن القصد والاعتدال في الحياة الاجتماعية ، وأن هذه المجموعة من الاحكام إن عُرِضَتْ على العالم متفردة في الحياة العملية بروحها الحقيقية الصحيحة ، لهُرُوت الدنيا المكتوبة إلى هذا المنبع

السلام ، تنتمس فيه الدواء لأدوائها الاجتماعية ، بذلك أن تنقرضه أو
تظعن عليه . ولكن من لك هذا لامر ؟ عزاء القدي كان سحرأ به اقبال
به لا يزال هو نفسه صريح المرض منذ زمان ، ولله يمجى بنا ، قبله
أن تقدم في البحث ، أن تنظر في كيفية مرضه تقاره :

السياق التاريخي

في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت
أهالك الإسلامية بطوفان من لامتهار الغربي . وبين المسلمون في هجود
الكبرى ، لم يستيقظوا بعد كل البقعة ، جعل هذا السيل يمتد من قطر
إلى قطر ، حتى شرف العالم الاسلامي وغرب ، وما ن تصف القرن
التاسع عشر حتى شئت معظم الامم المسلمة عبيدأ للغرب الاوربي وجولأ
له . والتي لم تسجل منها في عوديته ، لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورحمة
بأسه ومجده . ولا طلع هذا الانقلاب قامة ، بدأت في المسلمين آثار
البقعة والحركة ، فما فتحوا أعينهم على الحال التي قد مروا منها ، فغلت
وعيمهم ووال عنهم بقعة ذلك لفتار القومي الذي طالما قاسل لهم ببعثهم
في عز اشفة ومعد اسيادة من قرون متواليه . فمادوا بفكرهم في
أنفسهم ، كالسكران بسجبة قوالي المرات من عدوشديد ، ويصيحون
عن الاشیاب التي هبطت بهم وعالبت الافرنج عليهم ، غير أن عقولهم لم
تكن ثابت بعد إلى رشدها ، إذ كان السكر لا يرب قد ذهب عنهم
ولكن ميزان الفكر كان بعد غخلا بهم . فبجانب ، كان يلح بهم شمو

بالقوة والحوار ، ويؤزم أراً على تبديل مام فيه من الحالة ، ويجانب آخر ينهم من حب الراحة وإيثار اللذة والارتجاء ما يحلمهم على توجيه أقرب الطرق وأسبها لتبديل تلك الحالة . وقد حارت قلوبهم من حبة نائمة قوى الفكر ونقل وسدّت ملكات قلوبهم والقداء ، بطول تعطيلهم عن العمل . زد على ذلك كله ما أخذ يجاس نفوسهم من الدهشة والروعة التي تتري بالطبع كل أمة مهزومة مستعبدة . وتفاعلت هذه الأسباب في محبّ الإصلاح من المسلمين وأوقعتهم في صكثير من الصلالت المقلبة والعملية . فأكثرهم ما كانوا يفتنون للأسباب الحقيقية في ارتقاء أوربة واعطاطهم . وأما الذين فهموها منهم وأدركوها ، فأعزّم من أمد الحمة والمزينة والروح المجاهدة ما يشحنون به على اختيار الطرق الورع للرقى والتقدم ، وكان من وراء ذلك كله الروعة والدهشة التي تشترك فيها كلتا الطائفتين على السواء . فلما مضوا بهذه العقليّة المربضة الزائفة يريسون الإصلاح لم يروا أخصن لرقى ولا أدنى للوسوك اليه من أن يحاكوا في حياتهم اليومية كل مظاهر التمدن والحضارة النربية ، فيعودوا كالمرآة الصافية يري فيها خيال الروسة والازهار والرياحين ، وليس فيها من حقيقة هذه المناظر شيء .

العبودية العكسية

وهذه هي امتره البشرانية التي غدت الامم المسلمة فيها تحاكي أمم الغرب في الزيم واللباس ، وتشبهه بها في مظاهر الاجتماع . وفي آداب

القبائل وأطوار الحياة ، حتى في الحركة والتي واتكم والتعلق . وسولوا
تشكيل المجتمع المسلم على العينة النورية . وقبلوا الاتحاد والدمية والدية
في نشوة التجدد . بدون حيلة أو شعور بالمواقف . وعدوا من لوازم
التطور الفكري إيمان المرء بكى . بداهة من قبل اقرب من فكرة
خاصة أو فكرة والإضافة به في محاسنه . ورحبوا بالحر والقهار واليانصيب
وسبب الخيل . ومالئ ذلك من ثرات الحصار النورية . ثم سلخوا بجمع
معتقدات انثرب وأعماله في الاخلاف والآداب والاجتماع والمعيش والسياسة
والفنون ، حتى في دلالاته الايمانية واسادات سلخوا بكل ذلك من غير
فهم وشعور أو قد ونجرجع ، كأنه قترهل من حكمهم حميد ، يس لهم
قيلته إلا أن يقولوا : آمناً . وأصبح المسلمون بأنفسهم يستحيون من كل
حافظ اليه أعداء الاسلام الفنداء بين التحضر أو التعبير ، من وقائع
التاريخ الاسلامي ، وأحكام الشرع الالهي وآثار الكتاب والسنة ،
وطبقوا بمحاولون أن يحو تلك السنة عن أنفسهم . . . اعترض أهل
انثرب على ما عدهم من الجهاد . فقال هؤلاء : مالنا والجهاد بأمانة ؟
بأن نمود بأفقه من هذه الممجة . واعترضوا على لرف . فقال هؤلاء :
لما هو حرام عندنا أصلاً . وأطالوا لسان القدح في تعدد الزوجات . فقام
هؤلاء يستحيون آيات القرآن ويجردون انفسهم عن موصفه . ثم قال
أولئك : لا بد من مساواة الرجل والمرأة في جميع نواحي الحياة . فواقفهم
هؤلاء قولهم : هذا هو الذي يملسه ديننا أيضاً . وطمع الثورم في
شوائن الزواج والعلاق في الاسلام . فقامت طائفة من المسلمين تعالجها

جلا سلاح والتمديد . ولما علموا الاسلام بأنه عدو للفنون الجميلة ، استدرك هؤلاء قائلين : لا ، بل مآزال الاسلام ، مذ كان ، يشرف على الرقص والموسيقى والتصوير ونحو التماثيل .

نصرة مسأرة الحجاب

كان هذا الدور أثبت الادوار وأخزاه في تاريخ المسلمين . ففي حسدا النصر نتأت مسألة الحجاب . ولو كان البحث في هذه المسألة مقصوراً على تعيين الحد الذي وضعه الاسلام لطرية المرأة ، فإن الامر ، ولم يتمصر حله . لأن أكثر ما هناك من الاختلاف بين المسلمين في هذا الباب هو متعصر في وجه المرأة وبديها : هل يجوز إرزاها أم لا ؟ وليس هذا الاختلاف بمغيب حدها ، ولكن الواقع هنا غير ما ذكرناه . الواقع في الحقيقة أنه نشأت هذه المسألة في المسلمين لكون الغرب قد خطر إلى الحجاب ونقاب الحرم بين المفت والازدراء وصورة أفسح تصوير وأشنه فيا كنت وئسر ، وعدت (عيسى) المرأة من أبر عيوب الاسلام . وأئسى كان للمسلمين أن ينضوا على هذه النقطة التي أخذها الغرب عليهم بما أخذ . فعملوا في هذه المسألة .. الحجاب .. مثل ما عملوا أيضاً في مسائل الجهاد والرق وتمدد الزوجات وما شاكلها من المسائل ، فصدوا إلى الكتب والسنة يتصفحون أوراقها ، وإلى كتب الفقه والاحكام يتقنون عن اجتهادات الأئمة فيها ، سلسهم يجدون في انشائها ومطابوها حايثونهم على فشل هذا امار للدمع عن أنفسهم . فذا بهم يقعون على أقوال

لبعض الأئمة تعيين للمرأة أن تبدي وجهها ويديها وتخبرج كذلك من بيتها
لحوادثها ، ويسلم منها أيضاً أن المرأة يجوز أن تشهد الغروب لسقي
المجاهدين ومداداة المرضى . ثم وجدوا في تلك الأقوال بدءاً بخروج
المرأة إلى المسجد للصلاة وحلوسها للتمتع والتبليم . فكدهم هذا التقدير من
المعلومات لأن يدعوا أن الاسلام قد أعطى المرأة حرية شاملة ، وأن
الحجاب من تقاليد الجلاء ، اتخذها المتأخرون من المسلمين الحاسدين
المحافظين ، ويجلو من أحكامه ، القرآن والحديث . ويعا القرآن والسنة
يملن الحياء والخشوع على سبيل التبليم الخافي ، وليس فيه قانون أو ضابط
يقيد حركة المرأة وتنقلها بقيد ما .

الحركات العقلية

ومن الضعف الطبيعي في الانسان أنه إذا اختار مذهباً من اديان
في شؤون حياته يكون بدء اختياره لذلك المذهب ، سرعة عاطفية غير
عقلية . ثم يأتي بعد ذلك ، فيستعين بالمنطق والفعل على اثبات كون نزعة
تلك صحيحة معقولة . كذلك وقع في أمر الحجاب أيضاً ، فلما عرضت
للمسلمين مسألة الحجاب لشموهم ضرورة عقلية أو شرعية ، وإذا كانه
ماتاً فهم ذلك التزوع والميلان الذي نشأ من تأثيرهم بريق حضارة أمة
عالية ، ومن ارتببهم لبعية تلك الامة في عده التمدن الاسلامي .

وذلك أن رجال الاصلاح من المسلمين لما رأوا المرأة الاوربية وهى
هى عليه من ذينة وتجميل ، وعصرية في الحركة والحولة ونشاط زائد في

في الاجتماع القومي . . . رأوا كل هذا بكون مسحورة وعقوف مندهشة ، فنشوا بدفع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسايم أيضا ، حتى يحاري تمدنهم تمدن لغرب . ثم أثرت فيهم أساطير الحديعة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة الصنفين . . . التي كانت تنصت عليهم كالوايل المدوار بلغة قوية منطقية وفي طبع أمين جذاب . حتى أمانت هذه الكتب والنشورات القوية بقوة دعائها مسكا انقذوا لحرر فيهم . فاستقر في سويداء قلوبهم أنه لا بد لكل من يرغب أن يمد من (الستيرين الجدد) وبدفع عن نفسه توبة الرجعية و (الديتافوسية) أن يؤمن بذلك النظريات إيماناً بالثبوت ويؤيدها ويحمي عنها فيما يكتب ويحيط ، ثم يروجها في الحياة العملية حسب ما أوتي من قوة وجراءة . كان هؤلاء تكاد تسوح بهم الأرض من فرط الجحيل حين يرون الثريين يتكئون نسايم . لتتقبلت المستورات في اللباس البادي ، وينبزون بـ (الخنزير المكتملة المتحركة) ، وإلى متى ، يا نزي ، يطيل القوم الصبر على هذه الوحزات ؟ . لذلك استمدوا آخر الأمر . بالرضا أو بالكثرة . لأنه بقوموا فيدفعوا عن أنفسهم هذا لمار الشخزي .

وهذه هي التمرات والواطف التي يستلهم على القيام بحركة (تحرير) المرأة ، التي قاموا بها في أواخر القرن التاسع عشر . فهم من كانت هذه النزعات كالمدة في شعورهم الخفي ، علا يثرون بأنفسهم ماذا يحرقهم ويدفعهم إلى تلك الحركة ، فكانوا يخدعون عن أنفسهم . ومنهم آخرون كانوا يشعرون بتزعهم تلك شعوراً تاماً ولكنهم يستحيون

ويحجمون عن إبداء زعاتهم الحقيقية ، هؤلاء لم يكونوا يتدعون بل
 دهاء "خادعين" وصحى كل "قام هذان الفريقان كلاهما بمثل واحد هو أنه
 سحب ذيل الخفاء على الحركات الحقيقية لحركته تلك وحاول أن
 يظهرها عظمى حركة عقلية بدلاً من إظهارها حركة "طنية" وساق في
 تأييدها جميع الأدلة التي تلقاها من الغرب مباشرة "كمصحة النساء
 وارتدتهن في مجالس الذكر والعدل" ، وحقوقهن الصغرى واستقلالهن
 الاقتصادي ، وتخلصن من ظلم الرجال وأثرهم ، وانحصار "في" المدينة
 في رقبتهن ، لكونهن شطراً كاملاً من الأمة . - إلى آخر هذه الحجج ،
 حتى يتخذ عامة المسلمين ولا يتضح عليهم صميم المقصد من تلك الحركة ،
 وهو حمد امرأة المسلمة على اقتداء آثار المرأة الأوروبية وانتشاع الطرق
 الاجتماعية الرثية بين أمم الغرب .

الخارج المدّ كبير

ولكن أدهى وألحث ما عاودوا يذعنون به الناس في هذا الصدد هو
 احتياطهم لإنيات حركتهم الصالحة موافقة للاسلام إستيعاباً من التركات
 والسنة ، مع أن هناك بوياً يبدأ بين الاسلام والحضارة الغربية في المقاصد
 العامة ومبادئ تنظيم الاجتماع . ذلك أن المقصد الرئيسي الذي يريد أن
 يحققه الاسلام هو - كما سنبينه فيما يأتي - كسح جميع عريضة الانسان
 الجنسية (Sex Energy) وضبطاً وتقييدها بضابط خفي يضمن
 استعمالها في بناء تمدن صالح معطر ، بدلاً إخمادها وتضييدها في الفوضى

الصلية والمهاج الجنسي، ومقصد التمدن الغربي .. بخلاف ذلك .. هو حث سير التمدن بإشراك المرأة والرجل في تدبير شؤون الحياة وتحمل تبعاتها على حد سواء ، واستبدال التراث الشبواني في مشاغل وفنون تجويز متاع الحياة وآلامها إلى لذات ومسررات ، ومن نتيجة هذا الاختلاف في المقاصد بين الاسلام والتمدن الغربي ان يكون بينهما اختلاف جوهري في طرق تعليم الاجتياح . فالاسلام يضع نظاماً للاجتياح حسب مقاصده فد فصل فيه بين دائرتي عمل الرجل والمرأة إلى حد كبير ، وسطر اختلافاً الذكور والإناث بدون قيد خلقي ، ثم حسمت فيه جميع الاسباب التي تخل بهذا الضبط والتقييد . وبخلاف ذلك فإن ما تقتضيه طبيعة المقصد الذي يرمي اليه التمدن الغربي ، هو أن يدفع الجنسان - الرجل والمرأة - إلى ميدان مشترك في الحياة وترفع من بينها جميع الحجب التي قد تحول دون استغلالها الحر ومعاملتها المطلقة ، وإن نتاج لها القصر الكاملة غشير المحدودة لاستمتاع أحدهما بمجال الآخر ومحاسنه الجنسية ،

ولك ان نقدر منه أنه ما أمكر القوم الذين يريدون بمحاسب آت يتبنوا التمدن الغربي ، ثم يتبعون لتعليم ذلك بقوانين النظام الاجتماعي الاسلامي ، وما أكبر خداعهم هذا الذي يمدعون به أنفسهم أو غيرهم . إن أقصى ما أوتيت المرأة من الحرية في الاجتياح الاسلامي هو أن تبدي وجهها ويديها إذا دعت الضرورة ، وأن تخرج من بيتها لأوان الحاجة ، ولكن هؤلاء يجهلون هذا الحد الأقصى من حريتها نقطة البدء وبداية

المسير ، فيقومون من آخر حدود الاسلام ويتقدمون في سبيل الحرية
ويجنون ، إلى أن يخلعوا عن أنفسهم كل الحياء والاحتشام . قلابا بقف
الامر بإناتهم عند إبداء الوجه واليدين ، بل يجاوزه إلى عرض الشعر
المسرح والذراع المكشوفة والنص المراءن أو شبه المراءن ، ولتساورة
ذلك من عمارن الجسد ومفاثه في ليس شفاف يتم عن كل ما يرخي شهوة
الرجل . وهذه الهيئة لا تبدو فيها الارواح واليدين والاحوات أمام
عوار من فقط ، بل يخرج من بكل تخرج من بيوتين وعيشين في الاسواق
ويطعن في الكليات مع الرجال وبأعين الخنادق ويسارع ، ويسح لمن
من التكلو لمداعية مع الا جانب ما لا يباح لمن في الاسلام حتى مع إخوانهم!
وتجمل رخصة الاسلام للمرأة في الخروج من البيت عند الضرورة
ويشترط مراعاة حدود السر والتزام الحياء ، على أن تقدر وترجع في
الطرقات وتنشئ للنزاهة وتتردد إلى الملاعب ولست بممرتبة أحمل
اللباس الجذبة وانتهى الناظرين بالحركات المغرية والظلمات الجريئة .
ويجند إذن ' لاسلام للمرأة في ممارسة أمور غير الشؤون المنزلية قد دلت
الإذن بتقييد الشروط بأحوال وضرورات خاصة ، يتخذ حجة " ودليلا
على أن تودع المرأة المسمة كالفرنسية جميع تبعات الحياة المنزلية وتدخل
في النشاط السياسي والاقتصادي والمماري ، فسيبر الرجل وتسمى معه
بل تسبقه في كل ميدان من ميادين العمل !

وبذلك لا امر وانما عند هذا الحد في البلاد الهيدية ، فلو قد
طلى كل الحدود في بعض البلاد المسلمة حيث قد ونسب به أو شك الأحرار

في سياستهم ، العبيد في عقليتهم أشواطاً طويلاً ، فقد أصبحت النساء
 "المسلات عندهن ليس عبيات القبايل التي تلمس المرأة الأوروبية ، حذو
 "القدة بالغة" ، وأدعى من ذلك وأمر أن تنشر الحلات من صورهن
 حائري فيه إحداهن في ليس أسباحة على شاطئ البحر ، ذلك القبايل
 الذي لا يستر من جسدها إلا الزرع ويكشف الثلاثة الأرباع الباقية كي
 الكشف ، وحتى ذلك الزرع لا يستره إلا بحيث تبدو من خلاله جميع
 مدنى الجسم من أكتاف وتؤات .

ولا ندرى أي القرآن أو الحديث يستخرج منه جواز هذا السخط
 "ليبتذل من الحياة . وإنكم فالإخوان التجرد إن شاء أحدكم أن يبيع عبر
 سبيل الاسلام فلا يجترىء ويصرّح بأنه يريد أن يبنى على الاسلام
 ويصلت من قانونه وهلا برأ بتعنه عن هذا النقص القمع والحياة
 الوقفة التي تترن له أن يبيع علماً ذلك النظام الاجتماعي وذلك النمط
 من الحياة الذي يجرم الاسلام كل شيء من مبادئه ومقاصده وأجزائه
 العملية . ثم يخطو الخطوة الأولى في هذا السبيل باسم انتاع اقرآن
 كي يتخذ به الناس فيحسبوا أن خطواته التالية أيضاً موافقة للقرآن .

غايتنا في هذا الكتاب

هذه هو حال المسلم في هذا العصر الحديث . فبين يدينا الآن
 وجبات اثبات البحث ، متضمنها نصب عينيها : إن شاء الله في
 هذا الكتاب .

أولها أننا نريد أن ندرج نظام الاسلام الاجتماعي وبيئته لجميع بني
آدم - مسلمين كانوا او غير مسلمين - ونوضح لهم امالح التي من أجلها
شرح الحجاب في هذا المقام .

وإلخافي أنه نريد أن نضع بين أيدي مسلمي هذا العصر أحكام التراكيد
والحديث ، ونضع أمامهم بآرائها نظريات تمدن والاجتماع الغربيين
وشرائها ونتائجها ، حتى يختاروا لانفسهم أمراً بعبه من الامرين ، شأن
أهل الزنافة والحد ، ويتركوا موقعهم الحاضر الذي هو أجدر بنوي
التفاه ، وما أن يتبعوا احكام الاسلام ، إن كانوا يريدون أن يقو
مسلمين ، أو أن يقطعوا صلته عن الاسلام ، إن كانوا مستعدين لقبوله
ذلك المواقب الوخيمة التي سيمير النظام الاجتماعي الشرقي باسم
إلخا لا محالة .

التنظريات

إن الأسباب التي من أجلها يملن المتعلمون في الحجاب ليست من
أنوع السلي، وكفى، بل هي قائمة في الحقيقة على أساس انجابي توريثي
الحجة والبرهان. وليس مبعثاً أن القوم يرون قرار النساء في البيوت
وحروبهن منها متواريات بالحجاب نوعاً من التقيد والتضييق لا يجوز
فيريدون الناه. بل الأمر أن نُسب أعينهم صيغة أخرى لحياة المرأة
وم يستقلون بنظرية في علاقة ما بين الرجل والمرأة، فيريدون ألا تقبل
المرأة ما هي فاعلة الآن، بل تخرج من طورها الحالي وتقبل (شيئاً آخر)
ولما كان الحجاب وملزمة البيت حائلاً بينها وبين تلك الصيغة المنشودة من
الحياة، واعتقاداً لها من أن تقبل هذا الذي، لآخر، فأنهم يتبعون على
الحجاب يدبرونه ويترضون عليه .

فلتتظر ما هو ذلك (الذي الآخر)، وماذا وراءه من نظريات
ومبادئ، وما هو مبلغه من الصحة، وإلى أي حد يستسيغه العقل، وما
هي النتائج التي قد ظهرت له بالفضل، وبديهي أننا إن سلطنا بنظريات
هؤلاء القوم ومبادئهم كما هي بدون نقد أو تمجيد، فلا جرم أن يسود

«الحجاب شيئاً باطلاً ويقوم البرهان على ضلال النظام الاجتماعي الذي من
أجزائه الحجاب» ولكن ما البرهان لأن أسم ينطريتهم تلك بدون أن
تتقدمها وتجربها على عمك لنقل والتجربة ؟ وهل يمكن أن يكون أمر من
الأمور جديداً مستحدثاً ، وكونه في الدنيا رائجاً مقبولاً لأن يقبله
المرء ويؤمن به بدون تحقيق أو تمحيص ؟

تصور الحرية في القرن التاسع عشر

إن أساطين الفلسفة والأدب وأقطاب العلوم الطبيعية ، الذين رسموا
لواء الإصلاح في القرن الثامن عشر ، كانوا - كما سبق لنا الإشارة -
يحاربون نظاماً للتمدن فيه أنواع من القيد والسود وفيه ضلالة من غير
عروفة ، وعشر من غير يسر ، طائفاً بالتقاليد النارية التي لا يقبلها الطبع ،
والضوابط الجامدة والنفارقات المناقضة للقطرة والفعل . وزاد طينته بلة
انحصار القوم المتواصل على طول لقرون ، فجعله عقبة كاداه في كل
طريق الرقي . فحجابه كانت النهضة العلمية ولعالية الجديدة تست في
نفوس الطبقة المتوسمة أشد الميل إلى التقدم والبروغ بالعمل والاجتهاد
الذاتي . وبما أنه آخر كانت على رؤوسهم طبقة الأمراء والزعهاء الدينيين
تبالغ في شأنهم بالأعلال التقليدية . فمن الكنيسة إلى الجندية والقضاة ومن
قصور الامارة إلى المزارع ودور التجارة . . . كل شعبة من شعب الحياة
وكل مؤسسة للتطلعات الاجتماعية كانت تجري على نظام بتبع لبعض الطبقات
المحصومة - بمحجة امتيازاتها القديمة وحقوقها المتوارثة - أن تسمو وتحمور

على من لا ينتمي إليها من السالمين لناهضين، فتذهب بهار آمحالمهم وتتناثر
 بتناج مواهبهم وكفاءاتهم ، فكل عروة يقوم بها القديقون لاصلاح تلك
 الحال كانت تحجب وتفسد بوزء اثره الطبقات لمسيطره وحولتها . لهذه
 الاسباب كلها عدت الطبقات ، لتاشدة للاصلاح تدور في تقوسهم مع الالام
 قارة الانقلاب الجامعة ، حتى علت عليهم وعتمهم آخر الامر زعات البني
 والثورة على هذا للنظم الاجتاهي بجميع شعبه واجزائه . وراج بين
 انفس فطرية متعارفة في الحرية الشخصية زعي إلى اعطاء المرد الحرية
 التامة والإباحية المطلقة لزام الجميع . فأصبحوا ينادون بأنه يجب أن
 يكون للفرد الحق المطلق في حمل مايشاء والحرية الكاملة في ترك مايشاء
 وليس للجماع أن ينتزع منه الحرية الشخصية . وأما الحكومة فواجبها
 أن تحافظ على هذه الحرية التي يتمتع بها فرد في تصرفاته ، وأما المؤسسات
 الاجتماعية فينبغي ألا تكون تعاقبها سوى إمانة الفرد على تحقيق مقاصده .

هكذا التصور الحالي للحرية ، الذي كان في الحقيقة نتيجة غض
 وسخط على نظام اجتاهي قائم على العلم والخيف ، كان يحمل في عطاويه
 أسباب الفساد الأكبر . والذين تقدموا هذا التصور بإدىء ذي بدء ،
 ما كانوا ، بأنفسهم طرفين بنتائجهم المنطقية . ولعل أرواحهم كانت تهتز من
 الذعر ، لو تمسكت أمام أعينهم تلك النتائج التي كانت ستؤول إليها من
 هذه الإباحية المطلقة و لعمري لما تابة اصبغة ضربة لازب . إنفراد أولئك
 أن يتخيلوا هذا التصور المتطرف أداة لمنع تلك الشدة لظلمة وتلك
 تلك انقيود ثقيلة غير المعادلة التي كانت توجد في مجتمعاتهم ، ولكن فأصل

هذا التصور آخر الأمر في الذهن الغربي، وأصبح يشو ويؤكد
ويؤتي أكله .

تغيرات الأحوال في القرن التاسع عشر

في هذا التصور المتطرف للحرة هو لدى حدثت تعمله الثورة
الفرنسية الكبرى^(٥) . فجاءه تبطل كثيراً من النظريات الخلقية
القديمة وتهدم لقواعد المدنية والدينية المثقة . ولما تمخضت عند صحابه
الثورة أن سقوطوا وانهدام كان سيد الرقي ومبث طرية ، استنتجوا
منه وقرروا أن كل نظرية وكل طريق عملي ترك الهم من السيف عمقة
مستخرجة في طريق الرقي ولا ردهاء ، ولا يمكن التقدم الى الامام بدون
إزاحتها عنه . لذلك ما إن فرغ رجال الثورة من أعمال ليادى الخاطئة

(٥) من هذا التصور لحرية الفردية توالى النظام لرأى حاله ، ونظام التمدن
البيعراطي والاباحية الخلقية (Lasciviousness) . وجرت هذه النظم على
أوروبية وأمريكا من انظم والهدول في عدة قرن ونصف تقريباً ما حل الاسمية على
البي والتدريعية . ذلك بأن هذه النظم أبنت لقن إلتال مصلحه على مصالح الجماعة
ومتانها وقررت شمل الحياة الجماعية . فكانت الاشتراكية (Socialism)
والفاشية يتبعين لذلك النهي والطريقان . إلا أن هذا الإصلاح والتصير الجديد جاء منذ
بداية مطبوع على نوع آخر من الفساد هو أنه قد أريد به إصلاح شيء متطرف
بآخر منه في الطرف . وبما كان خطأ تصور الحرية الشخصية في القرن الثامن عشر
أنه كان ينبغي بالجماعة لاجل مصلحة الفرد ، يد خطأ تصور (الجماعة) في القرن
المتبعين هو من جهة أنه يريد أن يصحى الفرد لاجل مصالح الجماعة . وأما النظرية
المتعدلة المتوسطة للفلاح الانسانية ، فلا توجد في دينا الفصل اليوم ، كما لم يكن لها في
القرن ثامن عشر وجود !

للعالم الخلقية المسيحية ، حتى أنشأوا مجولاً اعتقادهم على الصورات
الأساسية لنظام الاخلاق الانسانية ، يبرحونها وشككون فيها
ويتساؤلون : ما هذا العاف ؟ وما هذا اعظم والتضيق على الشباب الجاهل مع
بقود الصوى ؟ ونى ذلة تنزل بالأرض إن أحب المرء حبيبة بدون
رواج ؟ ثم اذا تزوج لمدهم بل يفارقه قلبه ، حتى يحرم عليه الحب
فما بعد ؟ فمثل هذه الأسئلة أخذت تنشأ وتوجه من كل جانب في
المتنوع الاقلاي الحديث ، وأثر ضخم - بوجه خاص - الحلقة المنتمية
الى المذهب الرومانتيكي (Romantic School) . كانت جورج ساند
(Georg Sand) زعيمة هذه الحلقة في مطلع القرن التاسع عشر . بدأت
بنفسها بالخروج على جميع المبادئ الخلقية التي مارال عليها مدر الكرامة
الانسانية ، وعدم المرأة على الآحس ، منذ الازل . اد أنشأت الاخذان
على كونها متروجة من رجل ، حتى آل الامر بينها وبين زوجها الى
الفرقة . وغدت بعد ذلك تسبدل زوجها بزواج ، ولم تعثر لحدأ منهم
أكثر من عامين ويجه القارىء في ترجمة حياتها أسماء ستة أشخاص
على الأقل كانت تتفادهم علناً . وبصفتها أحد هؤلاء الاصداق
الستة هذا يأتي :

« من عدة جورج ساند انها تصيد فراشة حائلة بحملها ، فتجسبها
في قفص من الزجاجين ولازارها ، وتمشع بمنظرها . . . وهو دور
عجبها وإقبالها . ثم تأخذ به ذلك توسع الطائر المسكين بوض الإبرة
وتلتنجها ترى من قلمه واضطرابه . . . وهنا عيسد نفورها وإدبارها ،

ولا بد من مسألة شدايد هذا العهد لكن من شاء له القدر أن يتبع فيه
إساره ، ثم تعود هجر " أجنحة الفراشة المملّقة وتندو تدرجها وتحلقها
حتى تلقى بها أخيراً الى حمة الفراش التي تتخذ منها أبطالاً لرواياتها » .

وكان من مئين عشاقها أليشا الشاعر الفرنسي العرد موسى
(Alfred mosse) الذي بلغ من نسه الأسى والالم من جفاء عشيقته
أن اوسى حين وفاته : " الا " تحضرن " جنازته جورج ساند . فهذه هي
لأخلاق والسيوك السيلي الذي كانت عليه تلك القريحة العظيمة التي
تبيت تؤثّر في نفوس انشاء العرشي أبسح الأثر بكتابتها القصصة
الرائحة . واقرأ ما كتبت عن (ليليا) الى (استينو) في روايتها مشهورة
ليليا (Lelia) :

وكلم أستريدمن لنظر في هذه الدنيا وأتقدم في تجارمها ، أستشعر عيني
الخطأ الذي أيدى أفكار شديتنا ، فما أخطأ التفكير انما للقاء صديقي . بالحب يجب
أن يكون مقصوراً على حبيب واحد . ثم يكون ذلك حب الخلود متولياً
على قلبنا فذمته الى الصميم ، ويجب أن يكون أدياً سرمدياً . لا ريب أنه
يسمي للعرد ان يفسح ذرعه لجميع الافكار والظنرات المختلفة . ومن ثمّ اما
أعترف بأنه يحن لبعض اموس أن تلتمع الوفاء في حياتها الزوجية .
ولكن الحق أن أهكثر النفوس له حاجات أخرى وفيها مواهب
وكفادات لا وراء ذلك . ويقيم لذلك أن يتسامع الحببان فيها ويتها ويرضى
أحدهما الآخر بالحيرة في الفكر والعدل ، ويدحر من قسه الآثرة التي

تبحث في الفوس الحسد والثيرة والمتاسة... كل أصناف الحب صحيح ،
شديداً جاعها كان أو هادئاً مبتدلاً يوشى وأنيا كان أو روحياً ، وأبدياً
كان أو عارضاً متحولاً ، وسواء أكان يدفع الناس إلى الاستحسار أو
يسدخل عليهم المنع والافذات ، وفي رواية لها أخرى جك (Jaques) ،
تذكر جورج صند صفه الزوج الذي كان أمثل غودج عندها للزوجية .
وذلك أن امرأة بطل الزولية (جاك) تملئ أحنياً وترتمي في حسنه ،
فلا يفضها عليه الزوج السمتع الواسع الطرف ولا يفر منها . ويبين
السبب في عدم فوره منها . بقوله : « ان الزهرة التي تنفوخ لأحد
عيري وتلثمه برأسها ، ماني دلكها بيدي » أو أملاًها تحت قدمي .
ونقصي لصداية في روايتها وتقول في مقدم آخر منها على لسان
(جاك) :

« لم أكن وأني ، ولم أصالح المجتمع ، وإن اسكاح في رأي لا يظفر
الطرق الاجتماعية وأكثرها همجية » . وإن كتب للجيل الانساني أن
يقدم حقاً في طريق الحق والعدل ، فكلاًين عليه حين من الدهر
' يطني الشكاح ' ويستبدل به طريقة أخرى لا تقل عنه قداسة وطهر ،
ثم تكون أدنى منه إلى التذلل والانسانية . حينئذ سيتألف الجيل
الانساني من رجال ونساء يتساجون لن يتجبر أحد منهم على حرية
الآخر . أما الآن فقد بلغ من أثر الرجال ومسولة النساء ألا يطالب
أحد منهم بقانون أكرم وطريقة أمش من هذا القانون ، وما دام القوم

على هذه الحال من فقد الصلاح وضعف الضمير ، ليس بمفوا في هذه
القيود افادحة ، ولا آثالي . »

هذه الأفكار ، تقدموا بها حوالي سنة ١٨٣٣ م . وهي أنصى
ما استطاعت حورج صاند أن تُصن عليه . أما المضي بهذا التصور إلى
نسيانته اللطيفة ، لم تجزىء عليه حتى هذه الزعينة ، إذ كانت مع كل
حربتها الفكرية واستلانتها النفسية ، لا يخلو ذهنها من طلة الاخلاق
للمتوارثة القديعة . ثم خلفتها في أرض فرنسا بعد ثلاثين سنة ونيف ،
خاتمة أخرى من رحا الالف وعلواء الاخلاق وكتشأب المسرحيات ،
كان على رأسهم الكسندر دوما (Alexandre Dumas) وألفرد ناك
(Alfred Naquet) . ستفرضوا جهودهم لإشاعة الفكرة المائلة بأن
الحرية والتمتع بلذات الحياة في ذاته حتى ضروري للانسان ، ومن
عدوان المجتمع على افراد أن يقيد حقه هذا بسلال الاخلاق والتمدن
وبينا كانت المداولة بحرية الفرد في أعماله تُقدم بما قبل باسم عطمة الحب
القدسية ، استنصف المتأخرون هذا الأساس الماطني المحض ، فاجتهدوا
للتعم الخيرة الشخصية والجرح وغوضي الفردية ، على أسس محكمة من
المقل والحكمة والفلسفة ، حتى يأتي العتبة والعتبات كل ما يمازون
بقلوب هادئة وضائر مطمئنة ، ولا يجزىء المجتمع على التفتي من علوانه
شبابهم ، بل يحسنها منهم ويصدها جواراً في شرع الاخلاق .

وفي أواخر القرن التاسع عشر قام بول آدم (Paul Adam)

وهرى باتلي (Henry Bataille) وبيروني (Pierre Louis)
 كثير من الأدباء غيرهم مهمة تقع الجراءة المساجنة في الشباب ، حتى
 تتخلص النفوس من الإحجم والشكول البني فيها بتأثير التصورات
 الخلقية القديمة . هذا بول أدام كسترسل في ملامه للشباب في كتابه
 (Le moral - de - l'amour) لتخفيف وحنانهم إذ يحاول أحدهم أن
 يفتح حبيبته أو حبيبته . صدقاً وكذباً . أنه متالك عليها متعاز في حبيبته .
 ولن يتحول عنها أبداً الدهر ، ويعني بعد ذلك يقول :

والسبب في كل ذلك أن شهوة الذات - هذه الشهوة لصحبة التي
 قد رُكبت في صورة كل إنسان ، وليست من ، لائم أو السبحة في شيء -
 شوب وترددي لظلة الأفكار القديمة على النفوس ، بحيثال المرء بلا سبب
 لإخفاها وراء كلمات حلققة مزوغة . ومن أكبر ما يؤخذ على الأمم
 اللاتينية أن الاثنين المتحابين منها يتأتم أحدهما من مصارحة الآخر بأنه
 لا يلاقيه ولا يجتمع به إلا " للذند وفضاء شهوة جسدية ليس غير " ،
 حينصح الشباب بعد ذلك :

« عليكم بالتهذيب والتبذل والرشد : فلا تتخذوا أدوت متشكك
 وأسباب للتمسك ^(١) لئلا ألكم لا تصرفون عنه إلى غيره . فإنك لا تمنح
 من يختار لنفسه حشماً واحداً في " موشمة الحب " ، ويقم على عبادته

(١) المراد بولادام الرجال والنساء الذين يتسلم رجل أو امرأة لفضاء
 شهوته الحيوانية .

دون غيره . وإعاً يبقى الفرء أن يتخبط ساحباً جديداً لكل ساعة من
ساعات لذة وعونه .

وتقدم مير لوي هؤلاء حبيماً ، وأعلن علناً أنه القيد الأخلاقية
سائلة في الحقيقة دون غيره . فمن الانساني ونشوء مداركهم . وما دام
الإنسان لا يحطم أنفاله ، ولا يتشبع بلذات نفسه وجسده تنهم الحرية
ولا يمكن ارتقاء عقلي أو علمي أو مادي أو روحي . فأقول هذا الأديب
بكل ما قرسمه من قوة وحزم أن يبرهن في كتابه أفروديت
(Aphrodite) أن بابل والاسكندرية وأثينا وروما واستدقة وكل
مدنها من مراكز المدنية والحضارة كانت على أوج مجدها وأنتم
ازدهارها حينما كانت الميوعة والباحية واتباع الأهواء (Licentiousness)
فيها على أشدها . ولكنه لما منيت الشهوات الانسانية في قيود الاخلاق
واستقامات القانون ، تقيدت روحهم ووجدت في تلك القيود ، كما
تقيدت فيها أهواؤه وشهواته .

مير لوي هذا كان في زمانه أدبياً ذائع الصيت وكاتباً فارح الأسلوب .
وزعيماً للذهب الأدبي مستقل في فرنسا . وكان من ورائه فوح من
كُتّاب الروايات والمسرحيات والتمثيلات في مسائل الاخلاق ، يؤيدون
فكره وينشرون دعوته . يستند قوة بيانه وإنشائه في تحسين العربي
ومسح الحرية ولا تغلغل في الذكور والافات . وقد كتب في كتابه
(أفروديت) مدح وينوه بذلك العصر اليوناني :

« إذ كانت تستطيع لانسانية إدراكه - أي تلك الصورة التي هي
 أكل ما يمكن أن يتصور ، ولتي قد علمت عنها من أهل الديانات أنها
 قد حلقتها الله على صورته نفسه - أن تعرض نفسها على عشرين ألف قاتل
 في شخص عاهرة مقدسة ، تنكسر في مشيتها وتقتنى في غنم ودلالها
 وحيث لم يكن الحب ، لتدعوا في المنتهي الفرجة - أي ذلك الحب الساوي
 المقدس الذي قد توبدنا منه جميعاً - لم يكن إنمّا ولا عاراً ولا تحسراً .

ودلغ به النلو في فكرته هذه أنه صريح بدون كناية أو تحريض
 يأتي بأنه : « يجب علينا أن نساوئ بالتطعيم الاخلاقي اقوي » ، تلك
 الفكرة السمجة الفدالة بأن صيرورة الفتاة أما قد تكون في حال من
 الاحوال فضاعة أو مرأ محظورة أساطين مستوى الكرامة والكرفه .

مظاهر اندرنتاء في القرن العشرين

هذا هو الحدث الذي ملفه الرقي الفكري في القرن التاسع عشر ، ثم
 ظهر في صياغة الفكر مع بداية القرن العشرين صقور جدد ، حاولوا أن
 يعلّقوا في سماء أعلى مما سما إليه من تقدمهم : فصدرت سنة ١٩٠٨ م
 مسرحية لبيروولف (Pierre Wolff) وناستون ليرد (Caston Leroux)
 توجد في إحدى مناظرها فنانان تناقشان أيهما يجصر من أسبغها الشاب
 في حريتها لأن ثقيلاً قلبها حيناً تشاء أن ، وبينان له كيف تكون الحياة
 بدون الحب أمر من المقيم لعناء في مقبل لثبات . وهذه تارة أخرى

يصلها أبوه، الشيخ على بن دينا لعلي، فنجيه الابنة (الآنسة) : « قد
 كيف أمك يا أيت : فانت فكاد لا يقيم أنه لاحق لأحد أباً كان،
 هي أن يأمر فانه - ابنته كانت أو أخته - أن تعني زهرة عمرها بدون
 أن تحب » ١

وجاءت الحرب العالمية الأولى، وازدادت سيرة حركة التحرر هذه
 بل انتهت بها إلى غاية أقصى، وذلك أن كان أكثر الأمم تأثراً بحركة
 منع التساكن، هي فرنسا، فكانت نسبة المواليد فيها إلى الانخفاض عند
 أربعين سنة على التوالي، ولم تكن إلا عشرون مقاطعة من مقاطعات
 فرنسا السبع والثمان، ترى فيها نسبة المواليد على نسبة الوفيات. ولما
 المقاطعات السبع واستثنون الباقية، فكانت نسبة الوفيات فيها أكثر من
 نسبة المواليد. وكان معدل الوفيات في بعض مقاطعاتها يتراوح بين ١٣٠
 و ١٧٠ باراد كل مائة مولود. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى ودهست
 الأمة الفرنسية إلى موقف حرج من الموت والجوع، أدرك أوربا فكرها
 بئس أن هذه الأمة بائسة تنظر إلى شباب مقاتلين ورجال محاربين، وأنه إن
 ضحى - على الفرض - بذلك العدد القليل من شباب الأمة وفتياتها في
 سبيل الدفاع عن الوطن في تلك الآونة، فإنه لن تتمكن النجاة من كفة
 فالمدو الثانية، فكان من انبثات هذا الشعور في نفوس الفرنسيين أن
 تخلست مشاعرهم فكرة الاستراقة من التسكن، حتى خيلتهم، وحصل
 الكتاب والمصحفون والخطباء، حتى أهل الجبل من رجال الدين ورجال
 السياسة، كلهم يبيون بالناس، من كل جانب، ويصوت واحد، أن

يُكْتَرَوُا من التوليد والتناسل ولا يبالوا القيود التقليدية من النكاح والزواج . وتنادوا أن المفرد التي تنزع برحمتها توليد خدمة الوطن ، تستحق " ليز " و لكرامة ، لا الشب واللام . وكان هذا العصر المضطرب بطبيعة حاله حافظاً قوياً للدعاة الحرية والاباحية ، فانتهزوا الفرصة السانحة ، وشبوا جميع ما كان قد بقي في حجة فكرهم استبدادي من التطرقات .

فهذا رئيس تحرير مجلة لا ليون وبيسكان (La Lyon Repabla - casin) الذي كان من رجال الصحافة البارزين في عصره ، يبحث أنه ما ليونر لأن يُعدّ الزنا بالإكراه جريمة ؟ فيجيب رأيه بما يلي :

« إذا أعوز المفرد القوت وحلّتهم المسببة على ارتكاب السرقة والقتل والسلب ، قيل هيئوا لهم الخبز ، يصكّكوا عن السلب والتهب بأففسهم . ولكن يا ليت شعري لماذا تأخذ المفوس هذه العاطفة - من النصح والمؤاخاة - لضرورة من ضرورات الجسم الطبيعية ، ولا تتشجع لضرورة طبيعية أخرى مثلها - لا تقل عنها خطورة - وهي الحب . فكأن السرقة يلجأ إليها المرء من شدة الجوع ، كذلك ينبعث فيه الإصر الذي يؤوّل إلى الزنا بالإكراه وروعا ينتهي إلى القتل ، من شدة الجوع ... إن من الحق أن الشاب الذي هو في عافية صحّة ووقرة قوّة لا يستطيع كسح جراح شهوته المارمة كالأستطيع الصبر على حوته مدة أيام وجاء أن يجد الطعام في الاسبوع القادم . وإن افتقر أحداً إلى ما يسكن شهوته

الجنسية في بلادنا هذه التي تتوَدَّر فيها كل حاجات الانسان ، لا يقل
 تنزياً وعاراً من فاقة أحداً من الجوع . وإذا كنا نوزَّع الخير مجزئاً على
 الجميع ، فيجب علينا أن نهد الأسباب لإشباع المالكين من جوع آخر .
 بقي أن نذكر أن مقالة هذه لم تكن من باب المزل والفكاهة ، بل
 كتبها الكاتب بكل جد ، وقرأها الناس بجِد أيضاً .

وفي تلك الأيام سخرت كلية الطب (Faculty of medicine) في
 جامعة باريس ، مقالاً لـ دكتور فاصل ، ليهنحه شهادة الدكتوراه عليه ،
 هتبره في حريتها الرسمية ، وكان من مضامينه مثل هذه عبارات:

إذا فَوَّمل أن يأتي علينا زمان ندم فيه لأففة الكادبة ، فنصرِّح
 من غير استعجاء ولا خجل ، بأن مرست - مثلاً - بمرض لزهري في
 سن العشرين ، كما أنا أقول الآن بدون تردد قد يشوئي إلى اجبل لكوني
 مريضاً بالسر . . . ذلك بأن هذه إن هي إلا ثمن يؤديه المرء لثمنه
 بلذات الحياة . ثمن لم يذُق مرارتها وقضى شبابه سليماً منها « فترته
 لا ويب وسود ناقص لم يبلغ كآله بعد ، وقد قصر في وظيفة كانت من
 أهدى وظائفه الطبيعية ، لجنسه أو همود غريزته أو سوء فهمه الكشيء
 عن دينه .

ادب الحركة المايطوسية الجديدة

ويجُمِّل بنا ، قبل أن نظلَّرد في البحث ، أن نلتمى نظرة على

«الآثار التي قدمها الفلاسفون بحركة منع التماسل ، ولعله ما كان في
 حجاب الاقتصادى الانكليزي الاحصائي مالطوس (malthus) حينما
 عرض في أواخر القرن الثامن عشر اقتراحه بضبط التوليد منعا لزيادة
 العمران ، أن اقتراحه هذا سيمود بعد قرن من السنين أكبر تأمل
 في لشاعة الفاحشة والفجور ، فإنه لم يقصد به حينئذ إلا أن يشير على
 قومه بضبط النفس وعقد الزواج في السن المتقدمة تناديا من زيادة المول
 وتزاحم العمران ، ولكنه لما نشأت في آخر القرن التاسع عشر الحركة
 المالمطوسية الجديدة (Neo malthusian movement) كان مبدأها الرئيسي
 أن تقصى شهوة النفس بجمرة تامة ، ثم تمنع تلجتها الطبيعية - أي الحمل
 والولادة - بوسائل العلوم التجريبية. فجاء هذا المبدأ الجديد بزعيم العقيدة
 الأخيرة التي كانت عسى أن تترس طريق الناس إلى الخلافة والمباشرة
 الجنسية بالمطقة . إذ عدت المرأة الآن تستطيع أن تؤسلم نفسها لأجنبي بلا
 حذر من أن تحصل منه ويقع عليها ما يفسد من تيمات . وليس هنا موضع
 ذكر النتائج التي آتت إليها حركة منع التماسل ولعمري أن لسرد بعض
 النماذج من الأفكار التي قد أكتروا من بينها ونشرها في الآداب التي
 صارت حركة ضبط التوليد .

لست الأسلوب الذي تقرر ض به هذه الآداب مقدمة المالمطوسية
 الجديدة يتلخص في أن : كل انسان يواجه - من فطرته - حاجات
 ثلاث ، هي أشد وانحرف من سائر الحاجات . أولاها حاجة الغذاء ، والثانية :

حاجة الجاهل والثالثة : الشهوة الجنسية وقد ثبت القدر جميع هذه الحاجات في نفس المرء تشبهاً ، وجعل له في قضائها لذة مخصوصة حتى يرغب بها ويحرص عليها . فمن مقتضى العقل والمنطق ان يشب المرء إلى تحقيق تلك الحاجات . وهو يقبل ذلك في الواقع بالنسبة لمعاضدين إلا أنه من الصعب أن يتبعه بشأن الثالثة يختلف عن متبعه في الأولين إذ ترميه الاحلاق الاجتماعية بان لا يحقق شهوته الجنسية إلا في حدود النكاح . ثم توجب على الرجل والمرأة المرتبعتين برباط النكاح ان يتزما لوفاء والنفساء ، وتتستر على ما فوق ذلك كله إلا ينسا ان تولد ، كل هذه الامور عبث وباطل ، ومن قبضة العقل والفطرة ومخللة في صحيف ومبادئ وعادة على الانسانية يسود المواقف .

فاضطر الآن هيكل لانكار لدي . يشاد على هذه المقدمات الاساسية .
يكتب ميل زعيم الحزب الديمقراطي الاثاني بلا تخرج :

« وهل لرجل والمرأة الا نوع من الحيوان ؟ وهل يكون بين
أزواج الحيوانات شيء من قبل النكاح ... بله النكاح لا يدي !! »
ويكتب كذلك الدكتور دريسدن (Dryedale) :

« ان الحب كسائر رغباتنا وشهواتنا شيء قابل للتثبيط فحصره
في طريقة مخصوصة ادّعى في قوانين الفطرة . وان شبابنا يميلون بطابعهم
الى هذا التثبيط بوجه خاص ونزعتهم هذه مطابقة لذلك النظام المتفق »

المعطي الذي يتقاضى الامان ان تكون تجاربه في الحياة منبوذة مختلفة...
 ان العلاقة المطلقة من قيد الشكاح منظرٌ للخلق البشري
 لأنها ادنى الى نواويس الفطرة ، ولأنها تنشأ عن المواقف والأحاسيس
 والحب المحض مباشرة . وان الشوق والنزوع الذي تولد منه هذه
 العلاقة شيء عظيم القدر غالي القيمة في الاخلاق . وأثنى تبتسر هذه
 ايزة تلك الحاملة الصحرة استي تجمل من لشكاح في الحقيقة مينة
 (Prostitution) 'يخبر بها' .

فانظر كيف تبدل اسطورة بل كيف تنقلب رأساً على عقب .
 بينما كان يحاول القوم فيما قبل ان يصوا عن انفسهم فكرة استثناع
 الزنى ، حتى يستوي الشكاح والسفاح في نظر الاخلاق ، اذ هم يجاوزون
 ذلك الى ان يحضوا من قدر الشكاح فيجسأوه عاراً ويرفضوا السفاح الى
 درجة المصيبة الخفيفة . ويكتب هذا الدكتور نفسه في موضع آخر :

والحاجة ماسة الى اتخاذ التدابير التي تجعل الحب يثير قيد الزواج
 شيئاً بحدٍ ويكسر م... وم... بأن سهولة اطلاق في هذه الزمان
 لا تزال تحقق طريقة الشكاح رويداً رويداً ولم يعد الشكاح الآث إلا
 مسعدة بين شخصين على المباشرة ، لها اختيار في انائها متى شاءا : وهذه
 هي الطريقة لمصيبة الوحيدة للارتباط الجنسي .

وبصرح بول روبين (Paul Robin) الزعيم المساطوسي المشهور
 في فرنسا :

الحجاب م - ٥

- ٢ من انتقم أنا قد بلغنا من النجاح في مساعدتنا لعدة ربح القوت الماضي أنه قد أصبح وقد التولية في منزلة اولاد الحلال فلا يبقى بعد هذا إلا أن يكون اولادنا جميعاً من هذا النوع الاول فقط ، حتى نستريح من هذه الموازنة بين الوعيين من الاولاد .

- وهذا الفيلسفي الانكليزي (مدي) يقر في كتابه « حول الحرية » (On Liberty) على أن يحظر الزواج على كل من لا يستطيع أن يبرهن أنه يملك من وسائل العيش ما يكفي لحوائج الحياة . ولكنه لا نشأت في انكلترا مسألة محرقة البغاء (Prostitution) عاد هذا الفيلسفي نفسه بمعارضها بكل شدة وقوة ، بحجة أنها تعامل على الحرية الشخصية وإهانة جسدنا ، لأنها بمثابة معاملة لهم كالمالاة الاحداث الصغار .

تأمل كيف يكبرون ويحترمون الحرية الشخصية انا استعملها المرء في ارتكاب الفاحشة . ولكنه إن أراد هبة - في ظنهم - أن يستعملها لقد السكاح ، فلا يهود حقيقاً بل تراعى حرته أو محترمه . ولا يرضى القوم ان يتدخل فيها القائلون فحسب ، بل يبدؤ أحراز افكر من فلاستهم هذا التدخل من القانون عين المتعاضى والمطلوب . وهنا يبلغ انقلاب النظر الخلقية مداه الأبد وغايته القسوى التي لا ملصع جسدنا طامع ، حيث يتقلب كل عالم فضيلة ، وتصبح كل فضيلة عاراً ورذالة .

النتائج

من شأن الآداب أنها تنفد في السبع الجديد، والرأي العام يتبعها ويقفوا آثارها ، حتى تخضع لها آخر الأمر أخلاق الأمة وقواعد المجتمع وقوانين الحكومة كلها . وإن مجتمعاً تتفاعل فيه جميع الأدوار لتربية الانحياز ولترويض الأفكار ، كالفلسفة والتاريخ وتعاليم الاخلاق وفنون الحكمة ، ورواية والدراما والسرديات والفن الجميل ، وتستمر مدة قرن ونصف على التوالي "تثبت في صميم الدّهن الانساني أسلوباً فكرياً بيسه " فلا يمكن أبداً ألا يتأثر ولا ينفصل بذلك الأسلوب الفكري . ثم إن كان نظام الحكومة وسائر الإدارات الاجتماعية في ذلك المجتمع غائقة على المبادئ الديمقراطية ، فلا يمكن فيه كذلك ألا تبدل القوانين بتبدل الرأي العام .

اشورة الصناعات وآثارها :

من غرائب الاتفاق أنه قد وثت هذا الانقلاب الفكري ، وهو في صدر شبابه ، أسبابه تقليدية أخرى . ففي هذا العصر قامت الثورة

الصناعية الشهيرة . وأعقبتها تغيرات هائلة في الحياة الاقتصادية ، كان من آثارها الترابية على الحياة التمدنية ما هو معون على تحويل وجهة سير الاجتماع الى حيث تريد الآداب الانقلاية ان تحوّلها . وذلك أن تصوّر الحربة الشخصية ، الذي نشأ عليه النظام الرأسمالي ، جاءت الاختراعات الميكانيكية والإمكانيات وفرة الانتاج الصناعي Mass production تنصمحه وتقويه . فأقلت الطبقات الرأسمالية مؤسسات صناعية وتجارية كبرى . ونحوّت المراكز الجديدة للصناعة والتجارة الى مدن عامرة . أصبح يتجرّ اليه من القرى والارياف أصناف لللايين من النفوس . وعكست تكاليف الحياة علاء فاحشاً . وارتفعت أسعار الحاجات للحياة ، من الطعام والملبس والسكن ، الى مافوق طاقة العامة . زد على ذلك أن أضيف الى حاجات الحياة مالا يحصى من وسائل المهيئة المتجددة ، لا مبالغ راجع بعضها الى ارتفاع التمدن وبعضها الى مسعى أهل الثروة ولكن النظام الرأسمالي لم يوزع الثروة بين الناس بهذا يقتل الجميع وسائل الحصول على تلك المشتق وادوات الرتبة والزخرفة التي أدخلها في نوازم الحياة بل هو لم يبيد الطامة من وسائل لعاش ما يبدون به فوزهم بسهولة من حاجات الحياة الحقيقية . وهي السكنى والطعام والقياس . في تلك المدن التي قد روجّ بهم اليه . كان من نتائج ذلك أن أصبحت المرأة كلاً على زوجها ، وأصبح الولد عبئاً على أبيه . وتذكر على كل فرد أن يقيم أود نفسه ، فضلاً عن أن يمول غيره من المطلقين به . وقضت لاحوال الاقتصادية أن يكون كل واحد من أفراد المجتمع

عملاً مكسباً ، فاضطرت جميع طبقات النساء من الأبطال والأيام والقيادات - أن يخرجن من بيوتهن لتكسب الزرق ورويداً . ولما كثر بذلك اختلاط المستعدين وحركاتهم للذكور واللات ، واخذت تظهر عواقب الطيبة في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية وهذه الفلسفة الجديدة للاخلاق ، فهذه من قلى الآباء والبنات والإخوة والأخوات والبعولة والزوجات ، وجلا نفوسهم المضطربة تهاشم إلى أن الذي هو واقع أمام أعينهم ، لا يأبى به ، ولا يوجد منه خيفة ، إذ ليس ذلك هبوطاً وتردياً ، بل هو تنمية وارتقاء (Emanicipation) وليس فساداً خفياً ، بل هو عين الكثرة والوفرة التي يجب أن يقتنيها المرء في حياته . وإن هذه المقادير التي يدفع بهم إليها الرأسمالي ، ليست بمثابة التنازل ، بل هي جبهة تجري من تحتها الأنهار .

أثره الرأسماليين

وما وقف الأمر عند هذا الحد . بل جاء النظام الرأسمالي الذي رفعت قواعده على هذا التصور للحرية الشخصية ، فسح الفرد حقاً مطلقاً من كل قيد أو شرط ، في اكتساب الثروة بكل ما أمكنه من الطرق ، وقيمة فلسفة الأخلاق ، فأباح له كل وسيلة يمكن أن تستخدم لجمع الأموال ، وإن كان إثراء الفرد الواحد بتلك الوسائل ولطف بهمكتسة أفراد كثيرين . وبذلك تألفت نظام التمدن من أوله إلى آخره على صورة تؤثر الفرد على الجماعة من كل وجهة ، وليس فيها ضمان للمحافظة على

مصالح الجماعة بإزاء أثر الفرد . فافتتحت السُّبُل على إخوان الطمع والأثرة ليتبرعوا ويسدوا على المجتمع كيف يشاؤون . فحمد هؤلاء إلى الفرث الأفسابية يتجسسون بها مواطن الضعف والحلل ، وراحوا يتصنئون في استغلاله لأغراضهم ، فقاموا أحدهم ، وروج في الناس بيئة الخمر ، جلباً للثروة إلى حبيبه ، ولم ينص منهم من يُنقذ المجتمع من غوائل هذا الملاحون . وقام آخر ، وأجنى خلق الله بأفة الربا ونصب شبكته في القاسية والمنايا ، وما هنالك من يدفع عن تمام حياة الناس ضرراً هذا الملق ، بل سافقت القوانين على مصلحة هذه الشوية العتاك كي لا يسلم منها أحد بقطرة من دمه . وجاء ثالث . وأشاع في المجتمع طرماً بمشكرة القمار ، حتى لم تسلم شبة من شعب التجارة من تحصره ، وما ثمة من يتقدم لحط الحياة الاقتصادية من هذه الحمى الحارقة . وما كان من الممكن في هذه انصر من الانانية والبني والمدون الفردي ، أنت يمزج عن إخوان الأثرة والطمع ذلك الضعف الإنساني الأكبر ، الشوية الجماعة التي يمكنهم إستكثارها طلب كثير من النافع . فلم يفتهم ذلك فعلا . بل استخدموا غريزة الشهوة المارمة في الإنسان ما وسيعهم وما أمسكهم إذ أصبح مدار العمل والضريبة كله في المراقص والمسارح ومراكز خراج الاعلام على أن تستخدم لها التيدالمان ، ويعرضن على المصصة في صورة أكسل من التبرج ، وفي هيئة أقرب إلى المري ، ويحبب الذهب من سيوب الرجال بأكثر ما يمكن من إنشراح طر الشهوة فيهم . وجاء قوم ، مهدوا الاسباب لإكرام النساء ، وتقدموا بحرفة البناء إلى أن أصبحت

تجارة دولية منتجة . وجاء آخرون ، ففتشوا في صنع أدوات الزينة والزخرفة ، ثم عموها في المجتمع ، ليزيدوا من غرزة التبرج التي أُجلبت عليها المرأة ، إلى أن يجموها حين هوساً ، وجمعوا بذلك الذهب والفضة ملء أكفهم . وجاءت فئة أخرى ، فاخترعوا الملابس النساء أزياء كاشعة مفرية ، واستخدموا كل قاعة الجبل ، لتلبس وتنشئ بها النوادي والحفلات حتى يقبل عليها شباب ويشتوا بها ، فتتروم لفتيات بتلك الأزياء الجديدة من اللباس ، وتربح بحجرة عتوجها . وأسرع آخرون بإشاعة ، لصور السارية واقصص الترامية والمقالات الخلية ، إلى استدرار الاموال ، واتخذوا كذلك يملؤون جيوبهم بإحابة العامة بالحزام الخافي ، حتى تمت الحال ، على مضي الأيام ، إلا أن لم تبق حياة من تواحي انتجارة خالصة من عنصر ، لإغراء . وهأنذا ذا صرت لآتري في زمانك هذا إعلاناً من الاعلانات التجارية في الحرائد والحفلات ، إلا وسيمته الملازمة البارزة صورة امرأة طرية أو في حكم الطرية . كأنه لم يبد من الممكن أن يكونه إعلاناً ، وأياً بالعرض بدون وجود المرأة . ولا تجد كحذيك نذفاً من الفئادق ولا مقهى ، ولا صالة كمرض ، لا وقد استحضمت فيها المرأة لتصل عملها للتناطيسي في الرجال . وكان المجتمع للسككن الخذولة لا يدرك - حبال ذلك كله - إلا وسيمته واحدة للحفاطة على مصالحه ، وهي أن يستعين بصورته الخلقية على دفع تلك التارات عن نفسه ، ويحفظه من استيلاء غرزة الشهوة عليه . ولكن النظام الرأسمالي لم يكن من المصف والهوأن بحيث يمكن رد حلتته بسهولة . وإنما كان من ورائه صفة كاملة الآداة ، وعسكر شيطاني عرمرم ، من علوم والآداب ، كما لا يزال

بمجان حملها في نسخ التيارات الخلقية ومحوها عن انفس ، ومن راعة
القائل - واه - أن يحمل قتيلا على الاستسلام لقتل طيب خاطره ورضاه.

النظام السياسي الديمقراطي

وما انتهت السكبة بهذا كله . بل جاء هذا التصور نفسه للحرية
عائج في اقرب نظام الحكم الديمقراطي الذي أصبح ، على لسانهم ،
أقوى سبب لاستكمال هذا الانقلاب الخلقى .

ان المبدأ الرئيسى للديمقراطية الجديدة أن الناس يدانهم حكمهم
وتسريتهم ، وإلى أنفسهم كل التصرفات القوانين ، يعضونها كإشأؤون
ويبدلون حسب ما يرضون إنا كرهوا فيها أشياء ، فن النتائج الطبيعية
لهذا المبدأ أنهم لا يملكون سلطة قاهرة من فوقهم تترس عت مفانص
الطبع ابشري وضعه ، ويتجنب ، الانسان صلال الفكر واسمل باستسلامه
لهدايتها . وأنه ليس عندم قانون أساسى يثبت على غير الارمان ويتسالى
عن أن يتدخل في شأته الانسان ، ويؤمن بكون مبادئه أبدية لا تقبى
النسخ ولا التبديل . ثم إنهم لا يحدون مقياساً معتن به الصحيح من
الزلف ، لا يميل مع لاهواء والرغبات الانسانية بل تكون صمته القوام
والاستحكام . وهكذا جذبت النظرية الجديدة للديمقراطية فأزكت الانسان
مترلة الخنار المطلق الخلقى من كل مشونية ، وجسته شارح نفسه بنفسه
وجعلت مدار كل قوع من التشريع على الراى العام غلب .

ومن ايدى أنه اذا كانت قوانين الحياة الاجتماعية كلها قائمة ارأى
طعام ، وكانت الحكومة كالمسد لإله هذه الديمقراطية الجديدة ، فلا يمكن

ملحقات القانون والسياسة "تتصون المجتمع عن الانحلال تخليق ... وماذا أقول ؟ بل هي تموء بنمسا عونا على إصباح المجتمع ودفعه إلى المهلك . ذلك بأن كل تشريع في الرأي لعلم بقبه لائحة تشريع في القانون ، و تتمثل حياته وضوابطه مع تبدله نظريات العامة حتى تلائمها وتطبق عليها ، ولا يكون الحق والخبر والصالح مقياس غير كثرة الأصوات يعني " هذا الجانب أو ذك . وإن اقتراحاً مهما بلغ من خبثه وضرره ، أن كان قد نال من رضى العامة ما يكسبه ٥٠ صوتاً في المائة ، فلا شيء يمنعه من أن يسمو إلى مرتبة التشريع ، ومن أضحى لامة لذلك وأجدرها بالاعتبار ما حصل في ألمانيا قبل العصر النازي ، وذلك أن فاضلاً من أبنائها يدعى الماكنور مانوس هيرشفيلد (Magnez Hirschfeld) وكان في الماضي رئيساً لرابطة الإصلاح الجنسي العالمية (World League of Sexual Reform) ظم فيها ناشد ما يكون من تشعيه بحق سوعة قوم لوط عدة ست سنين ، حتى دسى إليه هذه الديمقراطية أن يحمل هذا الحرم ، فقرر المجلس التشريعي الاتالي بأكثرية الأصوات ، أن لم يعد الآن هذا الفعل جريمة . بشرط أن يرتكب برضا الجانبين . وإن كان القول به دون سن البلوغ فيمكن الرضا بيد وليه في هذا الشأن .

على أن انشؤن بعلني " بلبية حاله في الخسوخ لهذا الإله الديمقراطية ولا ريب أنه يبيع أو امره ويترك على إرادته ولكن شيء من التوافق والتكامل . وهذا التصغير الذي يبقى في عوديته الكاملة للمسيود الديمقراطية ، تدلوكه الأيدي العاملة في جبار الحكومة ، فإن الذين يدبرون أمور الحكومات الديمقراطية يتقدمون في هذه الجهة ويأثرون

بذلك الآداب والفلسفات والبيول ، مائة التي تنتشر فيها حولهم ، قبل أنه
يأثر بها لقانون ، فتصبح بعض عنايتهم وعطيقهم كل رذيلة هم رواجها
لجتمع وتقبل (رسمياً) ، وتعود كثير من الأشياء المحرمة في القديون ،
في درجة لخلال تكون الشرطة والحكمة تتسامح فيها وتجنب تنفيذ القانون
في أمرها ، خذ ذلك مثلاً أمر الاحتراس الذي لا يزال حراماً في القوانين
لنرية ، ولكنه ليس هناك قطر من الاقطار إلا " وتتعرف فيه هذه الجريمة
الذنبية علماً وعلى نطاق واسع ، فهذه الكاترا يسقط فيه سمون امحمد
في كل سنة على أقل تقدير ، وتكون في كل سنة من التبرجات فيها
خمس وعشرون - على الأقل - إما يشترن الاسقاط بأيديهم أو يستعين
عليه بأشخاص ، وترفع هذه النسبة فوق هذا في غير التبرجات ثم
قد امتدت في بعض المدن هناك نواحي منظمة للاسقاط ، تؤدي النساء
تتم اشتراكهن فيها كل أسبوع ، لكي ياتن لمن استخدام شخص
في الإسقاط يوم الحاجة ، ويكثر في لندن عدد دور التمريض (Nursing
Homes) التي تكون معظم المريضات فيها من المسقطات (١) ولكن مع
هذا كله لا يزال الاسقاط في كتاب القانون الانكليزي في عداد الجرائم بعد .

الحقائق والشواهد

والآن أريد أن أتي بشيء من التشرح والتفصيل فساد هذه العناصر
اللافتهاي النظريات الخلة الحديثة ، وقظام التمدن الرأسمالي ، والنظام
السياسي الديمقراطي - وكيفية تفاعها وتأثيرها في الأخلاق الجماعية
(١) هذه التفاسيل قد ذكرها الاستاذ (جود) في كتابه (Guide to
Modern Wickedness) الذي صدر منذ عهد قريب .

والعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، ونوعية نتائج التي قد أعقبتهما في واقع الامر . ولأنه كان أكثر كلامي في الصفحات الماضية في لوس فرنسا - التي نشأت منها هذه الحركة - فساعدتم فرنسا أيضاً في الاستعداد بأحوالها فيما يأتي (١) .

فهرس الشعور الخلفي

إن مادكر آتفا من النظريات . كان من أول آثار شيوعها في الناس وأبرزها ، أن أصبح محدد فيهم الاحساس الخلفي في لشئون الجنسية . وعاش فيهم الحياة والاحتشام ، والتيرة والنخوة ، وزال عن نفوسهم الفرق بين التكاسم والسماح ، حتى أصبح الزنا عندهم عملاً بريئاً ، لا يمانيه ولا يشكر ، وليس لإخفاؤه من لزوم .

وإلى منتصف القرن التاسع عشر بل إلى خاتمته ، لم يصب التطرية - الخلقية - عند عامة الفرنسيين من التغير إلا أن سمح زنى الرجال هيئاً طبعياً . يفتي الآياه عن دعارة اناتهم بشرط أن لا نصيبهم بالامراض السرية ولا تدلهم في الإجراءات القانونية ، بل ربما يستشيرون بها انه آتسوا لهم من وراثهم ربحاً مادياً ، ولا يرون عضاضة في تطلق رجله بامرأة بدون ازواج وفي روايتهم أمثلة من كون الآياه قد الحوا بانفسهم على اولادهم في تخانة امرأة دلت مكانة اجتماعية او ذات مال وثروة ، مما أتا المستقبل الزاهر . ولكن نظريتهم بشأن المرأة كانت

(١) قد استمدت معظم هذه المفاهيم من كتاب العالم الاجتماعي الفرنسي الشهير: بول بورو (Paul Bureau) (الاسم: (Towards Moral Bankruptcy) الذي نشر في لندن سنة ١٩٢٥ م .

مختلفة عن ذلك جداً في تلك الآونة . فكان معاف المرأة شيئاً له قدره وقيمه في كل حال . وأولئك الآباء الذين كانوا لا يرون بأساً بمخلعة أبنائهم وينسبون كل ذلك منهم إلى سورة الشاب ، ما كانوا يرضون أن يروا بآعراض بناتهم كنساء أو وممة . وكانت العاجرات من النساء لا يتيهن أن من الملب كالمناحرين من الرجال . وإن قاله النسوة التي تنصب على لومة في المجتمع ، كانت لاتعال الرجل الذي يهشرها . وكذلك ما كانت تبتة الخلقية في الحياة الزوجية متساوية بين الرجل والمرأة حينئذ كان خور الزوج "هبة" ينفق عنها الطرف ، كان لجور الزوجة شيئاً عظيماً يقوم له أناس ويقعدون .

ولكن تغيرت هذه الحال مع مطلع القرن العشرين . إذ كان من آثار المساواة بين المرأة والرجل ، التي نفخت في صورها حركة تحرر المرأة ، أن جعل الناس يتأفون بفجور المرأة كتأفونهم بفجور الرجل . ولم يعد تعلق المرأة أيضاً بالرجل بدون الزواج شيئاً يندس عقشها وكرامتها . فيقول بول بيور :

لم يبق الأمر عند المدن الكبيرة لحسب ، بل قد أصبح الشيطان في القرى والارياف أيضاً ، يتفوق بأنه ليس لأحدهم حق في توحش طمعة وانكاره في غطوبته ، إذا كان هو نفسه لا يتصف بالمعاف . وقد عاد من المين امتداد في (برغندي) و (يون) وغيرها من الأقاليم أن تكون الفتاة قد عاشت عدة من الإخاء قبل زفافها ، ثم لاتجد في نفسها حرجاً من حكمة قصة حياتها الماضية لمخالطة عند الزواج وكل هذا الفجور منها لا يؤثر سلباً أو كرامياً حتى في أقاليم الاديين ، بل م

يتوضون في أحاديث غرامهم بانسداد كافي بهم يتحدثون عن قبة رياضية أو شغل تجاري . وإذا كان موعد التلحاح قد تحدى الزوج الذي يكون صرماً ، لاجتماع عروسه السابقة لحسب ، بل بأخذائها الذين قد بقوا يتمتعون بجسدها إلى تلك الآونة أيضاً ، فإنه يحاول جهده ألا يبدو منه عجزهم اللاس أن بنفسه كدراً ، في شيء مما يعظم من مشاغل عروسه المناسبة .
وعني كاتباً :

« كثير أمانهم في الطبقات المتوسطة من المنطحين ، حتى قد اعتداهم أن تارة متعلمة ، من أسرة كريمة ، تعمل في مكتب أو شركة تجارية على منصب لا بأس به وتعيش في مجتمع مهذب ، أدامها فتتأصل بنباهة وروح شائرة وتماضيها ، ولا يكون لها إلا عليها بعد ذلك كله أن يتزوجها بل هما يؤثران أن يتماضيا بدون قيد الزواج ، غير أن تكون لاحدهما الحرية ، إذا شبع من الآخر وقضى لئانة نفسه منه ، أن يفارقه ويتخذ له حبيباً آخر . وكل من حوّلهم من اناس يملكون هذا الوضع من علاقة ما بينهما ثم هما يقتضيان الاوساط المالية والمهذبة جنباً لجنب ، لاهما بخيران علاقتها تلك ، ولا يجد أحد من غيرهما سوءاً في حياتها على ذلك النحو . وقد كان الذين تجرّوا على هذه الطريقة بأديء دي يدهم المماثلون في العمل والمصانع ، علقيت من الناس أشد ما يكون من السخط والانتكار لأول وهلة . ولكننا قد شاعت الآن في الطبقات المالية ، وتبرأت في الحياة الاجتماعية تلك الميزة التي كانت تكمح في الزمان
التاريخ : الفلسفة ٩٤ - ٩٦

فأصبح هذا النوع الجديد من المومسة ألها أساساً ويسلمون

وجودها الشرعي. فهذا موسيو بر تليمي أستاذ القانون في جامعة باريس يكتب : ان المؤسسة تكاد تدل في المجتمع نفس المنزلة التي كانت فيه للزوجة فيما قبل . فقد عديميري ذكرها في البرلمان ، وأسست الحكومة تحفظ على مصالحها ، ولواسة الحندي الآن من النفقة مثل ما لزوجه . وان مات ، نالت موصته من راتب التقاعد ما مثاله ازوجة التي كان قد عقد عليها ،

ولكن قد تدثر تهاون الفرنسيين بالزنى وكيفية كونه غير معصوفي اسلامهم ، ان عملة في عض المدرس جاءت بحمل في سنة ١٩١٨ م على كونها عذراء . وكان بين رجال المعارف اشياح لفكر القديم . فرموا عقيرتهم بالسخط والانتكار . فورد على وزارة المعارف نفر من اعيان الأمة ووجهها ، واحتجوا عندها على ماملت الأمة . ولكن الوزارة دفت عنها بالجلبجيب الآكية التي وجد فيها من القوة والرجاحة ماسوع ان يغلي مبدل الحلة :

١ - مالتس ولتدخل في الحياة الشخصية لغيرهم ؟

٢ - وما هي الجريمة التي قد ارتكبتها الحلة ؟

٣ - اليس صبرورة المرأة ما يبدون ازواج أدنى الى الطريق الديمقراطي ؟

ومن جهة مايلتم الجنود الفرنسيون من الامور الحامة ، والتدابير التي يجتري ان تتخذ لاتقاء ، لامراض السرية ولمخ الحبل . كأنه من المعلوم المسلم به ان كل جندي لابد ان يزني . وفي يوم ٣ مايو من سنة ١٩١٩ م ، نشر قائد لبعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعة له ، فيه :

«قد بلغنا أن عامة المرسلة والطيالة يشكون من تراحم رجال البنادق على دور البقاء الجندي فيقولون إنهم قد كادوا يستبدون بها ولا يدعون غيرهم يمتصون بها . وإن مكتب الغمادة لا يزال يسعى لزيادة عدد النساء حتى يتمكن جميع الجنود . ولكن قبل أن يتم ذلك ، نوصي رجال البنادق ألا يطيخوا مكنتهم داخل تلك الدور ، ويتمهلوا بقضاء شهورهم ما استطاعوا .. »

ليتأمل القارئ هذا الاعلان الذي ينشره رسمياً اسم القطاع لدولة من أرقى دول العالم ثقافة وتكنولوجيا . أفلا يُستنتج منه أن لم يبق في قلوبهم حبة شريرة من الاعتقاد بشاعة الزنى وكونه عبأ خلقياً . وأنه قد حلا من هذا التصور عندهم كل من المجتمع والقانون والحكومة (١) .

وأفتشت في فرنسا سجل الحرب العالمية الأولى بقليل ، وكالة كان يبدو أنها كل امرأة فيها كانت يشترطوا وحالتها الاقتصادية وسلوكها

(١) وقد قدر القارئ أن حدثاً هذه حالته المخفية ، إذا دخل دائماً بطراً من الططار السالم بأي قيمة عسى أن تصاحبها الأمانة المطلوبة في عمتها وطهارتها وراحتها على أيديها . هذا طرف الميأس الحالي في الجنود ، بقائه طرف آخر من الميأس الذي يرضه الفرقان فيوة (الذين إن مكشاهم في الأرض أقاموا المصاهرة أو أتوا من كادوا أمروا بالمعروف) . فيجاب حدي يعني في الأرض كالجلبانج المقيم بوجبات آخر حشدي يخرج في أرض الله مستبناً في سبيل المحافظة على الاخلاق الانسانية ودعوة أهل الأرض إلى الطهارة والصلاح . أفقد بلغ من عمى الاسان أن الابرة الفرق بين هذا وذاك ؟

المعنى والمخلفي، قد تُمنع بضرورة (تجربة جديدة) وتُعمل على عاوتها.
 وليس على من كان يوم الاتصال بتأسة من الاوانس، إلا أن يعلم الوكالة
 بسوان تلك الآسة ويؤدي مسرعا على سبيل الاحره البدائية، وعلى
 الوكالة بعد ذلك أن تراود الآسة على الأمر. ودلت سجلات هذه الوكالة
 على أنه لم تكن طيفة من طبقت المجتمع الفرنسي، إلا وعامل كثير من
 أناسها هذه الوكالة وغموا بمجداتهم لم يكن هذه الشغل خافيا على الحكومة.
 (بول بيورو : الصفحة ٩٦)

وهو بلغ هذا الانحطاط خلقي في الفكر الاسفل أن :
 ولم يد الآن من الترفيد لشدة وجود املاقات الجنسية بين الاقارب
 في انصب، كالأب والبنت، والابن والاخت، وفي بعض الاقاليم اغترسبة
 وفي النواحي المزدهجة في المدن.

كثرة انواحي

ولقد كان عدد النساء الاتخذ كن محترفين البناء قبيل الحرب العالمية
 الاولى : نصف مليون، حيا أعطي موسيو بولو (M. Bulo) عامي
 فرنسا العام في تقريره. ولكن لا يقين أن ترى أمر تلك العواصر المتففة
 الميذبة على ما يجد من الحلق في بلاد الشرق. ذلك بأن فرنسا عطر مذهب
 متعدد، فلا بد أن تكون جميع أموره على درجة عالية من الأتالة
 وتهذيب والتطعيم. فذلك يُستعمل لهذه الحرفة من الجرائم والبطاقات

المصورة ، والتليفون ورُفِعَ الدعوة الشخصية ، لاسمالة قلوب الوراد .
ولا يلوم خبير الرأي العام على شيء من ذلك ، بل رجاء عادت اللائي يبرزن
على غيرهن في هذه التجارة ، دوات مطاطة وتقود غير قليل في السياسة
الوطنية والمسائل الاقتصادية وطبقات الأعيان والأمرء ، وبكاهن أخرى
يظن من الرقي مثل ما دلته اللوحات في التمدن اليوناني فيج قبل .

وصرح موسيو فريدريش درفوس (M. Ferdinand Dreyfus)
أحد أعضاء المجلس الفرنسي منذ بضع سنوات ، « أن حرفة البناء لم تعد
الآن عملاً شخصياً ، بل قد أصبحت تجارة (Business) برأسها ، وحرفة
منظمة (Organized Industry) يفضل ما تجلب وكالاتها من الأرباح
الغزيرة . فلها في هذه الأيام وكلاء يهيئون (المواد الخام) ، وآخرون
يتجولون في البلاد ، ولها الآن أسواق منظمة ، تُستورد فيها وتُصدر منها
اقتنيات والصايا كالأموال التجارية . وأكثر ما يُطلب في هذه الأسواق
من الاموال هو بنات دول العاصرة . » ويكتب بون ميورو : « أن هذا
العمل (أي أحترف البناء) قد أصبح في زماننا نظاماً يحكم التركيب ،
بحري بما شئت من التنظيم على أيدي الموظفين والماملين المأجورين . ويحمله
ويسمل فيه أرباب القمم وناسرو الكتب والخطباء والمحاضرون والاطباء
والقابات والسياس التجار بون ، ويُستعمل له كل جديد من فنون النشر
والعرض والاعلان . »

ثم لم يقف أمر هذه الفاحشة على دور البناء ومكانه ، فصاروا المعروفه

بل هو قد جاوزها إلى العناد والرافض فيجري فيها البناء علناً
وعلى مشهد من السلم وربما تبغ البيعة في القائمين بها أنهى حدود العلم
والقساوة ، يقال إن عاصم بلدي في شرقي فرنسا اضطر إلى التدخل في
الامر سنة ١٩١٢م ، لإجلاء فتاة كانت قد فرغت في يومها من سبعة
واربعين وارداً ، وكان عدد منهم جدّ بابلب يترتبون :

وجاءت الحرب العالمية الاولى ، فجدعت بدمه (النساء المتلوج)
علاوة على (البناء التجاري) المعروف . وبلغ هذا لنوع المتكرر تفجّاه
من عظم الشأن أن أكرمت النساء المنجيات لوطن الغالي كنّ " خدّمس "
الابطال المدافعين عن أرض فرنسا وولدن جزء تلك الخدمة أولاداً
لا يعرف آباءهم ، فلقبن بلقب " أمّات زمان الحرب " War-God -
mothers) . . تصوّر قد بلغ واقع من الطرافة أن تكاد لنساء
الشرق تصجن عن ترجمته ، فجلت هؤلاء النساء يتماطين ابشاء بصورة
منظمة . وأصبح (تشجيعهن وإعائتهن) عضلة " شقية " عند أولى المدارة
وافجور ، وعيّنت الحرائد اليومية الكبرى عناية بالغة بسالة (رجال
العمل) إليهن . وقامت بهذه خدمة أكثر من غيرها الجريدان المصورتان
السيارتان : فانتاسيو (Fantasio) ولاني باريزيان (La vie Praisienne)
حتى جاء عدد واحد من هذه الجريدة الأخيرة يشتمل على ١٩٩ إحصاءة
عن أمرهن .

طرقاه الوقامة وجمعهم الشهوات

إن الهيجات الجنسي الذي يؤدي إلى كل هذه الكثرة والرواج

لأنواع الفواحي، إذ يبحث من تأثير الآداب والصور والسينا والمرحبة
والرقص ، وما إليها من مظاهر التشيخ والتبدل .

ولا تزال هذه عصاة من أصحاب الترواة الأثانيين يُعزموه ناز
مشهورة في أموات بكل ما يحكمهم من ابتذال ، يروا حون بذلك بشاعتهم
ويؤمنون بجوارهم . ثم هناك الخرائد البومية والاسوعية ، والمجلات
الشهرية ونصف الشهرية ، والمصورة ، التي تظهر كلها بقصص ومقالات
ممتناهية في الفحش ، وصور عارية فاضحة ، لأن ذلك أحسن لشيوعها
وكثرة انتشارها ويستخدم أصحابها لهذا الأمر على ما يحرم الله من مواهب
الطبعة والذكاء والخلق الفني ، ومعرفة أسرار النفس البشرية لكي لا
يُعلم من كيدهم القارئ المسكين . وليس هذا فقط بل تأتي من وراء
ذلك كتب ورسائل تصدر كل يوم عن المطابع مخلوقة بما شئت من
معاني الخلاعة والوقاحة حول المسائل الجنسية وتبلغ من كثرة الشيوع أن
تُطبع للواحدة منها خمسون ألف نسخة في طبعة واحدة ، وربما طبع
الكتاب الواحد مئتين طبعة أو تزيد . وهناك بعد ذلك ، دور الطباعة
والنشر قد اختصت بنشر هذه الآداب الجنسية، ولربما كاتب نال الشهرة
والنيل من طريق الكتابة في هذه المواضيع . وإنه لم يد لأن تأليف
كتاب فاحش مخزاة "أومانية" لمؤلف ، بل المؤلفون مثل هاتيك الكتب ،
إن ذات لدى الناس حلوة وقبولة ، يجازون إما بمضوية الطمع العلمي
الفرنسي ، أو يشرفه كرومي دونور (Creix d' honneur)

وتنظر الحكومة إلى كل هذه المظاهر التبدل والإغراء والتبجح نظر المشهد ، يتفرج ولا تشكر من أمرها شيئاً .. اللهم إلا أن يدع شيء متاد في العيش ، فتمترسه التمرطة على الرغم منها ، وترفع أمره إلى الحكمة . ولكن لا بأس ؛ فإن هناك محاكم سمعة واسمة القو لأمثاله هؤلاء المجرمين ، فتختلي سبيلهم بعد شيء من التزحر . ذلك بأن الذين يجلسون للحكم في تلك المحاكم ، يكون معظمهم بأنفسهم من المتمتعين بهذا اصنف من الادب . ومنهم من يكون قلبه نفسه منلوأ بتأليف أدب جنسي خليج . وإن اتفق أن يكون مهم قاصر من أنصار الفكر القديم ينجس منه (جور وعدول) في تلك القضية ، اتفق أكابر الكنتشات والادباء على التدخل في الأمر ، فأعلنوا صباحهم في الجريدة بصرونة وجود الحق الحرة في المجتمع لثرقية النون والآداب ، ونادوا أن تقييد الانسان بقيود الاخلاق على طريقة أهل ، بقرون الطلبة ، منته الاحيد ينفق افنون الجيلة ومنها من الرقي والازدهار .

ولننظر بأي "عارق يتم" لقنون خلية هذا ارقى ولا زدهار إله يتم" في أكثره بإشاعة تلك الصور العارية و (الفوتوغرافات) المطبوعة لمليئة الفحشاء ، التي تمتد منها آلاف مؤلفة من المجموعات (Albums) فتوزع ، لا في الاسواق وامتداد المقاهي خسب ، بل على المدارس وانكليات أيضاً . وقد كتب أميل پوريسى (Emile Poverisy) في تقريره الذي قدمه إلى الجلسة المائة الثانية لرابطة جمع الفواضل :
 " هذه فوتوغرافات الدامرة المتشبكة تصيب أطبعمن الذي بأشد "

ما يمكن من الهيجان والاحتلال ، ونحث مشرقها البؤساء على العصي
والأجرام التي تقشر من تصور الجلود ، وإن أرها السيء الهيك في
الفنية والفنية لمّا يميز عنه البيان الكثير من المدارس والكليات قد
خرجت حالتها الخفية والمحتبة لتأثير هذه الصور المبهجة ، ولا يمكن
أن يكون للفتيات - على الأخص - شيء أضر وأثقل من هذه .

ثم لهذه العنوت الحيلة ، تعمل المسارح والمغاني والسبا وآباء
الموسيقى وغيرها من أنواع الملاهي ، وإن المسرحيات التي يشهدها تثيل
أعلى الطبقات الفرنسية إقبالاً واشتياقاً ، والتي بدال مؤثفوها ويمثلوها
انجسون أو هم حظّ من إعجاب الأمة ورضاها ، تكون كلها مملوءة
بدوي لشهوة اجرامية ، ولا تكون بيننا المأزّة إلا أن تعرض على
الاضطارة أفعالاً ما يمكن من خلق إنساني بمرص أسوة حسنة ومثل
أعلى يمثل . فيقول بول بيورو : « أن من أولاد من الباحثين أن يطالع
حياتها المدنية من خلال هذه التديج الفخية ، التي لا يزال يرمسها ككتاب
حسبانيات ، منذ ثلاثين أو أربعين عاماً » فلا جرم أنه يستنتج أن جميع
الازواج المتزوجة في مجتمعاتهم خونة متجردون من الوفاء لازم للمدرة
الزوجية . فيكون كل زوج منا إماً غافلاً أو يكون لزوجته
جلاءً ونكبة . وما الزوجة طامس خصلها أن تكون في كل حين متبرمة
من زوجها ، فكذلك يبدل هواها عنه إلى غير .

وإذا كانت هذه حال المسارح التي تنفّج بها الطبقات المالقة فقدر

في نفسك ما عسى أن تكون عليه ملاهي الدامة ومسرحتهم وكل ما قد
يُجيب أبعاد لاسي وسنتهم ، من أساليب الكلام وحركات الدلالة
ومناظر المربي ، تعرضه هذه المسارح على مآبرها بدون حياء ونعم ،
وشير قناع من تزييف أو كسابة ، وتؤكد للامة من طريق الاعلان
أن كل ما تطلعه شهواتهم النفسية ميثاً عندها ، وأن مرصص على المنصة
يكون واقباً (Realistic) لاشينه الصنعة والكأف ، وقد جاء أميل
بوريسي في تقريره بأثرة متددة من أحوال تلك المسارح ، دوتت بعد
حولات في مختلف الملامح والالاع ، يعول وقصد كفى عن أمثاتها
بحروف الهجاء :

• وكانت أعالي المنصة ومردباتها (Monologues) وحركاتها في
مسرح (ب) عبة في الخنق والفتش . وكان المنظر الخلق من ورائها
يكاد يصور آخر مدارج لاختلاط الجنبي . أما نظيرة المسرح فكانوا
أكثر من ألف ، يرى من بينهم الأثير فب أيضاً ، وكان الجميع كله
كالمسحور ببحر امراض ، يرفع صوته بالمرحوب واضحين كل
حين وآخر :

• وفي مسرح (ن) كانت الأعالي القصار وما تطلبها من كليات
وما صجها من حركات وفتنة ، بلقة من الوقاحة والتبذل أقصاء . وكان
هناك صبيان وفية أصاغر ، يشهدون هذا لمرض مع الأكابر ، ويصفقون
بأيديهم عند كل منظر شديد الوقاحة .

• • وفي (ل) مسح الحضور خمس مرات باليد على عتبة الباب تكرير
نقيلها الذي كانت تحتمة بأعنية ممتعة في الخلد والمهجر .

• • وفي (س) ألع النظرة على عتبة ، علموها مرة بعد أخرى ،
على إعادة عرض مناد في الفتح ، حتى ساحت بهم عاضة : قاتلكم الله
يا دجار ؛ ألا ترون أن يجانبكم في هذه القاعة حثارا ، ثم انصرف من
التمسة بدون أن تستكمل دورها في ذلك الفصل من المسرحية . فكان ذلك
اعرض بالنأ من الهداة واضحت أن لم تصبر على تكراره حتى تلكه
الماجنة المتادة .

• • وفي مسرح (ز) اقترعو على المثلات ، بعد ختم المسرحية ،
وكن بأقمن يمين تذاكر المينصيب بشرة ساحت ، فاي من طارته
له إحداهن ، بات مما تلك الأيلة .

ويكتب بول يورو : إنهما تعرض على التمسلة ، طرايات لا تكون
على أحسامهن خرقه قوسه . وقد كتب أدولف برسون (Adolphe Bresson)
في جريدة طان (Tamps) الفرنسية المشهورة ، يحتج ويسترض على مثل
هذه التكرات : « لقد بلغ النيل الزبي . ولم يبق بعد هذا كله سوى
أن تعرض على أنطرانس منظر العاشقة بينها والحن أن (افن الجبل)
لن يستكمل بدون ذلك .»

ولا يقل نصيب حركة منع الخردوما يسمونه اليوم ولآداب الخمسية

في إشاعة الفواحش وإفساد أخلاق الناس . إذ يذيع اقوم لأجله من تفاصيل الجمل ومتعلقاته ، وطرق استعمال الآلات المنهية ، بالخطب والعاثوس السحري (Magic Lantern) في المحلات العامة ، وفي الصور والبيانات الإيضاحية في الرسائل والكتب ، مما يبقى بعده شيء من أصل الأعضاء الجنسية ، محتجج إلى شرح و . سطر . وكذلك يفعلون في كتب العموم الجنسية . إذ لا يدعون تاحية من نواحي الأفعال الجنسية من شرح الأعضاء إلى آخر ما شئت . إلا يحونها ويبرزونها لكل كبير وصغير ، ويتحدثون لكل ذلك قناعاً من أسماء (اسم) و (تحقيق) و (لموم التجريبية) حق ، يحمل عن سهام النقد والتفريح . بل يتقدمون ، فيدعون إشاعة كل ذلك (خدمة اجتماعية) . ويقولون : إن لا نريد بذلك ، إلا أن نحب الناس من أبنائنا الشجون الجنسية . ولكن الحق أن نعر هذه الآداب ونهاليم الجنسية ، ونصمها على هذا النطاق الواسع ، قد أذهب الحياء عن نفوس النساء والرجال والشبان والشباب ، وبنت فهم أشد ما يكون من الفواحة وفة الحياء ، وقد آت الحياء بهذا النشء ليوم إلى أن سببه المدرسة التي لم تبلغ الحلم بعد ، تعرف من الشجون الجنسية ما لم تكن تعرفه كتابات فيما مضى . وكذلك أصبحنا دول سنّ البوغ ، تنور بهم البزعات العسية قبل أوانها ، فيشتاقون إلى مزاولة التحارب الجنسية ، ويحطون بقيادهم لشبوات النفس اسامة . وإذا كان الخروج الدروع جداً من العمر مبين ، فإن هذه التحارب لا تقتيد بمجد من العمر . بل يأخذ في لشباب من السعة فثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرهم .

أعراض اليرقان القرمي الشامل

وإذا كان انحطاط الأحلاق ، وانتاج الإهواء ، وتبدد الشهوات ، قد ملغ من أمة ما هذا لبلغ المائل ، وكانت هذه حالة الرجال والنساء والشيوخ والشبان في انفسهم في الذات ، وكان الطيخان الجنسي قد خبيلهم من المس حتى أخرجهم من طورهم ، فن العليمي أنت تنامي في تلك الأمة كد أسباب لعلل وابوار. وهذه الأمم المتدحرجة إلى الزوال، القائمة حتى شفا حفرة من انتار ، إذا شاهدها الناس في ظاهر المنطقة والشوك فيستنجون أن لها كها في الملهي والذات ليس جانبها من الرقي بل هو عون لها عليه ، وإن الأمم تكون في أعلى بجدتها وأزهر رقيتها أمعن ما تكون في الإهواء والشهوات. ولكنهم ساءم يكونون ما يستنجون إذ أن قوى التعمير وقوى التخریب إذا كانت متعاقلة في أمة في لوقت الواحد، وكان باب التعمير هو انساب في أعمالها ونشاطها ، فن البهف والخدمة أن تمتد قوى التخریب أيضاً من أسباب تعميرها .

هم ذلك مثل تاجر فرم في مهنه ، يكتب ملايين بفصل دكانه واجتهده وتغيرته ، ويستمر مع ذلك في شرب الخمر والمقامرة والتصف قبل من خطأ أكبر من حد تلكا هذب الوجوه لشارعين حياته من أسباب رفاهته ورقية ، إنما الحق أن اللجنة الأولى من سعته هي السبب في تعمير كيانه ، والجنة لآخرى من صفاته هي عاملة على تخريبه . وإذا كان كيانه ثابتاً بفصل قوة الصفات الأولى ، فليس معناه أن الصفات

الآخرى ليست بفاعلة فعليا التخريري في الكيان . بل إذا دقت النظر
وسُـبـرت عور الامر ، بدلت أن تلك القوى المدمرة المخرقة لا تزال
تتفحص عما أودعه من قوى لقلب والجسد ، وتأكل من ثروته التي قد
أكتسبها بكد عينه وتستدرجه إلى الوار ، وتحتج - في الوقت نفسه -
عرصة الايقاع به دفعة واحدة . شيطان اقامة الداع عبه قد يغوي
ثروته المتخزنة في ساعة واحدة من أشأم ساعات حياته ، وهو متردد
به الهائرة في كل حين . وشيطان الخمر المتمكن منه قد يركب به زللا
في لحظة لشوة ، فيتركه صغر البدن ، وهو أيضا له بالمرصاد . وكذلك
شيطان الدعارة والمهور لا يزال ينتظر الفرصة ليدفعه إلى القنصل أو
مهلكة أخرى تفجؤه . وأنت لا تستطيع أن تقدر ماذا كان مبالغ رقي هذا
التاجر وتحسن حاله ، لو لم يكن وأفعأ في برأى تلك الشياطين !

رأس على هذا كله حال أممنا لأمم . فإنها تسند في مدارج الرقي
بأدى دي بدء بقض مافهم من قوى التعبير والانشاء ، ولكنها لا تنقسم
في سبيل الرقي خطوات ، إلا تسود ، لفقد القيادة الرشيدة ، تسمى بنفسها
أسباب خرابها ، صحيح أنها لا تزال إلى مدته من الزمان تضي قدما بدافع
ما يمكنها من قوى التعبير والانشاء . ولكن عوامل افساد والتخريب
لا تفك في الوقت نفسه تأكل من قوته حياتها من الداخل ، حتى تخوفه
بقايتها وتضعف كيانها ، بل حد أن تهلكه صدمة فجأة من صدمات المجرم .
وهنا يلي نذكر عوامل الخراب والدمار البارزة التي قد أوردتها الامم
الفرنسية نظامها الاجتماعي الفاسد .

اضمحلل القوى الجسدية

إن أول ما قد جرى على الفرنسيين فكش الشبوات منهم المضمحلل
قوام الجسدية وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً ، فإن الهياج الغائم قد
أوهن أعصابهم ، ونهد الشبوات بكاد يأتي على قوة صبرهم وحظهم ،
وطشاك الأمراض لسرية قد أجهت مصحهم في أوائل القرن العشرين
لا يزال حكام الجيش الفرنسي يحتضون من مستوى القوة والصحة البدنية
المطلوب في المتطوعة للجنود الفرنسي ، على فترة كل مئة مئة ، لأن
عدد الشبان الذين بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل
ويتدر في الأمة ، على مسير الأيام . وهذا مقيس أميل يدك كدلالة
مقياس الحرارة - في انحصار وتدقيق - على كيفية المضمحلل القوي
الجسدية في الأمة الفرنسية . ومن أهم عوامل هذا المضمحلل : الأمراض
اسرية متكاثر . يدل على ذلك أن كان عدد الجنود الذين اضطلت الحكومة
إلى أن تفهم من العمل وتبعثهم إلى المستشفيات ، في السنتين الأوليين
من سني الحرب العالمية الأولى ، لكونهم مصابين بمرض الزهري :
خمسة وسبعين ألفاً ، وابتلي بهذا المرض وحده ٣٤٧ حادياً في آن واحد
في ثكنة متوسطة . وتصور - فإنه - حال هذه الأمة ، البائسة في الوقت
الذي كانت فيه - بجانب - في المضي الحرج بين الحياة والموت ، فكانت
أحوج ما يكون إلى مجاهدة كل واحد من أجنائها الحساريين ، لسلامتها
وحياتها ، وكان كل فرنك من ثروتها بماضن به ووفرة ، وكانت الحالة

تدعو الى بئس أكثر - يمكن من القوة والوقت وسائر الادوات
والوسائل في سبيل الدفاع ، وكان - بجانب آخر - أبنائها الشباب هؤلاء
الذين تمثل آلاف منهم عن أهل الدفاع من جر « انتقامهم في القتال ،
وما كفى لهم ذلك خساراً ، بل هم ضيعوا جانبا من ثروة الأمة
ووسائل في علاجهم ، في تلك الاوضاع الخارجة .

ويقول طبيب فرنسي لعلاسي يُدعى الدكتور ليريد : « إله يموت في
فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالحرية وما يتبعها من لامراض الكسيرة ،
في كل سنة . وهذا المرض هو أكثر الامراض بالأمم الفرنسية بعد
حمى التيف ، وهذه حرية مرض واحد من الامراض السرية التي
فيها عدا هذا ، أمراض كثيرة أخرى .

فساد النظام العائلي

والسكة الثانية المظلمة التي قد حرقها على التمدن الفرنسي ، طينان
فاشوبة المتعلقة ورواج الإباحية وقبولها : هي خراب النظام العائلي ،
وقد وضح بینه . إن النظام العائلي - كما هو معلوم - يتألف مما يُعتقد
بين الرجل والمرأة من الرابطة الأبدية التي يُبشر عنها بالنكاح فيسند
الرابطة فيما بينها نسود حياة الافراد السكنية والهدوم والاستحكام ،
وهي التي تنحصر (فرديتهم) إلى الجماعة . وتلك ما يسمون من نوارع
والقوى ونشأت ونخصه للتمدن . وفي دائرة هذا النظام يتبع ذلك

الجو المطهر من المودّة والأمن والإيثار ، الذي يتروا الأجيال الناشئة فيه أن يدرجوا على الاخلاق الزكية والتربية الصحيحة والتشكّل السالفة ولكن مجتمعا كان ارجل والنساء فيه فارضي الأدهان من تصور التكاح ومقاصده ، ولم يكن لملامحة الجنسية بين الصنفين عديم من غايه سوى قضاء بعض الشهوات الحيوانية ، ثم كان في ذلك المجتمع أرسال من القواني والذوائن يهيمون كاللراش سكر رهرة من أدهار الزوض يستشفون عبرها ويتصنون رحيقها ، فلا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام البائس . وإن قام ، فلا يمكن ان يستقر : ذلك لأن رجلاه ونساءه لا يهودون بصلحون للاضطلاع بأعباء الزواج وتبعاته ، وحقوقه واحسانه والتزاماته الخلقية ، ويكون من تأثير هذه الحالة المقيمة والخلقية فيهم أن يشاكل جيل لا يحقر على خئله أسوأ مما كان عليه الجيل السابق . ويبلغ من آفة الافراد وأتانيهم ما يستشمل المجتمع ، ومن تركه انعوس وتلونها ما يحصل سياستهم الوطنية وسلوكهم الدولي كرهقة في مهب الرياح ، لا تدوم على موقف ، ويتكدر تبش الافراد بخلو بيوتهم من الهدوء والسكون ، ويبلغ عليهم قلق نفسي دائم يحرمهم فراغ الخاطر وهدوء الذهن ، وكل هذا عذاب من جحيم الدنيا ، يلقي الانسان فيه بنفسه انهزامه ، بل لهيامه المتطرق بالمتع والذوات .

سبة أو ثمانية في الافس هو مدلل الرجال والنساء الذين يتزوجون في مرسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المدل المتخض كثرة انعوس التي لا تتزوج من اهلها . ثم هذا اثر القليل من الذين يقدون الزواج

قلّ قهيم من يتوون التحصن والزمام الميثة البرّة السالحة * بل م
يقصدون به كل غرض سوى هذا لغرض ، حتى إنه كثيراً ما يكون من
مقاصد زواجهم ، أن يُخلّصوا به الولد النذل الذي قد ولدته المرأة قبل
النكاح ، ويشخّذوه لهم ولداً شرعياً . فقد كتب بول بيورو : « من
العادة الحارّة في طبقة السفليين في فرنسا أن المرأة منهم تأخذ من خدشها
حيثاً ، قبل أن يعقد بينها لنكاح ، أن الرجل سيخطف ولداً لها الذي
ولدت له قبل لنكاح ولداً شرعياً له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق
عدنية سين (Siene) مصرّحت : « إني كنت أدتُ بولي عبد لنكاح
بأسمي لأقصد بالزواج إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة
اتصالني به قبل لنكاح . وأما أن أأشره وأعطي منه كزوجة ، ف
كان في يدي عند ذلك ، ولا هو في يدي الآن . ولذلك اعتزلتُ ورجعي
في أميل اليوم لدي تمّ فيه رواج ، ولم ألتزم به إلى هذا اليوم ، لأنني
كنتُ لا أنوي قط أن أأشره مباشرة زوجية » (الصفحة ٥٥)

قال حميد كلبية شريرة في باريس لبول بيورو : « إن عامة الشباب
يريدون بمقد النكاح استخدام يميّز في بيوتهم أيضاً . ذلك أنهم يظنون
مدة عشر سنين أو أكثر يهيئون في ودية التجمّع أحراراً مطلّعين ،
ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملّون تلك الحياة الشريفة المنقولة ،
هتّوجون بأمرأة ببها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينة ، ولدت
الحفانة الحرّة خارج البيت » . (الصفحة ٥٦)

وإنّ رة المحصّنين والمُحصّنين لا يمتد من لبس أو تقوم في

فرنسا ، وإذا كان أحد من المحسنين متخذاً خليفة دون زوجته ، فلا يرى لإخفاء الأمر من لزوم . وهذا المجتمع فعلته ذلك شيئاً نادياً طيباً على الرجال . (الصفحة ٧٣ - ٧٤)

ولهذا كله قد ضُمَّتْ رابطة الكساح ، وبلغت من الزهون أن يثبت حبسها لأدق مناساة ، وربما لم تزد هذه الرابطة على أكثر من ساعات معدودة . فيقال عن رجل طاح من القرسين ، كان قد تولى الوزارة بضع مرّات . أنه طلبته امرأته بعد خمس ساعات من انقضاء الزواج بينها ، وربما كان من أسباب الملاقاة هات تافهة تُصَحِّحُ التآكل ، كما تكثر أحد الزوجين من غصبة الآخر في النوم ، أو يكون أحد منها لا يحب كلب الآخر . وقد سبغ من تعاضل الملاقاة أن يحكمة المحقوق بمدينة سين فسخت ٢٩٤ شكاحاً في يوم واحد . ووقع في سنة ١٨٤٦ م التي قرّر فيها قانون الملاقاة ، تحديد أربعة آلاف طلاق . وبلغ هذا العدد سبعة آلاف سنة ١٩٠٠ م ، وستة عشر ألفاً سنة ١٩١٣ م ، وواحداً وعشرين ألفاً سنة ١٩٣١ م

وأو الفصل

إن تربية الاولاد عمل خلقي سام ، يطلب من المرء مفاصلة النفس ، وترك الاهواء والرغبات ، واحتياك التامع والمثاق ، وبذلك الانفس بالاموال . فلا يمكن أن يتلقى هذه الخدمة السامية قوم أنانيون عبيد للنفس ، قلب عليهم البهيمة وحس الذات .

من مئتين سنة أو سبعين ، لا تزال العذبة بحق حركة محل على أشدها . وقد زودت هذه الحركة كل رجل وكل امرأة من الإمارة الفرنسية بجملة التدابير التي يستطیع مما المرء أن يشتت بلباسات اسلاقة لحسية ، ثم يتقي عاقبتها العنيفة أي الحمل والتوليد ، وإن من بلد أو قرية إلا "تباع فيها عقاقير وآلات منع الحمل في بيض النهار ، حتى صارت في متناول كل يد ومن نتيجة ذلك أن لم يعد استعملها مقصوراً على أهل الدعارة وحدهم ، بل صار يستعملها كثير من الأزواج المتزوجين وأصبح من أماني كل زوجين منهم ألا "يقنعهم فيها الولد" هذا الدغل لويل الذي يكدر صفو اللذات ، وإن الإسرة التي لا يران بتخفص بها مدخل التوليد في فرنسا ، قد حذس من العلماء والاحاديث أنه "يندر توليد مئة الف نسمة - على الأقل - في كل سنة " من حرمه هذه العادة المنتشرة في البلاد .

وأما الجول التي تستعصي على كل تلك الحيل والتدابير ، واستمر ، ويتطعن من بالاسقاط ، ويمنع بهذا التدبير أرمائة الف نسمة أخرى من البروز ، ولا مباشر هذا لاسقاط الموانس والامكار وحدهن ، بل تحارمن في هذه البيئة الزوجات أيضاً على قدم المساواة . ويعد هذا الفعل برئاً من كل عيب في تواميس الاخلاق ، بل بعد حقاً من حقوق المرأة واحداً ، والقانون ، كأنه قد انحصر عينه عنه ، ومع أن القتل جريمة في سجل القانون ، إلا أنه لا يؤخذ ولا يرفع إلى المحكمة إلا

واحداً في كل ثلاثية من مرتكبيه . ثم إن القرن الرابع مرم إلى
الهدم ، يُبرأ منهم هناك قدر ٧٥ في المئة . وقد يشعروا من تدابير
الاستقاط ويضربوا عليها في الدمة كترأ جعل معظم النساء يباشرنه
بأنفسهن . وأن الآتي لا يقدرن عليه ، فيجدن المنة لطية منهن على
كثير . به عاد به قتل الولد في الرحم أهول على انوم من قطع العرس
الموجع في الدم .

وقد مسحت هذه العقبة عظمة الامومة في المرأة مسحا جعل الأم
التي عازات لديها تعتبر حداثا اسمي مسدراج احب الانساني تنضجر
من الاولاد ، بل تكرهمهم ، بل تهابهم ، فالتين يملكون من الاولاد
من غوائل تدابير الملع والإسقاط ويخرجون إلى حيز الوجود ، ينامون
أشد ما يكون من الملفة والقسوة . ويذكر بول سورو هذه الحقيقة
المؤلمة بما يأتي :

« كثيراً ما نطلع في الجرائد على مصائب الأطفال الذين يسموهم آؤوم
سوء العذاب . وهذه الجرائد لا تذكر من تلكم الاحداث إلا ما يكون
له خطر . ولكن الناس يملكون : أي قسوة يتعامل بها هؤلاء الضيوف
الطفلاء الذين قد يرميهم آؤوم لا م قد نشموا عليهم لثة الحياة . وهذه
الارواح المسكينة لا تجرد إلى الوجود سبباً إلا " حينما تنكص بعض
النساء عن الإقدام على الإسقاط . ولكنهم إذا جاؤوا في هذه الدنيا
يدوقون وبال عيبتهم فيها حتى مذاقه . »

وربما صنع هذه الكراهية للأولاد من بنات سواء أن بآئين

بالمنحركات المبكيات . فقليل انه مات لامرأة ابن ستة اشهر ، فوصفت
نشته بين يديها ورقصت بالفرح وغشيت ، ثم طاعت بجاراتها تقول : ه لنا
لبن نكذ ولداً آخر بعده وبأ راحة نفسي وهدس بيبي من مون هذا العليليق .
أفلا ترين أي مخلوق حقير هو هذا الذي لا يتقطع عن البكاء ، ويطلق
بيت القدر في الفناء ، يتكاد المراء لا يتخلص منه أبداً . (الصفحة ٧٥)

وأدهى من ذلك وأمر أن قتل الاولاد هذا إلى الزيادة ولا انتشار
بسرعة عظيمة . والحكومة الفرنسية وعما كلها متهاولة مستخدمة بهذه
الحرية البليغة كصنيتها في إسقاط الحد . فقد رُبع إلى محكمة (لوران)
حتان قتل ولادها . ولكها أعقبتا من القوبة . وكانت إحداها قد أهلكت
ولها دلاغر قى على حين كان القزم لا يزالون يرثون لها . ولداً سابقاً ، وكانوا
صمدين تربية هذا الآخر . ولكن اسطالة بيت إلا ان تغفل المسكين .
وارتأت المحكمة ان جرهما بين يتفر . وأما الاخرى فضخت طفلها ، ولما
رأت فيه بد ، حشدة نفس تضطرب ، دمت به عرض الحائط
فشجبت رأسه ، وهذه المرأة أيضاً لم يرها القضاء الفرنسيون تستحي
القوبة او القصص . وفي سنة ١٩١٨ م نفسها حجي إلى محكمة (سين)
جراقصة ، حاولت نزع لسان ولدها من حلقه ثم حملت رأسه . واخيراً
قطعت منه الوثيق ، ولم تكن هذه المرأة أيضاً مجرمة عند القضاء أو
المحاكمين .

فيل ترى من حيلة او تدبير يتخذ من ابوار أمة تمن إلى هذا الحد
مفاحش في عداثها لنسب . إن التماسل أمر لا بد منه لأفراد نقاء أسمن

الامم . فكل أمة تصادي نشأها قانها تصادي نفسها وتزمي نفسها في
 الاستعمار . وهي تكفي بذاتها أن تحو وجودها بأيديها وإن لم يكرت
 من حولها عدو . والامة الفرنسية — كما أسلفت — لا تزال تهبط فيها
 نسبة المواليد منذ سنتين عاماً متوالية وهي بعض السنين تزيد نسبة الوفيات
 على نسبة المواليد ، وفي الأخرى تتساويان ، وفي الثالثة لا تزيد نسبة الوفيات إلا
 بقليل جداً . وبجانب آخر ، لا يزال عدد الحالية المهاجرين في فرنسا ينمو
 ويكثر . فكانوا قرابة ثلاثة ملايين من بين اثنين وأربعين مليوناً من
 سكان فرنسا الاصليين سنة ١٩٣١م . وإن استمرت الحال على ما هي
 عليه الآن ، فلا يستبعد أن تعود لامة اغرنسية ، عند ختام القرن
 العشرين ، أغلبية في وطنها هي .

أما بعد ، فهذه كلها هي نتائج تلك النظريات التي أقيمت على
 أساسها حركة تحرير المرأة والحظرة على حقوق النساء في آخر القرن
 التاسع عشر !!

مزيد من الأمثلة

لم تقتصر في الصفحات الماضية على ذكر نظريات أهل فرنسا وتنجية الحاسلة فيهم ، إلا مراعاة الامراء التاريخي . ولا يحسن أحد أن الامة لفرنسية تنفرد بذلك كله ونشأ عن غيرها في هذا الباب . بل الامر أن جميع الأمم التي قد آمنت بما ذكر آنفاً من تعاريف الاخلاق ومبادئ الاجتماع المتعارفة ، قد شأ وتجارها في تلك الحد . وهناك مثلاً بلولايت المتحدة الاميركية التي قد بلغ فيها هذا النظام الاجتماعي أوح شبابه :

تأثير البيئة المربيه في الأطفال

يكتب القاضي بن ليندي (Ben Lindsey) الذي قد أتيح له الاطلاع الواسع على اخلاق النشء الاميركي ، اكونه رئيساً لمحكمة جنائات الصبيان (Juvenil Court) بدنتور (Denver) يكتب في كتابه « تمرد النشء الجديد » (Revolt of modern youth) : « أن البيئة في أميركا قد أصبحت براعقوت قبل الاوان ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم استمور الجنيه . ويبحث هذا القاضي عن أحول ٣١٢

حبيبة على ميل النموذج. ولم أن ٢٥٥ حبيبة من كن أدركن بلوغ
عشرين الحادية عشرة و ثلاثة عشرة من سني أعمارهن . مُوحد بين من
أمارات الشهوة الجسيمة والمطاب الجسدية مالا يكون عادة إلا في بات
الثامنة عشر فن هو فن سناً ؛ (المرفعة : ٣٢٨) .

وكذلك يذكر الدكتور ادبث هوكر (Edith Hooker) في
كتابه : « القوانين الجنسية » (Laws of sex) : أنه ليس من الغريب
الشاذ حتى في الطبقات المتمدنة أن يذات سبع أو ثمانية سنين منهم يجادلون
طلاتهم من العيبه ورعا نفوذ منهم بالعاشرة ، فيقول :

« بنت في السابعة من عمرها ، من بيت عريق في الشرق والمجد ،
ارقتبت الفجشاء مع أحبا وعدد من أصدقائه . ونشر آخر من خمسة
أولاد يشتمل على سنيين وثلاثة صبيان متجاورين متدري البوت ووجدوا
منطقتين بعضهم ببعض بالبلاقات الجنسية ، وقد حذروا على ذلك غيرهم
من الاولاد أبعاً . كانت أكبر أولئك سناً ابن عشر سنين . وبنت
أخرى في الثامنة ، كانت في طهر الامر تمت ولابة شديدة ، ووجدت
سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوي عدد ؛

وقد جاء في تقرير طبيب من مدمه بالتي مور (Balti more) أنه
قد رُص إلى الحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرأمة في مدة سنة
واحدة ، كلها في ارتكاب القاحشة مع صبايا دون اذنية عشر من العمر .
(لصفحة : ١٧٧)

وهذا كله ثمرة بكرة المائدة المهيبة التي تهبها عواصف الإثارة والإذكاء للمواطمين كل جانب . فيقول كاتب مركي : إن الاوضاع التي يعيش فيها معظم أسنانا في هذه الأيام تبتعد عن المفطرة ببدأ يحمل الغيبة والفتيات يشمرون يديهن الحدي في قفوسهم من لسن الجلجلة عشرة ، وساء ذلك مصيراً . لأن هذا اللولوع بالامور الجنسية الثاني - قديم قبل الاوان قد يعود عليهم - بل هو دائماً يعود - بأسوأ ما يكون من النتائج . وأهوتنا أن البنت في سن العبا يقررن مع أحداهن أو يتزوجسن في السن امساكرة . ويتحرن إن هن تقين في غرامهن الخلية والبعل .

مرحلة التعليم

وكذلك من الاولاد الذين يمتد قديم الشعور الجنسي قبل أو نه يجيدون المدارس أول مجال لمدرسة التجارب الجنسية ، وتكون هذه المدارس نوعين : أحدهما المخصوصة بالجنس الواحد من الاولاد ، والآخر : المختلطة .

فالولع الاول من المدارس ، تنتشر فيها سيئتنا فتح الجنس بالجنس (Homo Sexuality) والاستمتاع (اعادة السرية) وذلك لان الواطاف التي قد أدكيت حمرتها في عهد العبا ، ثم جاءت ليئة زاهرة بأسبابها إفسادها وإصرارها ، لا بد أن تجد حبيلا إلى ما يسكن لها ويعلني ناره

فيكتب الدكتور هوكر : انه لا تزال تحدث في مثل هذه المدارس والكنائس ودور التربية للبرخات والمدارس الدينية حوادث من تسامح الوالدين من الجنس الواحد في بينها . وقد ثلاثي - أو كاد - ميلهم الطبيعي إلى الجنس المختلف^(١) . ويسرد في هذا الصدد حوادث متعددة من تلوث الصبية مع العبية، والعبال مع الصبايا بالغشاء، ومن كونهم لاقرأ من وباله ما يسوء ويؤلم . ويعلم أيضاً من كتب أخرى مدى انتشار هذه البيئة - عالطة الجنس بالجنس - في الناس : فيكتب الطبيب لوري (Dr. Lowry) في كتابه (Herself) : انه كتب حميد مدرسة من المدارس ذات مرة إلى أرمين أسرة يفتي إليها بأن سبيلها وجدوا على حال مروعة من الهدنة الحلقية ، ثم بعد يمكنه الآن إعادتهم في المدرسة^(٢) .

وأما المدارس من النوع الآخر ، التي يختلط فيها الطلبة والطالبات في المدرس ، توجد فيها أسباب التيسر مقترنة بأسباب التمسك . وإن المبحان الناطقي الذي كانت تدانته في عهد الطفولة يشتد في هذه المدارس ويؤدي على نهيه ، فأدب متناه في الخلعة والمجش يطالنه المنة والغتبات . وقصص غرامية ومجلات داعة مشتملة على ما يسمونه (الفن) وكتب فاحشة فاصحة حول المواضيع الجنسية ، ومقالات علوة بمعلومات التداير لمع الحمل هذه كلها هي أكثر ما يستوي العبال والطالبات في عنفوان الشناد . ويقول المصنف الأميركي الشهير : هاندرش فان لون

(١) الصفحة ٣٣١

(٢) الصفحة ١٧٩

« Hentrich Von Loon » و هذا الادب الذي كثر رواجه في الجامعات الاميركية هو أشتع مجموعة قصصا والمجس و المذاعة، لم يدرس قط مثله على الجامعة قبل هذا ، وكل هذه الحرية . ثم إن المعلومات التي تحصل من دراسة هذا الادب ، تسوقها اشباب والشباب فيها بينهم بالبحث والتفاحش بمشقة من الحرية والجرأة ، ثم يبالغونها بالمدى والتجربة ، ويخرج الغنية والفنيات إلى سفلات البهجة والانس (Putting parties) حيث يستسلمون في شرب الخمر والتدخين ، ويتمون انفسهم بالرقص والمنازة (٤٩) . وما يمجته القاضي لندي الاميركي أن نخسا و ربيع في لذة من عتبات المدارس يدلن اعراضهن ، قبل خروجهن منها . وترتفع هذه النسبة كثيرا في حرمات التعليم التالية يكتب :

« إن طالبا في مدرسة قانون تكون عائلته دون عواطف الطالبة شدة وانها بالعبسية هي التي تقدم أمدأ وتأمرا . وما يفعل امي إلا أن يتبع ويأتمر . »

بؤسة مخرجات شريعة

إن المدارس والكليات ، على مساوئها تلك ، يسودها ولا شك جو من لطم والرقابة يحول دون الحرية العمليقة قليلا أو كثيرا . ولكن هؤلاء الشبان حين يخرجون من معاهد التعليم بتلك المواقف اللينة (١) المصمة ١٧٣ من كتاب « كيف أستطيع ان اتزوج »

والدات العسكرة ، ويدخلون في عمار الحياة ، تنشط سورة شبابهم من كل مقال ، فيجدون فيها حو لهم سعيأ من ثار الشهوات يريد عواطفهم طيبأ ؛ ويجسبون في الوقت نفسه ما يطلقه أوارها يدون سموه ولا عسر . وقد ذكرت في مجلة امير كية هذه الاسباب التي لا تزال تؤدي الى رواج المعشاه وقسوة هياك ، بالكلمات لانية :

« عومل شيطانية ثلاثة يحيط ثلوثها بديننا اليوم ، وهي جميعا في تسير سعي لأهل الارض . أولها : الادب العاشق الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحته ورواجه منذ الحرب العالمية بسرعة عجيبة . والثاني : الافلام السينمائية التي لا تذكر في اللبس عواطف الحب الشهواني فحصب ، بل تلفتهم دروساً عميقة في بابه . والثالث : الخطاطب المستوي الخلق في صفة النساء ، الذي يظهر في ملابسهن « بل في عريهن » وفي إكثارهن من التزين واحتلاطن بالرجال بلا قيد ولا التزام . هذه المفسد الثلاثة بينا التي تزيد ولا تقشار يتوالي الأيام ، ولا بد ان يكون مآلها روال الحضرة والاجتماع التصرائين وهدها آثر الامر فإن نحن لم نجد من طيناتها ، فلا جرم أن ياتي قارئنا مشابهاً لتاريخ الرومان ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد اوردهم هذا الانبعا للأهواء والشهوات موارد مملكة والفناء ، مع ما كانوا فيه من خور ونساء . ومشاعل رقص وعلو وعاء : »

هذه الاسباب الثلاثة التي قد طبقت اجواء التمدن والاجتماع لا تنفك

أبدأ عن تحريك المواطف في كل شب وشبة يجري في عروقه ولو قليل من الدم الحار . وما كثرة الغواشي هذه إلا نتيجة لارثة لهذا لتحريك المستمر .

كثرة الغواشي

إن النساء اللاتي قد اتخذن من الحبشاء حرفة يرأسها في أميركا ، يقدر مجموعهن - على أقل تقدير - على أربعة وخمسة آلاف ، ولكن لا يقسمن القاري ، أمر لاهرة الاميركية على ما يبعد من امر المواهر في الشرق ، فإنها لا تكون عاهرة بالنسب ، بل هي امرأة من سواد النساء كانت إلى الامس الدار تحترف مهنة حرة ، فانطيت بشيراسوه ، ففسدت ، ولجأت إلى حي البدأ ، وستقضي فيه بضعة اعوام ، ثم تغادر هذا الشغل وتولى الوظيفة في مكتب أو مصنع ، وقد دل الشخص وهذا التحقيق على أن نصف البناء لاميركيات يأتين من خوادم البيوت ، والنصف الباقي ممن يكن من الماملات في المكاتب والحوانيت والمستشفيات ، ممن يتركن وظائفهن إلى هذه الحرفة . كل هؤلاء يدأن بهذه المهنة في السن الخامسة عشرة أو العشرين في عامة الاحوال . حتى إذا ملئت إحداهن الخمسة والعشرين أو الثلاثين ، هجرت النساء إلى عمل آخر ، فعود تلك المرأة التي كانت إلى الامس عاهرة فاحرة ، موظفة ذات منزلة وشرف (١) ويستطيع القاري من ذلك أن يدرك الحقيقة من وراء وجود خمسمائة ألف عاهرة في انطر الاميركي .

(١) د البده في ، بولاب المتحة الاميركية : : الصفحة ١٣٨-١٣٩

وإن إنساناً في الغرب ، كما مر في الباب السابق ، هو بناء الشفق التجاري الدولي المنظم . من أكبر أسواقه في أمريكا عوام "ليويوت وريودي جيتي وويونس آيس" . ولكن من المراكز الأخرى من مراكزه التجارية في مدينة نيويورك بحس تنفيذي يشك رئيسه وأمينه بطريقة الانتخاب المألوفة . ولكل تلك المراكز مستشارون من رجال القانون ، يراهمون مصالحها إذا هي وقعت في قضية قانونية . ثم تستخدم تلك المراكز المحاسبين لمراودة القنات من المصنوعين ، يتوصلون في البلاد بحثاً عن صيدم . ومن متداد نفوذهم في المجتمع أنه عي رئيس رابطة الجالية بيشيكافو ، ذات مرة ، بأحصاء عدد أعبات المشروبات في مدة خمسة عشر شهراً ، هكلم أنه وردت على مكتب الرابطة رسائل مائتين وسبعة آلاف فتاة ، أخبرن فيها لمكتب بكونهن في الطريق إلى شيكاغو . ولكنه لم تبلغ النسبة مئتين ، إلا ألف وسبعمئة . وما علم بشيء عرف مصير البقيات .

ثم هناك ، علاوة على دور لبناء دور "لقاء" (Assignment Houses) وبحال "للزينة" (Cal. Houses) مغرقة بالآلات وزيائن ومبينة في كل حين لالقاء الادة والسيدات إذا ما أراد أحدهم الاجتماع بالآخر . ودل المصنف أن كان في بلدة من البلاد الاميركية ثلاثون مائة دوا من هذا الطراز . وكان في الاخرى مائة داراً ، وفي الثالثة مائة داراً (١) وتلك الدور لا تشاهي الآنسات حسب ما عل تخلف بها كثير

(١) المدة ٣٨ من كتاب (الحالة في الولايات المتحدة)

من المتزوجات أيضاً^(١) . ويقول كاتب اصلاحي شهير : إن ثلث العنقة
المتروجة في نيويورك لا يلتزمون الوفاء في نيماتهم الزوجية ، مما يمتلئ
بأحلامهم وأحسدهم . ولا تختلف حال نيويورك في هذا الباب عن المدن
الأخرى^(٢) .

والمسيحيين الأخلايين في القطر الأميركي مجلس يُعرف « بالجنة
الأربعة عشرية » (Committee of Fourteen) يُنى بأفحص عن
مكامن الفجور واستحقاق في حالة البلاد الخلقية وتنفذ التدابير العملية
لإصلاح الاخلاق ، على نطاق واسع وقد جاء في تقريرها : إن كل ما يوجد
في البلاد لامبركية من المراقص والفوايد الليلية « ومجلى الزينة
(Beauty Saloons) وأماكن التدويم (Manicure shops) وحجرات
التدليك (Massage Rooms) و« كز قويع لشعر (Hair
Dressings) قد أصبح حظاً مواطناً للفجور ودوراً للبلذذ بل هي
أقبح منها وأشنع ، لا بُد ترك فيها من الرذائل التي لاتصنع أبداً كره .

الأمراض المريرة افئذكز

وهذه الكثرة من الفواحش قد جرّت - ولا غرو - كثرة الامراض
وانتشار عدواها في انفس . فقد قدروا ان تسعين في المائة من أهالي
القطر الأميركي مبتلون بهذه الامراض . ويسلم من دائرة المعارف البريطانية

(١) الصفحة ٩٦

(٢) الصفحة ١١٦ من كتاب (Herself)

أنه يبالغ في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري ، ومائة وستون ألف مصاب بالسلان البني (Gonorrhea) في كل سنة ، بالمعدل . وقد اختص بهذه الأمراض الجنسية وحدها مائة وخمسون مستشفى على نه يقوى هذه المستشفيات الرسمية تتاح الاطباء غير الرسميين الذين يراجمهم ٩٤٪ من مرضى الزهري و ٨٩٪ من مرضى السلان^(١) .

هذا ويموت في اميركا ما بين ثلاثين وأربعين ألف مطلق بمرض الزهري اموروت وحده في كل سنة . وإن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض - عدا السل - برؤ عليها حصة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهري وحده . وأقل ما يقدره المسؤولون في مرس اسيلان أنه قد اسبب به ٦٠٪ من النفوس في سن الشباب ، منهم المُنزب و المتأهلون . وقد أجمع الكهرون في أمراض النساء على أن ٧٥٪ من اللاتي يجري العملية الجراحية على اعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السلان^(٢) .

الطوق والنزيب

ومن البديهي أنه لا يمكن في مثل هذه الحال أن يسم النظام العائلي والرابطة الزوجية من النفوس والاضطراب . ذلك بأن النساء اللاتي يكنن قوتهن بأيديهن ، ولا يمتحنن الى الرجل في شأن من شؤونهن ،

(١) الصفحة ٤٠ من الجزء الثالث والعشرين .

(٢) الصفحة ٣٠٤ من كتاب القوانين الجنسية (Laws of Sex)

عدا قضاء الشهوة ، ويجدون الرجال لهذا المرض قريباً منهن ، يدون أن يتقيدن بالزواج ، لاحرم ان يبدن الزواج شيئاً فضولياً لاجابة اليه ولا جاذباً نحوه . زد على ذلك أن الفسفة الجديدة و الافكار المايدة قد هت من صهاثرهن الشهور بأن عذبة الرجال يدون الزواج عبر أو إثم ، وأن البلية الفاسدة قد جعلت المجتمع أيضاً بيد الحس هفد الشهور ، حتى لم يبد ينظر إلى أمثال أوائله الصجرات بين لفت أو ألام . فيكتب المايني لندمي الامر كي يدبر عن أفكار مواد البنت والفتيات :

« مالي ازواج ؟ وهؤلاء أنري قد تزوجن في الستين الماينيين ، فردا حين منه ؟ إلا أن كانت نصيب نصهن من الطلاق ؟ وإني أعتقد أن سكل دنة في هذا العصر حقاً طبيعياً في حرية اعمل وانعرفه بما يتصل بالحب . إذ نعرف في هذه الايام كثيراً من التدابير لمح الحب ، هنه تعلم أن أنمي بها خطر اولود السخند وما عسى أن يقع ولادته من أرمات . ونحن على ثقة بأن استبدال هذه الطريقة الجديدة بالطرق القديمة التقليدية هو من مقتضيات العقل في هذا الزمان . »

هؤلاء الوقفت اللاتي يتكرن هذا التفكير ، « كان ليجهن على الزواج إلا عطمة الحب وحده . ولكن هذه الناطقة أيضاً كتكر ما لا تصدر من صميم النفس وسويده القلب ، بل يكون من أسباب « حادة » عارسة في حال المحبوب . فإذا قضى لوطر من شهور انفس « لم يبق بين ازواجين عين للحب ولا أثر . ويكفي عندئذ أهون ما يكون بينها

من خلاف في العادات و الألباع ، أن يتزع بينهما زعماً ويسدل حجباً مضمناً
و موكفاً ، حتى ينشئ لأمر إلى تقديم المرافعة إلى الحاكم فيكتب القاضي
لنفسه : « في بلدة دنور ، في سنة ١٩٢٢ ، أعقب كل زوجين »
بين الزوجين . ويؤيد كل دور . حين عرضت على المحكمة قضية العلاقة .
وهذه الحالة لا تقتصر على بلدة دنور بل الحى أن جميع البلدان الامبركورية
على وجه التقريب تعالها في ذلك قليلاً أو كثيراً . »

ويتضي في كتابه : « أن حوادث الطلاق و التفريق بين الزوجين
لا يزال تكثر و زداد . وإن اطرقت الحال على هذا . كما هو المرحوم .
علا بد أن تكون قضايا العلاقة المرفوعة إلى الحاكم في معظم و اسي القطر
على قدر ما يستوعب فيها من الامتدادات الزوجية » (١) .

ومنذ قبل من الزمان نُشر في جريدة (Free Press) بـ ثرويت
(Detroit) مقال يبحث في هذه الاوضاع ، عد جاء فيه :

« إن ما قد نشأ بيننا اليوم من قلق الزوج ، كثرة الطلاق و تناسخ
العلاقات عبر المخروعة ، لثاقمة أو المارضة . بين الرجال و النساء ، يدل
كله على أننا راجعون القهقري إلى البهيمية ، فارغبة الطييمة في النفس
إلى الثلاثي ، والجلبيل المولود ملقى " جلته على عاربه ، والشمور يكون
تصوير الأسرة والبيت لارماً لبقاء المدنية والحكم المستقل " يكاد يتقي من

(١) الصفحة ٣١٦ - ٣١٤ من كتابه : Revolt of Modern Youth

النفوس . ويختلف ذلك أصبح اناس ينشأ فيهم الاعمال عن مال المدينة
والحكومة وعدم التصح لها .

والملاح . لاجم . الذي قد اقترحوه بأخوة له هذه الكلمة العاجزة
من الصلح والتفريق ، هو «توبيج» «المصكاح الاختياري» .
(Companionate marriage) ولكن لمواه جاء آخر «وألك من
الدهاء . والمراد بهذا المصكاح الاختياري ان يشار الرجل المرأة حيناً من
الزمان ، بدون أن يقدر . بينها «زوجاً» . وإن تكن الاخرى «انظر فورا»
قلباها في أماء هذه العشرة «زوجاً» . وإن تكن الاخرى «انظر فورا»
كل منيا لسبيله بحث عن زواج آخر . حتى أنه يجيب عليه . خلال مدة
التجربة هذه أن يجتنب لمدل ؛ لأنها إن جاءا في أمائها بولد ، تمنح عليه
أن يقدر المصكاح ويدخلا في خطيرة زواج . وهذا هو الذي يسمى في
روسيا بالحسب الطليق : (Free Love) .

الزواج القوي

كل هذا الاتباع لأهواء النفس ، وللنفور من ثبوتات الزوجية ،
والتيهم بالحياة الفاضلية ولا رجوع في الروابط الزوجية ، يكاد يذهب
في المرأة عاطفة الامومة لفطرة التي هي أشرف المواقف الوحيدة
وأسمىها في النساء ، والتي لا يقف عليها بقاء الحضرة والتمدن فحسب ،
بل بقاء لاشيائية حمراء . وما تجبت سيرت من احن وإسقاط الخنثى
وقتل الاولاد إلا «بضوب هذه العاطفة في نفس المرأة فالملوحات عن

بتدابير منع الحمل موهورة لكل من وكل ثاة، في الولايات المتحدة الاميركية على الرغم من قيود القنول . والآلات والمقايير الماسة للحمل مبرونة فيبيع في الحواش كالسلة الباحة، تستصحبها ثامات المداوس والكليات به بلك عمة انباء . لكي لاتنوت إحداهن للثا عشية من عشيات الشاب ، إن نسي خديها أن أخذ أدوائه معه . فيكتب القاضي لنمسي:

« ٩٥٥ » يتأ في اسن الباكرة من بدت المعاهد الثانوية ، اعترف في بأنهن كن عبرن الملاقة الحسية مع الصبيان . إلا أنه لم تحمل منن إلا خمس وعشرون . وأما الباقيات « علم مصبن من الحمل بمعضد الاتفاق . ولكن كانت لاكثرهن خبره كافية بتدابير منع الحمل . وهذه الطيرة قد عشت فين إلى حد لا يكاد الناس يُسيبون في تقديره .»

هذه الادوات امانة للحدس ، تستعمل الأبيكار توفيراً لحرثين ، وتستمتع بها المتزوجات دوماً لاسل عن أنفسهن ، ذلك بأن الولد لا يكتفن مشعب الشربة والتطمع غصب ، بل يحول كذلك دون حرثين في تطييب الأزواج . وما جعل عاة النساء بكرهن الأمومة هو الرأي: أنه لا بد لمن إن أردن . ستماء نصيب من لذة الحب ، أن يتجنبن هذه القود والسلاسل ، وأن الحن ولولادة تذهب بمجهن ومجهن^(١) . وأيضاً كانت الاسباب ، فواقع أن ٩٥٪ من العلاقات الجنسية الخاصة اليوم بين رجال والنساء ، يحولن بينها وبين ثائجها العطرية بتدابير منع
(١) الصفا ٨٢ من كتاب «الرجولة والروح » (Manhood and Marriage) لمكدن (Macfadden)

للحل . وأما الجنس الباقية في اللثة ، التي تنتج الحل ، فتعالج بتدابير أخرى من الإسقاط وقتل الأولاد . يقول القاضي لندسي : إنه يُسقط في أميركا مليون حمل على أقل التقدير في كل سنة ويقتل آلاف من الأطفال من فور ولادتهم .

الحارة في انكلترا

لا أريد أن أسهب في هذه التفاصيل لمؤسفة المشجعة . ويمكن أنرى مع ذلك إلا أن أختتم هذا الجانب من البحث بدون أن أورد فيه مقدمات من كتاب تاريخ الفحشاء (A History of Prostitution) لجورج راثبي اسكات - هذا الانكليزي الذي يكتب : وهو يشير إلى حالة بلاده ، في الغالب - :

« عدا النساء اللاتي لا يسكن من وسائل الكسب غير أن يعرفن أحسبهن ، هناك كثرة كاثرة - لا تزال تزداد - من النساء اللاتي يملكن وسائل أخرى لاكتساب حاجتهن ، ومع ذلك يتساقطن البغاء حرصاً على زيادة الأيراد . وهؤلاء لا يختلفن عن عامة البنايا والمواهر في شيء ، ولكن لا يُطلق عليهن هذا الاسم بل أن ندعوهن : الماهرات غير المحترقات (Amstear Prostitutes) ، وقد بلغ عدد هؤلاء الماهرات غير المحترقات في هذه الأيام مبلغاً لم يُحصى غط فيها قبل ، فهؤلاء يوجدن في كل طبقة من طبقات المجتمع ، من الدنيا إلى العليا . ويبلغ من غرورهن

أنتك إن دعوت إحدى من عاهرة ولو بكنتية ، تارت قازنها عضباً إلا
 آن عضبن ما كان لينبر من وجهه الخليفة شيئاً ، والحقيقة
 الواقعة ، على كل حال ، هي أنه لا فرق بين وبين بشي ماحنة من يتايا
 (بكاديلي) من الوجبة الخلفية . - وقد أصبح تماطي المعجور وسدم
 النصور ، بل اتخذ الاطوار السوقة ، ممدوداً عند فتاة المصر من أساليب
 العيش المستجبة (Fashion) ويدخل في هذه الأساليب أيضاً : للتدخين
 واستعمال الخمر الخامضة وصيغ الشفاء بالأصبع لآخر ، وإظهار الخيرة
 بالمعلومات الجنسية وتدابير منع الحى ، والتحدث في الادب العايش . ولا
 ترال تكثر النساء اللاتي يزاولن العلاقات الجنسية قبل الزواج من غير
 ما تخرج . وفي حكم الذعر والشاذ وجود الابكار اللاتي يكنن في
 الحقيقة والواقع ابكاراً عندما يمدن النيكاح - عقد الوفاء الابدي - أمام
 منبر الكنيسة .

ويمضي هذا الكاتب في بحثه ، فيبحث في مقام آخر الاسباب التي
 قد أعمت بأحوال المجتمع إلى هذا الحد المتطرف . ومن الأخرى أن
 نسرده تحليلة ذلك في كتابته هو :

« أولها هذا النوع العايش بالتبرج والذي قد بست في نفس كل فئة
 تمسك الحرس على الآراء العامة الغالية من أحدث الطرر ، وأدوات
 الثرية وزخرفة من شتى الأنواع ! وهذا من أكبر أسباب هذه
 الفعشاء غير المهترفة . فكل من له عينان بصيرتان ، ينظر أن من تمر به ليل

نهر من مئات العتبات والآلام ، كثيراً ما يكون علم من الملابس
الفخرة الثمينة ما لا يمكن أن تنسج له مكاسين الطيبة . ولذلك يصدق
القول ، في هذه الآونة أيضاً ، كما كان يصدق قبل نصف قرن ، إن
نك الارتاء الفاحشة لا يشترها لمن إلا لرجال . أما الفرق بين هذه
الآونة وتلك الآلام ، فهو أن كان الذين يشترون لمن نكث الملابس إذ
ذاك هم بيوتهم أو آباءهم أو إخوتهم . والذين يشترون لمن الآن هم
رجال آخرون غير ذلك .

وإن الحرية النساء ابداً لا تُشكر في مجدها . لاجلها . وقد
بلغ من ضعف رغبة الآباء ورفاههم لتأنيهم أن قد تبتاً لمن من الحرية
والانطلاق ما لم يكن مبسوراً حتى الانهيار قبل ثلاثين أو أربعين عاماً .

والسبب لآخر الخطير الذي قد يدمر لاجلها الفوضى الجنسية في المجتمع
أن النساء لا يزالن يتنافسن على الاشتغال التجارية ومطامير المكافئ والحرق
المختلفة ، حيث تمنع لمن فرض الاختلاط بالرجال صباح مساء وقد حط
ذلك من المستوى الخفي في الرجال والنساء ، وتقل جداً من قوة المدافعة
في النساء لاعتدائات الرجال على عفتهم ، ثم أطلق العلاقة الشبوانية
بين الجسدين من كل القيود الخلقية ، . فالآن أصبحت العتبات لا يعترض
بها من الزواج أو الحياة البرية الكريمة حتى صار اللهو والمجون الذي كان
يطلبه في الزمان القار أوطأ أساساً ، تطلعه كل هذه اليوم . وأصبحت
البكارة والعفة شيئاً من آثار الماضي ، يؤود حفظها فتاة العصر الجديد
فليست منة الحياة عندها إلا أن تسبب المرء كأس الدماء إلى صيابه .

في الشباب . فهي تسرى وراء تلك لا ذات وتبحث عني في المرافق
والأودية الليلية والنفادق والقمي . ورعاً أمنت ، في بحثها هذا ، إلى
أن تصعب رجلاً أحببياً إلى زهرة مازحة في السيارة ، وبذلك تلقى
بنفسها راضية مختارة ، إلى يده وأوصاه "تعمل لفرات الجنسية إشبه لا
تتم هي لا تعاف النتائج الطيبة لذلك ، بل ترحب بها وتستقبلها
حطية نفس . »

السؤال الفصّل

إن الذين يُشكرون الحجاب في زماننا وفي سائر أقطار الشرق، ورجية أنظارهم في الحقيقة هذا النمط من الحياة . وهذه الحياة هي التي قد تأثرت بمظهرها الحلاوية أحاسيسهم ومشاعرهم . وهذه النظريات، وهذه المبادئ الخفية . وهذه المنافع المادية . والذات ، هي التي قد فتنت جوانبها المشرقة عقولهم وأفئدتهم . فليس السبب في كراهيتهم للحجاب إلا "كون فلسفته الأساسية مناقضة لفلسفة الاخلاق الغربية التي آمنوا بها ، وكونها حائلة" بينهم وبين ما يطمحون إليه بأبصارهم من الموائد والذخائر . أما هل هؤلاء مستعدون لقبول الجوانب المظلمة من تلك الحياة أم لا؟ وكلمة أخرى هل هم يرسون الفوسوف إلى النتائج السلبية لتلك المبادئ والنظريات ؟ فأمرٌ ليست حالهم فيه سواء . فربما يعرف تلك النتائج كل المعرفة ويرضاها لنفسه . ويمتدّها أيضاً حوافر مشرقة ، لا مقلقة ، للحياة الغربية . وآخر يستقد هذا الجانب من حياة الغربيين مطلقاً ، فلا يريد أن يقبله ، ولكنه يتوكل على الفوائد التي تحصل بذلك . ينمط من الحياة . وقالت لا يصح

تلك النظريات ولا يعرف نتائجها، ولا هو يريد أن يعمل فكره وروشته في نبيس ما بين تلك أسطريات وتكاثفها من علاقة، بل أعصاه أن يتبع ما هو معمول به في العالم وقد اختلعت هذه الطبقات الثلاث بعضها ببعض اختلاطاً ربما لا يتيسر معه للدرء تعيين طبقة غلبه إذا حاوره . وكثيراً ما يؤدي هذا الاختلاط والتلجج إلى ارتباك في البحث والنوام في الموضوع . فالحاجة داعية إلى أن نفرق بين هذه الطبقات الثلاث ونميز إحداها عن الأخرى ، ثم نتناول الكلام في كل واحدة منها على حسب أفكارها ومنزعها .

المستفربون^(١) من أهل الشرق

فأصحاب الطبقة الأولى قد آمنوا ، على علم وصيرة ، بتلك الفلسفة والنظريات ، وتلك امدى اسمرائية التي قد نبئت عليها حضارة لغرب ومدنيته . فهم يفكرون في شؤون الحياة بفكر الغرب ، ويتطرون إليها بتلك الانظار التي نظر إليها يمامؤستو النهضة الاوربية الجديدة . ويردون أن ينشأ الحياة المدنية في دولهم بأعلى الطراز الغربي . فالغلبة القصوى عندهم من تعليم المرأة ، هي أن تستأهل كسب الرزق ، وتكون مع ذلك

(١) مستفربون : المائلون إلى الغرب المفتنون بمشارته . هكذا استعمل محمد اسكندر السكاك الكبير القلاة عمده الشيخ الابراهيمي في هس مقالته في مجله (البيان) ، فاسترأها على غيرها من المصطلحات هذا لدى كاتلرين وانترلين . (المعبر)

بهجة الجائس ، راحة في فنون التسلية والإمتاع . ومنزلة الصبيحة
 عندم في المائة ، هي أن تكون - كالرجال - عضواً من أعضاء
 الكاسين ، نَوْفٌ مِزَاجِيَّةٌ لاسرة المشتركة ما في دُمَتِها من المَحَلِّ .
 ومة الحقيقى عدم في المجتمع ، هو أن تُضَيَّف إلى الحياة الاجتماعية
 عُنْصَراً لَطِيفاً من زِينَتِها وحِمْلا ، ودَلائِلُها ، مُنْجِيةً القلوب بكلامها الصَّادِقة ،
 وتُشَفِّفُ ، لِأَدْنَى بَشَنَّتِها السَّاحِر وتُشَفِّطُ الأرواح بِرَقَّتِها المُشْرِية
 وتُمرِّشُ كُلَّ مَذَنٍّ حَسَمَها على الرِّجاء بِرَجْرَجِها واضْطِرابِها ، لكي
 تَمْتَنِّحَ به نفوسهم وثَلثَ أَسْطَوارهم ، ويسري في دماغيهم الباردة شيء من
 الحرارة . وكذلك إن وظيفة المرآة في الحياة الوطنية لا تندو . في رأيهم ،
 أنْ تُؤَلِّى الخِدمة الاجتماعية ، مُعْمَلٌ في الجائس والبلديات ، وتُحَضِّرُ
 الحفلات والمؤتمرات . وتبذل عَقْلاً ووقتها في مصِّ المشاكل السياسية
 والمدنية والاجتماعية ، وتُسَاعِدُ في كل نوع من لائحات والرياسات ،
 حتى تُعَرِّبَ الرِّقْمَ القياسي في السباحة والمَدْوِ والْفَنَسِ والطيران
 والصيد... وسكامة أخرى تُشَيِّى بِكُلِّ ما يُصَلِّحُ بِمَجْرَجِ البيت ولا تَبْأَلِي ما يُصَلِّحُ
 بِدَاخِلِهِ . هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ السُّقْى في طَرَفِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ السُّقْى في أَرْقِى
 الدُّنْيَا عِنْدَ كُلِّ ما يَتَرَضُّه ويَحُولِدُونَهُ مِنَ النُّظَرِيَّاتِ الخَفِيَّةِ البَالِيَةِ ، هُوَ
 عِبْثٌ وَطَرٌّ عَفْصٌ . وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ السُّقْى قد استبدلوا ، قِيَمَ الخَفِيَّةِ
 (Moral Values) الجديدة بِالْقِيَمِ السُّقْى السُّقْى على نَحْوِ ما صُلِّحَتْ
 أَوْرُوقِيَّةٌ . قَالِمُاحِ المَدْنِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ الحَسْبِيَّةِ أَطْعَمَ وَأَرْجَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ
 كُلِّ شَيْءٍ . دَلَّ هِيَ وَحْدَهَا ذاتُ قِيَمَةٍ وَقَدَرٍ حَقِيقِي . وَأَمَّا مَا لَرَأَاهَا

من الحياء والنفسية وطهارة الاخلاق ، ووفاء الحياتة الزوجية ، وحفظ النسب ، وما هو من قبيلها من الامور ، فكل ذلك شيء ، ردة لا قيمة له . بل هو من أبطل العكر المظلم والزعة الرجمية التي لا يمكن التقدم إلى الامام بدون القضاء عليها .

هؤلاء - كما رأيت - مؤثوثون حقاً بالدين اخري ، فلا يزالون يجتهدون لنشر تلك اسطريوت التي قد آسوا بها ، في هذه البلاد الشرقية ، مكر تلت المعارف والتدابير التي قد اتقنها الغرب لذلك فيما مضى :

الادب الجديد

فتناولت - قبل كل شيء - اديهم الذي هو بلا ريب أكبر عاص في تربية العقول ، ر القوم لا يزالون يحاولون في هذا الذي يسمونه (الادب) - وهو أبعد شيء عن الفضائل والآداب - أن يزينوا للنشء الجديد هذه الفلسفة الخلقية الجديدة ، وينزعوا من نفوسهم وأذهانهم كل أثر للأقدار الخلقية القديمة . وهاتين تعرض هما على غادج من هذا الادب الاردي " الجديد :

قد ظهر في مجلة شهيرة هندية عدات مكان مرمر وق في الادب ، مقل عنونه (الآلثة شير في الفرس) و كاتبه فاضل من أهل الثقافة امليا والذكر النابه في الاوساط الادبية ، ويشغل منسباً أعلى من مناسب الحكومة . حصل هذا المقل أن يتأمن غات لأمبر الشريفة مجلس ألام أسانداها للدرس ،

وفي أممته تتقدم إلى أستاذهم رسالة حبّ قد جاءته من صديق شاب ، للقراءة والمشورة . والصديق قد كانت مسددة في حقة شاي ، حيث هرقت أحدهما بالآخر آنسة "أوروبية" ، ومن يومئذ جرى بينهما اللقاء والاجتماع والمرحلة ، حتى وقع في نفس الفتاة اليوم أن تنم من أستاذها . كتابة لاحوة لمسائل صديها الثرامية حسب مقتضى الآداب . فالاستاذ يحاول أن يشغل تليذته عن تلك السقاسف والقردة ولعمر من ولكن الفتاة تقول :

« انظّم لاريب أطلبه وأنوخته . ولكنه التلم الذي يسعد على العطر بأباني النفس التي أحلم بها في قطعي ، لا الذي يجيل مني في هذه السن الباكورة عجوزاً خادمة المشعور . »

فيسأل الاستاذ: هل لك أصدقاء غير هذه لصديقي الذي ذكرت؟
فتجيب الفتاة : « نعم لي أصدقاء متعددون ولكن ميزة هذا الشاب على غيره جميعاً أنه يحمن الزحر . »

— أرايت إن اطلعك أبوك على هذه المراسلة بينك وبينه ؟

— وهذا ترى أي لم يكتب مثل هذه الرسائل في شبابه قط .
لا يا سيدي ! إنه وجد ذو حظ لا بأس به من الثقافة الجديدة وما أدراك له لمه لا يزال يكتبها حتى هذه الآونة ، فإنه لم يدخل في الشيخوخة بعد ، بفضل الله .

— أما قبل خمسين سنة من هذا العصر، لما كان يحظر بال أحد أن يكتب إل أنسة شريفة كنتأ في القرام .

— وهل كان الناس لا يحبون إلا الرذلات اساميات في تلك الأيام إ إذا ما حكا كان أطيّب عيش الرذال في تلك الأيام ، وما أنشيت عيش الاشراف !

وآخر كلمات شعري التي هي مقطع القصيدة وقد نسخ بها الكاتب نهايته من التفلسف الادبي هي : « نحن - معشر اشباب - نواجه اليوم مشكلة معاصرة ، هي ان يحبني - بجانب - تلك الممن والهدات التي قد ضيها أسلامنا ، ونقضي - بجانب آخر - على خصال الكذب والنقض التي قد أحيوها وحلّعوها . »

وفي حلة أدبية أخرى دائمة الصيت ، نُشرت قصة موجزة بسوان (الندامة) ، قبل سنة ونصف ، خلاصتها في كلمات موجزة ان عذراء من بيت كريم تماشق رجلا ، وتدعوه الى بيتها في غيبة أبها وفي خفية من أب ، فيتولان بالفتشاء ، فتحدث ، ثم تجلس بعد ذلك يوماً تنال نفسها وتحتج لجرير صلتها المذمومة بالكلمات الآتية :

« لم لي هذا الاضطراب ؟ وممّ يحقّ علي ؟ هل يلومني هيمري ؟ وهل أنا ظئمة على ما وقع بي ؟ لعله كذلك ! ولكن ما حيلتي بعد ؟ »
وحديث تلك الهيلة المقمرة قد كُتب في صحيفة حياتي بناء الذهب .

ودكرى تلك الساعات السابعة في نشوة لشباب هي أعز ما قد ادخرته
في حياتي ؟ السَّاعةُ مستعدةٌ ليذلةً ككل ما أملك لاسترداد تلك
الساعات المرفاة ؟

« ومم ؟ إذا خفقان قلبي ! أمن خشية إثم ركبته ؟ وهل أرتكبتُ
إثمًا ؟ هيهات هيهت ! فمن الذي ادبتُ إليه ؟ ومن آذيته بدني ؟ واعيا
أقدست على بذلٍ ونضحية . فبدلتُ "نفس" معددي لذلك الحبيب وبأيتي
كنت أستطيع أنأ بذله أكثر منه ! ولست أحلف الاثم . ولكي أخاف...
ضم أخاف هذا المجتمع السمج لبيض الذي يرمقني ويحذف إلي بمفرات
ضم الشك والريبة والاثام »

« ولماذا أخاف هذا المجتمع ياساح ؟ ألا في قد أتمت ؟ ولكن ماهو إثمى
أما كانت غيري من بنات المجتمع صانعة " مثل ماسمنه ؟ « في تلك الليلة
« ليلضاء لاهمة وفي تلك الخلوة ، آه ما كان أجمل ! وكيف وضع فاه على
خمي ، وخشي إلى صدره امرئض ! أواه على تلك لينة الذاهية ! كيف
لمسقت صدره الدافئ المتطير بكل دعة وطماينة . ثم آثرت كل ه هذه
اللدنيا وما أملك فيها من تلك اللحظات من اللذة والنشوة والردور . فإذا
كلان يده ؟ وماذا يصنعه غيري عدتذ ؟ أكانت امرأة من هذه الدنيبا
تضك أن تأمر عبيده في مثل تلك الساعة ؟ »

« أليثم هو ؟ كلام أركب إثمًا ، وما لي من حجب عليه . وما أنا
دي مستعدة لإعادة ماسمت . وما لعمرة وما يريدون بها ؟ أي المذلة

لاخير ؟ أم هي طمارة لا فكار ؟ لم أعبد عذراء ولكن هل يعني ذلك
أني قد فقدت عيني ؟؟؟

« ألا تليصنع هذا المجتمع العائد البشع ماهو صافه ، ولا أبلي .
وأي صير قد نتالي منه ؟ لا شيء والله ! لماذا أستخذي إدام من اعتراسه
الغيبه الاخرق ، ولم أشفق من تمواه وهيبته ؟ وأصعتر وجبي من
الغصير ؟ ولماذا أحرب من تمكه الغارغ ؟. وهذا قلبي يشهد بأنني لم آت
نكرأ ، بل حسنا فعلت وقصا صنعت ، وبالي إدامهم سه ، ولماذا
لا أعلن ذلك ؟ أني قد فعلته وبأجيدا ما فعلت !»

هذا هو الأسلوب الفكري والمنطقي الذي يريد الاديب المتجدد في
عصره هذا أن يلقنه كل فتاة من تلاميذا . وأستريد ذلك لادته وأشته
أيضا - فهو يدعوهم إلى أنه أيح سردا هي « متعار وبهذه إحداهن في
ليل مقمر ، فتعلق به وتغنم إليه ، لأنه هو الطريق الواحد السكن
في تلك العاروف . وليس لامرأة أن تعمل غير ذلك في مثل تلك الحائ .
وليس هنا من اللطم في شيء ، بل هو بذلك وتضحية . وأيضا لا يصير
هذا بالغة ، لأن اللغة هيأت أن تقال بها التضحية بالبركة ، مادامت
تصحبها الافكار الصالحة المترفة ، بل هو عما يقوبها ويحكمها ، بل هو
مأثرة جليلة يجب أن تكتب في صحيفة حياة المرأة جاء اللهب . ولتجدد
كل امرأة أن تكون صحيفة حياتها ملأى بمثل هذه المآثر الذهبية ،
وأما المجتمع ، فإن كان يبيع مثل هؤلاء الآفات المذنب ، فلا شك في

عبدده وسميته . ولذنب في الحقيقة دليه ، إذ هو يشرى على تلك الفتيات ذوات ليند والإبحار ، لاذنب البنت الصكرية التي لا تأتى لاتضمام إلى صدر مفتوح في ليلة من ليالي الغرام . وإن المجتمع الطام الذي يستقيح هذا الفم ، لا يجد بأن يخشاه مرة ، وأن يتوارى منه بد قيسامه بتلك المأثرة . لا وربك ، بل يبنى لكل فئة أن تسأل بتلك اعضاء الخلقية وتحاربهم بكل جرأة وقوة جاني . وبدل أن تعجب بنفسها ، يجب أن تتعجب المجتمع وتبني عليه باللائمة ، إن استطعت ، فاطرك إلى هدفه الوقاحة والحرارة التي لم تكن تُقدم عليها حتى القواعد في سحر الأبناء ، في زمن من الأزمان . لأن أولئك المائسات ، لم تكن بأيديهم مثل هذه الفلسفة الخلقية التي يحمل الائم سوابيل الصواب مائمة . ولئن كانت المومسة في ذلك الهد المصير تبني عقها وكرامتها ، فقد كانت ولا شك تمد نفسها مهينة ومرتاضة في حمأة الآثام . ولكن هذا الأدب الجديد قد جاء يمس بينت كل أسرة كريمة إلى مدقصرات عن شأوه مومسات البر ، لأنه قد ابدع . ولا يزال . لنأيد لجورها ودعرتها فلسفة حلقية جديدة .

وفي مجلة أخرى ، ذنت رواج عظيم في أوساطنا لادبية ، عبد ذشرت عدة بعنوان (أخو الزوج) . وكاتبه مجمل أب كان له فضل لا ينكر في إخراج أدب حقيقي على اللغات . وكان لهذه الفلسفة التي أسماها إلهين أخلي وأحب إلى النساء الناطقات بلغة الارادية في الهند . ففي هذه مقدمة يسع الاديب انشاء بين يدي أخواته الفارقات أسوة فلة كانت

تُرسل في جسمها مثل مسحة الكهرباء ، بما تصور في أمي زوجاً من
سورة الشباب ونزوات الفتوة ، قد أن تزوج . والتي كان من نظريتها
الكاتبة منذ صباها : أن الشاب الذي يقضي في خود النفس وسكونها ،
لا يتعلم من الشيخوخة والمهرم في شيء . إذ كانت تقول : عندي أنه
لا يبدؤ للشباب من الثورة ولاضطراب الشيء من التزام بين البشاش
والأحبة . فلما زُمت هذه لأقسة ، وهي تعمل في ذهنها هذه الطريقة
وذلك التصور ، اطعمت في نفسها جذوة الموطف عملياً الحية على وجه
زوجها . فأزمت ، حسب دبرته في نفسها من قبل ، أن تغيل هواها عن
الزوج إلى شقيقه . ولم تثبت أن سحنت لها الفرصة لذلك . إذ غادرها
مروجها إلى أودية لتحصيل العلم . فملعت بأحبه وتدفقا كؤوس الحب
مترعة في عباها ، وخانت زروجة الزوج وغسست الاخ بأحبه بأقصى
ما شامت نفوسها . وقد كتبت الكاتب قصة هذا العمال بقلم الماجرة
نفسها فهي تكتب إلى حديقة لها ثم تزوج بعده كل ما تأنيه وترتكبه ،
وتيسط لها ذكر جميع المراحل التي قد اجتازها حينها إلى أن بلغ المائة .
وفي أيامها هذا لا تنصرف من تصوير كل ما قد يروى من كبريات
النفس والجسد في الاختلاط الجنسي مما لا يبق بعده إلا أن يصور حمل
الفاحشة بينه . ولعلها قد تركت لحيمة القراء والقارئات أن تصدهذهما التهمة
في التصور نفسها .

فإن أنت ظننت بين هذا الادب والادب امرئني الذي قد سقا لك
بعض غاذجه فيما سبق ، تبين لك أن هذا الرجل من أدباءنا المبرزين

لا يزالون يذمون في سيرهم خطي أساتذتهم الثريين . والطريق هو الطريق .
والناتية هي الناتية . وهم يريدون الحقوق ويدعون الأدباء لذلك الضم لثريه
للحياة ، من لحمة الفكرية والخفية . وعانيتهم في ذلك مصروفة إلى المرأة
على وجه خاص ، لكي لا يترك فيها أثر للتخلف أو الخياء .

التحولات الجديدة

تم ليست هذه المسمة الخفية وهذه انظرية الحياة بقوة وحيدة في
مظهر العمل . بل أصبحت تواردها نفسه عديده التي تقرر طلبة الغريبة
ونظام المدن الرأسمالي . وهذه القوى الثلاث لا تزال تتعامل بسبب الحب
الاجتماعية في صفة من صنع لثرب . فلا يزال يتباع حول لو ضبح الجنسية
أردا نوع من الأدب وأخفته بما يكثر دوراته في أيدي الطلبة والاعمال
في المدارس والكتابات ، ولا تزال الصور المادية وصور الفاحرات من
لنساء زينة الجرائد والمجلات وتعاين المفاهي والمنازل . وأصبحت البيوت
والاسواق كلها تدوي باناء الفاحش الركيك . وأصبح مدار العمل في
استيلاء إثارة الصواطف وتحريك الشهوات فتزين نفس المدارة . ولتجور
على شاشتها البيضاء كل مساء ، تزدبنا يحصل حياة المثلين وسبلات أسوة
تبع ، تكال في وهاء ، فإذا خرج الشباب والشباب من تلك المالا هي
المشوقة المستقرة ، غدت نفوسهم المثارة المتلقة زناد بها حول جوارده
المحوى ، ولتدس في صلب المشق والفرام ، كل هذه مظاهر شتى لتلاتعام

الراحم الي . ولأجل هذا النظام الرعوي الحياة لازال تطرأ على البلد
والخاضع - بسرعة - تلك الأوضاع التي لا تجد فيها النساء مندوسة
عن كسب الرزق بأيديهن . وهذا النظام هو الذي قد ساعد على ظهور
الفساد بحق منع الحمل ، بكل ما فيه من الآلات والأدوات والحقاير .

إن النظام الديمقراطي الجديد قد وسمت إلى بلادنا الشرقية
(بركاته) بوسطة امكنز ، وفرت في القلوب ، قد جاء بسمات ثلاث :
مفتوح - أولاً - باب نشاط السياسي والاجتماعي على مصراعيه أمام طبقة
الإثبات . وأقام - بجانب آخر - جهات ومؤسست لا هندوجة فيها
للصنعة عن الاختلاط . وثالثاً قد أرسى من عند القانون وقوده لمرساته
أصبح منه الجهر بالقواض ، بل ارتكاباً فداً ، لا يبعد من الجرائم
في أغلب الاحوال .

فلئن قد عزموا اتباع هذا الطريق في حيتهم بقلب معطش
مقتنع ، قد استعمل الانقلاب - أو كاد - في حياتهم الخلقية والاجتماعية .
صادت نماؤهم بخرجن من يوتهم في ملابس شائعة غريبة يجتبل إلى
الناظر كارت كل واحدة منهم ممثلة من ثملات (هوليود) وأصبح
يرى فيهم كل الجسورة والصدقة . بل يتبين المرء من ملابسهم " الفضة
والوانين البراقة " وعتابهم " بالترين وسر كاهن من القنسي والتشع ،
انه لا مطمح أمام أعينهم إلا " أن يكرت مشطياً جنسياً يهذن لرجال
إلين جذبا . وقد قز الحيلة فيهم إلى حد أن عدن لا يستحيين من

الفسح مع الرجال شبه عريته ، بل من حرص أنفسهم في تلك الحالة
 لتؤخذ صورتهن وتكتب في الجلات ، والحديد لم يسد له وجه عندهن
 حقاً . إذ أن جميع أجزاء الجسد الإنساني تنزله سواء في التصورات
 الخلقية الجديدة ، فمما جاز للمرأة أن تبرز من جسم الكف والجمع
 القدم ، فأنت شبيه عليها في الكشف عن ممتلئين في حلقها وحلقه ثديها .
 وممتة الحياة وتلتها التي يعبّر عن جملة مظاهرها باسم الفن (Art) ، هي
 عند هؤلاء القوم أجدر وأسمى من كل قيد خلقي ، بل هي في
 نفسها مقياس للأخلاق . ومن ثم ترى الآباء منهم والأخوال يكاد أحدهم
 يخرج من إهابه غفراً وسروراً ، إذا شهد ابنته أو أخته الأسة تسحب
 حشوات الحضور والسامعين المنشوقين ببراعة غنائها ورقصها وتبليها الغرامي
 وتال رضهم وتحسينهم . وإن أصبح المادي الذي يدعونه غبة الحياة
 ومقصودها ، أوسع وأغلى في رأيهم من كل ما يمكن أن يبل هذا
 ببذله ، فالقناة التي توهّل نفسها لهذا المقصود - (التماجد المادي) -
 وتبذل الخطوة لدى المجتمع ، إذ بلغت عنقها في هذا السبيل ، فكأنها لم تفقد
 شيئاً ، بل حارت كد شيء . ومن ذلك لا يكاد هؤلاء يفتقرون وجهه
 الوطن على تعلم دلت مع لفتها في المدرسة أو الكلية ، أو على ذهابها
 منفردة في سن الشباب ، إلى أوبرة لتحصيل العلم .

فصل الخطاب مع المستعربين

هؤلاء هم أشد الناس اعتراضاً على الحجاب ، وهو في رأيهم

حنبر "ظاهر" البطالان ، يكفي لردّه وإبطاله ثمّكم به والسجّرة منه .
 ولكن مثلهم في ذلك كمثل من كان لا يجد ضروره وجود الآف على
 وجه الانسان ، فندا يستزىء بكل من رأى على وجهه أنفاً . هذا الدليل
 الجاهلي لا يرعب إلا الجبلاء ، ويجب أن يفهموا - إن كانوا يقولون - أن بيتنا
 وبينهم اختلافاً أساسياً يمتلئ بأقدار الاشياء . فالأمور التي ننال في بيتنا نعمان
 هي عند أولئك القوم وخيبة تافهة . ولذا لك فإن الطريق السلي الذي زناه
 واجب الاتباع حسمه لثقتنا لتقدير الاشياء ، لا يدان يكون في ظهم فضولياً
 فككداً . ولكنه ما دلم بين الجاهلين مثل هذا الاختلاف الاسلي الرئيسي ،
 فمن الطيش وخفة العقل أن يبدأ لمرة بمحسنة على الفروع ، قبل أن
 يبحث ويتكلم في أصل الاختلاف ومصدره . أما الاقدار الانسانية فليس
 الحكيم القاصد في تبيينها وتحديدتها إلا "قوانين الفطرة" . وذلك أن كل
 ما اقتضاه تركيب الوجود الانساني نمّاً لقوانين الفطرة وما كانت به
 فلاح الانسان وصلاحه ، هو وحده في الحقيقة يستحق النسبة والتقدير ..
 خالوا إذاً تغنبر ما عندكم بهذا القياس وتنتظر آتياً على الحق في تعيين
 قيم الاشياء وأقدارها . فها هو ابراهيمك الملية ونأتي ببراهيمت . ثم نضع
 هذه ونلك في كعتي الميزان ونوازن بينهما كأهل الصدق والرشاد ، نرى
 أيها ترجح في الميزان وأيهما تشود . فإن أثبتنا لكم بذلك أن ميعارة
 للاقدار هو الصحيح ، كان لكم الخيار في أن تقبلوا هذه الاقدار
 المستقنة إلى العلم والصدق ، أو تبفوا متمسكين بلك الاقدار التي استغرقتوها
 تبعاً لأهواء أنفسكم لحسب . ولكن موهكم في هذا الاخير لا يد أن

يكون من انطلاً ولضنف بحيث يجعلكم أتم موضع الفزع والسخرية ٤
بدل أن تسخروا من غيركم .

الطائفة الثانية

ثم هناك طائفة ثانية ، تواجهنا بهذا الأولى . وإذا كانت الأولى مثالاً لثمة
من المسلمين وغير المسلمين ، فهذه الثانية تشتمل في الغالب على المسلمين ،
وهؤلاء قد راجع بينهم خلط عجيب من بعض السفور وبعض الحجاب ،
ولا يزالون (مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) بجانب تنزع
فدوسهم زنة إسلامية ، وهم لا يؤمنون بذلك المذير التي قد جاء بها الإسلام
للأخلاق والتذبذب والكرامة وحسن القضاة ، ويريدون أن 'يحسبوا'
نساءهم بحبي العفة والحياء ، ويظنوا بيوتهم من الأدنى الحلقية ، وليسوا
مستعدين لقبول تلك لتتائج التي قد ظهرت - ولا بد أن تظهر أبداً -
لاتشباع مبادئ التمدن والاجتماع . للرعيين . وبجانب آخر ، هم زاحفون
بأزواجهم وبناتهم وأخواتهم إلى الطريق الذي قد سمكته الحضرة الغربية ،
متعدين حدود النظام الاجتماعي الإسلامي ، كارهين حيناً ومرتدين آخره ،
تارة 'مجمعون' ، وأخرى 'مقدمون' ، وقد ثلوا غلطاً في الفهم أنهم بالجمع
بين بعض الطريق القرني وبعض الطريق الإسلامي على هذا النحو ،
سيجتول منافع الطريقين وبركاتهما جميعاً ، فستبقى الأخلاق الإسلامية في
بيوتهم محفوظة " موفورة ويقيم نظام حياتهم المائتية بمجوعاً محكماً ،
وسيجمع نظمهم الاجتماعي محاسن الاجتماع القرني لامتساوته ولذاته

وهدفه دون مضارته . ولكن الحق أنه لا يصح - أولاً - تلقيع مريعين
 اقتطعا من حضارتين مختلفتين في المقامد والذات ، لأن هذه المزوجة
 المتكسفة بين متناقضين أخرى - في التباس - بأن تجمع مضارهما جميعاً
 من أن تجلب مناهما جميعاً . ثم إنه بما يتناقص الفطرة وبمحاذي العقل انشبد
 أن تُرخي لنفسك من عدل النظام الحقوقي الاسلامي المحكم وتعودها التمدني
 لحدود القانون قد تتمكن من كبح جماحها عند الحد الذي ترى لوقوف
 عنده . خالياً من الضرر . فهذا الشغب بـلازراء المادية وانتهى في الزينة
 والتبرُّج ، وابيده بتعوت الجرمية في مجالس الحلال ، والإجبال المتزايد على
 الصور النارية والقمص الترامية ، وتعليم البنات على اطرار الترفي . كل
 هذا مظاهر لحدود الاجتماع الاسلامي إن كانت لا تعود عليك بتناجح
 عاجلة ، ولا تابل مصدرها الخيل المحصر ، وسكنه من البلاحة والحقق
 فالتنُّ بأن الاجبال القادمة أيضاً تسلم من أضرارها . ذلك بأن بداية
 كل طريق متعرف في التمدن والاجتماع تكون لاشك حقيرة متواضعة
 ولكنها إذا انفتحت من جبل إلى آخر ، ومن قن إلى ثلث ، ههنا تعود
 خطاً عظيم وأمر مستفحلاً ومصدق ذلك أورة واميركا ، فإن الانس
 انماطاة الموجبة التي فنظم عليها اجتماعها من جديد . لم تظهر منشأها في
 طحلة ، بل تم ظهور تلك النتائج الكاملة أجراً في الخيل الثالث والرابع .
 لذلك كان هذا الجمع المتكسف بين اطرق انشوية والطرقت الاسلامية ،
 وهذا المحجوب السافر ، ليس شيء ثابت مستقر ، بل رجحانه الطبيعي
 إلى الماريفة الغربية المتطرفة . والذين هم مستمسكون به الآن ، يجب أن

بعلوا أنهم بدء في بداية السير الذي إن لم يصل إلى نهايته هؤلاء ، ولا بد
أن يصل إليه حطهم أو الجبل الذي يليهم .

السُّرُورُ الْفِصَلُ

وحنا بشي لقوم أن يثبّثوا في الأمر وقبل أن ينجسوا في سيرهم
عليهم أن يجزوا موقفهم من سؤال أسلمي ، هو بركات موجزة ، هل
أقم مستعدون لقبول النتائج التي قد حصلت في أوربة و أمريكا ، وهي
ثمرات طيبة لازمة لذلك الطريق الاجتماعي ؟ وهل أقم ترخون أن
تروا في جنسكم مثل تلك البيعة الشهوات ؟ وأن زوج في
أمنكم مارج في أمم الغرب من فقد الحياء وزوال المعنى ، وغلبة الفواحش
فتم الامراض السرية كالزوجة ، وبسبب نظام العائلة والبيت ، وبكثرة
الطلاق والتفريق ، وبتردى الشباب والشباب على قضاء الشهوات أحراراً
من كل قيد ، ويقطع التماسل بتدابير منع الحمل وإسقاطه وقتل الأولاد ،
ويصبح لفتية والفتيات غير مأثورة من قوة العمل وصحة الجسم في شربهم
المداورة لحدود الاعتدال ، حتى لا ينجو من ذلك لصغار ، فنشأ فيهم
الزناات الجنسية قبل الاوان ، وبسبب غوهم الجسدي ونشأهم الفكرية
تور عليهم منذ بداية عمرهم ؟

فإن كنتم تريدون أن تقبوا كل هذه المواقب الوحيدة طمناً في نتائج
المادة ولذات الحسية ، فأثم أحرار في أن تقبوا سبيل الغرب ؟ ولا
تشتغلوا بنفسكم بذكر لاسلام . ولكم قبل أن تملكونا تلك السبيل

يجب عليكم أن تملئوا قلوبكم عن الاسلام ، حتى لا يكون لكم بعد ذلك أن تخدعوا أحدًا باسمه ، ولا تكون منكم وسوء منكم سيأتي تشويه لسمعة الاسلام والمسلمين .

ولكنكم إن كنتم غير مستعدين للقبول تلك النتائج ، بل تودعتم لأنفسكم نظاماً صالحاً مطبوعاً للتمدن ، تنمو فيه الفوائد والمساكن الإنسانية السريعة ، ويجد فيه الإنسان بيئة هادئة ساكنة لا رتبه العقلي والروحي والمادي ، ويتمسك فيه الرجال والنساء من القيام بخدماتهم المدنية ، بحير ما أو توهم القدرة والكفاءة ، على تجرد من طبعات الشهوة الشهية ، وتثبت فيه دعامة التمدن - أي الأسرة - وتستحق - ويحفظ وجود الأحياء ، ولا تقوم فتنة اختلاط الأنساب ، وتكون فيه الحياة الماثلية للبرء بحسنة المنة والزراعة والسكون ، وشئى آتيا تربية الأولاد وتنشئهم وبعلا للشركة والتعاون العملي بين أفراد الأسرة . إن كنتم تطلبون مثل هذا التمدن ، لصالح المظهر فلا تولوا وجوهكم شعار الغرب لأنه سائر في الحياة المأكسة . ومن الحال العقلي أن يبلغ امرء غايته في الفرق ، بأن يجابه نحو الغرب . إن كنتم تصدون كل هذا فليكن بسلوك سبيل الاسلام وحده ؟

هى أنكم قبل أن تصدوا هذا السبيل ، يجب أن تزغوا عن نفوسكم ما علق بها من حب المنافع المادية والذات الحسية ، لتأثركم بظاهر التمدن اتري افاقته ، وأن تنفوا عن أذهانكم ثلث التفكرات والتصورات التي

قد اقتبسوها من الرب ، وتجهروا هجراً جميع المبدىء والمقاصد التي
قد أحذقوها من التمدن والاجتماع الثري ، ذلك بأن الاسلام له مبادئ
ومقاصد خاصة ، وله نظريات عمرانية مستقلة ، وقد اصنع لنفسه نظاما
اجتماعيا حسب ما تقتضيه طبيعة مقاصده ومبادئه ونظرياته العمرانية .
ثم إنه يحافظ على هذا النظام الاجتماعي بمواظبه معلومة وطريق تأديبي
مخصوص ، قد قرر بحكمة بالغة ومراعاة لخصائص النفس الانسانية كاملة
كما لا يمكن أن يسل هذا النظام بدونه من القوضى والاختلال . وليس
هذا النظام خياليا فائقا على الأوهام Utopia كديوقراطية افلاطون ، بل
هو قد ثبت على عمك الدهر طوال ثلاثة عشر قرنا ونسفا ، ولم يورث
أمة من الأمم ، ولا قطرا من أنظار العالم ، خلال هذه ابدية اعطوية ،
شيئا مما أورثه التمدن الثري إياها من الفساد والتنازع في مدة قرن واحد
لاجل ذات إن كنتم تريدون الاستغناء بهذا النظام الاجتماعي المختبر ههنا ،
فلا بد لسكر أن تأخذوا أنفسكم متأديه وتخضروا كل الخضوع لصاحبه .
ثم ليس لكم بعده أن تدسوا في هذا النظام ، بشير حق ، بل ما استقره
عقولكم أو ما ورد عليكم من غيركم ، من أفكار فجية وعلوق مقترحة
غير مجربة ، تخالف مزاج هذا النظام وطبيعته .

أما للطبقة الثالثة ، فهي تشمل على السفراء والسفراء الذين ليس بهم
من الكفاءة والأهلية ما يفهمون به الأمور ويفكرون فيها بأغسهم ويرون
فيها رأيهم . ولذلك لا يستحقون أن يبنى بأمرهم ، فأجدر بنا أن نعرض
عنهم ، ونقدم في بحثنا إلى الأمام !

قوانين الفطرة

إن الفطر قد خلق النوع الانساني - كسائر الانواع - أرواحاً ،
أي جسيم صنفين اثنين ، يميل أحدهما الى الآخر بدافع طبيعه ، ولكن
الذي يذل عبسه ما عم من أسوال مسائل الانواع الحيوانية ، هو أن
الغاية من وراء التقسيم الصنفي والميلان الطبيعي فيها هي مجرد بقاء أنواعها
وقد لك قد أودعت تلك الانواع من هذا الميلان ما لا بد منه لقضاء كل
نوع منها ، ووزعت في جبلتها قوة ولزعة لاتدعها تتخطى ذلك الحد المعين
في أداء وظيفتها الجنسية ، وأما الانسان - بخلاف ذلك - فهذا الميلان فيه
ليس يحدّه حد ولا يضبطه ضابط ، وهو أكثر وأشدّ فيه منه في سائر
الانواع فلا يقبده وقت من أوقات الليل والنهار ، ولا فصل من فصول
اسنة الارسة . ثم ليس في جبلته قوة ولزعة تقف به عند حد بيته .
بل الرجل والمرأة يميل أحدهما إلى الآخر ميلاناً دائماً أبدياً ، وقدر كـ
خبها ما لا يحد ولا يحصى من أسباب الجذب والانجذاب الصنفي ، وأشرها
في ظهورها حب الجنس الآخر والولع به . ووضعت في تركيب أجسامها
وفي تناسبها وألوانها وهيئها وملبسها ، وفي كل جزء من أجزائها جاذبية

الجنيين بعضها لبعض . وأودعت رنة صوتها ومشيتها وحركانها ولفاتها
 قوة أخذة ، ثم قد بثت القدر فيها حولها ما لا يحصى من الأسباب التي تحرك
 فيها انتزعت الجنسية وتعمل أحدهما إلى الآخر . فربيع الربيع ، وجريان
 الماء ، وخضرة النبات ، وعير الرياحين ، وزقزقة الطيور ، وعارض السماء
 ونعومة الليل القمر ! كل هذه المظاهر لجبال العنزة وبهاء الكون ، إن
 منها شيء إلا يحرك فيها السواطع بنفسه أو بواسطته .

ثم إنك إن تأملت نظام الجسم الانساني ، علمت أن ما أودعه من
 مخزون القوة العظيم ، هو في الوقت نفسه ، قوة الحياة وقوة العمل وقوة
 الوظيفة الجنسية . فالغدد (Glands) التي هي لأعضاء الانسان الحيات
 (Hormones) وتبعث في جسمه قوة العمل ونقطة النشاط ، هي التي قد
 وكل إليها أن تنشيء به قوة الوظيفة الجنسية ، وتسمى فيه السواطع
 المحركة لهذه القوة وتزوده بصنوف الادوات من الجبال والروا والوصاة
 والروعة لاستثارة تدث السواطع . ثم تبعث في فاعله وسامته وشامتة
 ولاسته ، وحتى في غيظه صفة . لتأثر بثلث لاسوت الجبالية .

وهذه الحكمة والتدبير نفسه ، قد راعته الفطرة في قوى الانسان
 النفسية . فكل ما أودعته نفس الانسان من القوى للحركة ، تعمل
 أسبابها بفرزتين قويتين : إحداهما ، التي تحفزها حتى حفظ وجوده وخدمة
 ذاته ، والاخرى ، التي تدفعه إلى التعلق بالجنس الخفاف . ففي عمود
 الشباب ، حينما تكون القوى السلية في الانسان على أشدها ، تبغ هذه

الفرزة الثانية من القوة واشدها أنها كثيراً ما تقهر الأولى . ويبلغ من تأثيرها في الإنسان أنه ربما لا يتردد في الالتقاء بيده إلى التسلية وهو يعلم !

تأثير الجاذبية الجنسية في انشاء التمرن

لأني شيء ترى هذا التدبير الحكيم ؟ ألم يرد بقاء النوع ؟ لا ، لأن النوع الانساني لا يحتاج لبقائه إلى كل ذلك التناسل الذي يحتاج اليه السمك والمز وما إليها من الأنواع . فما اسئلة إذاً ليكون الغاظر قد جسد حفظ الانسان من ليلان الحنسي أكثر من كل ماسو من الأنواع ، وأعد له من أسباب التحريك والتبويض ما لم يجد له في الحيوان ؟ هل ذلك كله لتوفير لذته والمتعة للانسان ؟ لا ، ليس الامر كذلك أبشاً . لأن الغطرة لم تجعل الذرة والمتعة شيئاً مقصوداً بذته في حال من الاحوال . وإنما هي تضع الذرة في عمل من الاعمال كحفظ الانسان والحيوان عليه ، لتحقيق مقصود أصمى وأجل ، حتى يقوموا بهذه الخدمة واضعين ، شاعرين بأنهم يعملون ذلك لمصالحهم ، لا لمصالح غيرهم . فأقول الآن : معني ذلك المقصود الأصمى الذي ترمي اليه الغطرة في هذا الأمر . إنك فيها فكرت وترويت لم تقمته لكل هذا التدبير من عينة سوى أنه لغطرة تريد للانسان - بخلاف سائر الأنواع - أن يتحضر ويتحدث .

بهذا السبب وحده قد وضعت في قلبه تلك الفرزة للحب والهوى

الجنسي ، التي لا تقتضي مجرد الاتصال الجسدي ، والوظيفة الجنسية ، بل تتطلب عشرة دافعة وصلة قلبية وتعلقاً روحياً قوياً .

ولهذا السبب وحده قد جعل ابيلاّن الجنسي في الانسان أضعف حافيه من قوة الجماع . ولو أنه يأتي الوظيفة الجنسية بقدر ما أودع من الشهوة والتزوع الجنسي ، أستمع الله ، بل بقدر مشر عليه من تلك الشهوة والتزوع ، ثلاثته سبحانه وتقدت قواء قبل أن يبلغ تمام عمره الطبيعي . وهذا من التلايل ابيّن على أنه ليس المقصود بتوفير التزوع الجنسي فيه أن يأتي الوظيفة الجنسية أكثر من سائر الحيوان ، بل يراد به وصل الرجل والمرأة بهذا السبب القوي ، وجعل علاقة هائنها ثابتة مطردة :

ولأجل ذلك ندر كتب في طبع المرأة - بجانب الشهوة والحاذية الجنسية - الحياء والاحشام والصدود والامتناع والفرار التي تكسبها كل امرأة قليلاً أو كثيراً ، ولا ريب أن طبع اعرار والامتناع هذا طهر على إثاث سائر الحيوان أيضاً ، ولكنه في أقوى الانسان أكثر وأشد . وقد زيد في شدته بما وضع لها من عريضة الحشمة والحياء . وهذا أيضاً يستتبع منه أن المقصود بوجود القوة المضططية الجنسية في الانسان هو تحقيق الاتصال الدائم بين زوجيه ، لأن تنتهي كل نغمة جنسية فيها إلى وظيفة جنسية .

ولهذا السبب قد خلق الطفل الانساني أضعف وأعجز من تاج

صائر الحيوان . فيحتاج الولد الانساني - بخلاف الحيوانات الأخرى - إلى رعاية والديه وتربيتها مدة يستع سين ، ويتأخر فيه نشوء لقوة والاهلية لكسب قوته ، والاستقلال بنفسه في الماش . وهذا كذلك مما يُراد به ألا ينحصر اتصال الرجل و امرأة في التعلق الجنسي بينها ، بل عملها نتيجة هذا التعلق على التساوى والتعامل في الحياة .

ولهذا نفسه قد تطور الانسان أحسن على أولاده وأكثر حباً لهم من كل الحيوان . فالحيوانات تمارق أولادها بعد أن تُربها مدة طيلة ، ثم تنقطع بينها الأسباب حتى لا يتعرف بعضها بعضاً بعد ذلك . والانسان - بخلاف ذلك - يظل "مأسور" العواذ بحب أولاده ، حتى بعد انقضاء مدة التربية ، ثم يتدحج هذا من أولاده إلى أولاد أولاده . ويبلغ من سلطان هذا الحب على طبع الانسان الحيواني الانائي أنه يحب لأولاده أكثر مما يحب نفسه وجود من قرارة نفسه أن يهيئ تخلفه أحسن ما يكون من أسباب العيش ، ويورثهم كل ثمرات أعماله وجماداته في الحياة . فما كانت القطرة تترمي من ورعهه اماطقة الشديدة من الحب إلا أن تحول التعلق الجنسي بين الرجل و امرأة إلى رابطة أبدية ، ثم تتخذ هذه الرابطة أدّة لإشياء العائلة ، ثم تغني هذه السلسلة من حب الأقارب والادنين تربط كثيراً عن لهايلات بأصرة الصبر ، حتى تشترك في الحب والاجباء ، فيجعلها هذا الاشتراك على التساوى والتعامل . وبذلك تقوم نظام للتدجين .

المسألة - اوساسية التمدن

يتضح من ذلك كله أن وفور هذا الميلان الجنسي الذي لا يخلو منه عصب من أعصاب الجسد الانساني أو تاجية عن فواحي دوحه ونفسه ، ولقي قد هباً الفاطر لتتجزه وتقويه أسباباً ومحركات في كل جانب من جوانب هذا الكون ، على نطاق واسع جيداً ، المقصود به : صرف (الفردية) في الانسان الى (الجماعية) . وإن افاطر قد جملة قوة عزيمية أسمية للتمدن الانساني . فهذا الميلان الشديد والانجذاب الدائم يجهت إلى الوصل بين الجنسين من النوع الانساني . ومن هذا الوصل بينها تكون بداية الحياة الاجتماعية (Social Life) .

وإذا تحقق هذا الأمر ، تبين أن مسألة العلاقة بين الرجل و المرأة ، هي في الحقيقة مسألة أسمية للتمدن ، يتوقف على حسب الصحيح أو الخطأ ، صلاح التمدن أو فساده وخيره أو شره ، وقوته أو ضعفه . وأن بين الجنسين الانسانيين علاقتين إحداهما علاقة هيمية - وبكلمات أخرى جسمية شهوانية خالصة - ليس المقصود بها إلا بقاء النوع . وأخرى علاقة إنسانية يراد بها الجنسين أن يتعاونوا فيما يشتركان فيه من المصالح والأغراض ، حسب ما أوتي كل واحد منها من المواهب والكمالات الفطرية ويؤتيها على هذا المساواة معها الجنسي الذي يكون بينها واسطة

الاتصال ، وهذان المنصران - ابهيبي والانساني - شاملان في الجنين
ويستخدمانها للقيام بشؤون التميدن وفي الوقت نفسه لإنتاج المزيد من
الأفراد الذين يواصلون تدوير تلك الشؤون ، ومبداً التميدن متوقف
على أن يكون امتزاج هذين المنصرين مثلاً متزنًا .

★ ★ ★

لوازم المدنية الصالحة

هنا بنا نعالج المسألة بالتحليل . فنعلم كيف تنتزع اللائحة البرمجية والانسانية - بين الرجل والمرأة امتزاجاً متديلاً متزناً ، وأي صورة من الانحراف والشطط تفتري هذا الامتزاج فتجرح حتى تتمدد الفساد .

١

تدبر المعلوك الجنسي

إن أم وأولى ما يواجهه الفرد من أسئلة في هذا العدد هو التزوج والميلان الجنسي، كيف يتكسح جماعه ويتحد من طغيانه . وقد مر آنفاً أنه هذا الميلان في الانسان أشد وأقوى منه في سائر الحيوانات ولا ينحصر الامر في أن القوى المبيجة هي أشدها في داخل الجسم الانساني لحسباً ، بل الامر آن قد تنشر في خارجه أيضاً ، من كل جانب من هذا العالم الواسع ما لا يُد من الحركات الجنسية . وهذه التريزة التي قد أعدت لها العطرة قسماً كل تلك لأسباب ، لو أن الانسان يأتي ويبيى الأسباب

تفويتها وإعلائي بإعمال فكره وموه خراجه ، ويختار لنفسه نوعاً من
التمدن ، يرداد فيه هيامه الحسي ويشد مع الأيام ، ثم تنبسر له فيه
فُرس إروائه وتسكينه ، فإن هذه الفريضة لا حرم أن تقصص وتنطلي
حدوده الاعتدال ، ويضرب المنصُر الحيواني في الإنسان مُنصره الانساني
كل التلبه ، وتأكل هذه النيمة الجائحة انسانيته وقده ساء .

إن الملاقة الجنسية وما يتقدمها من المبادئ والحواجز ، كل واحد
منها قد جسسته افطره للبدأ مُتماً ولكن لم تجس هذه اللذة فيه - كما سبق
أن أشرنا إليه - إلا لتحقيق مقصدها وهو إنشاء التمدن . أما شغف
الإنسان بهذه اللذة متجاوزاً حد القصد ، وانها كره في طلبها دون سائر
الامور ، فقد يجر - وهو فعلاً زال ولا يزال يجر - الغراب والفسار ،
لا على التمدن وحده ، بل على النوع الانساني أجمع . فانطُر في أخبار
الأمم البائدة وآثارها ، تجد أن غريزة الشهوة كانت « حشة » فيهم ومتغلبة
عليهم ، هذه آدابهم تراها معلومة بالواضح الجنسية المبيحة ، وهذه أخلاقهم
وأحكامهم وقمصهم وأشعارهم وصورهم وتماثيلهم ومنايهم وقصورهم -
كلها دافقة طغيان شهواتهم . وانطُر كذلك في أحوال الأمم التي هي
سائرة اليوم في سبيل الحُر ب تجد ان قصد هو القصد والطريق هو الطريق
ومهاجول هؤلاء أن ينفخوا شهواتهم المفرطة باسم الفن والادب الطفيف
وتدوّن الجمال وما شاكله من الاسماء الجذابة ، فإن الحقيقة لا تقبّل
ببدل السمة والذنوان . أرايت ما هذا الذي قد جعل انراء في المجتمع
الحديث أرضية في سمجة الرجال منها في سمجة النساء ؟ وجعل الرجل

أحرصَ على عشرة النساء منه على عشرة الرجال ؟ وما السبب في زيادة
حبِّ الزينة والتجملُّ في الصنعة مع الأيام ؟ ولماذا نكاد المرأة نتجرد
من ملابسها في هذا المجتمع المختلط ؟ وما الذي يجعلها تكشف عن عورات
جسمها وتعرضها على الأنظار عورةً بعد عورة ، والرجال ينددون : هل
من مزيد ؟ وما لمة في أن أسوِّر الفاحشة وتباين المجرمة والرقص
الغريبان هي أحرَّ لاشياء إلى الناس وماذا لا تحبذ النفوس لقمة في الأكل
السبائية ؟ لم تمارجها أحاديث الحب والفرام ، وما لم يُصنف إليها كثير
من مقدمات الملاقة الجنسية من القول الدخس ولعل المبيح ؟ أرأيت
ما هذه كلها وما شاكل من المظاهر الكثيرة الأخرى ؟ وهل تتم هذه
كلها على شيء غير طغيان الزينة في الأنثى والذكور ؟ وهل يكون
مصدر لتسدين الذي تقوم فيه هذه البيئة لمرحلة في الشهوات عبر
الحكمة والتبؤ ؟

لحق أن مثل هذه البيئة بما غتاز به من شدة الميلان الجنسي والتبرج
الهائم والتحريك المستمر ، لا بدَّ أن يعضفَ فيها البدن ، ويفسد غو
القوى البدنية والعقلية ، وتتورع الانسكار وتنتشر الانحلال (١)

(١) ما كنهه بعض الأملية : إن زمن البوغ يدخل على الإنسان مكثراً من
التجربات الهامة ، تستري أفعال نفسه وجسده المختلفة خلاله حالة عقلانية ، وتعتمد
فيه النفاة والنمو من جميع الوجوه ، ولاحتلال تلك الفترات الواقعة في جسده ، وقبل
تلك النفاة والنمو ، يحتاج المرء في هذه الآونة إلى استنطاع كل قوة . ومن هذا
تفهم في الحكمة للأمران . وهذا السبل الطويل سنن السو العام ونأخذ الانباء =

وتكثر الفواشش وتسمى الأمراض السرية ، وتقوم الحركات المختلفة لنسج الجلد وإسقاطه ، وتدل الأولاد ، ويولد الرجال والنساء يتخاطب بعضهم بعضاً كالبهائم ، بل يستعملوا الميلاث الجنسي الذي قد حملت الفطرة حفظهم منه أكثر من سائر الحيوان ، مما يندفع مقاصد الفطرة ويأبىها ويدفعوا في جميعهم كل أنواع الحيوان حتى القرود والماعز ، وهذه السهوية الشديدة اللغاية لا تجرم أن تهدم التمدن والحضارة ، بل تهدم الإنسانية نفسها ، ومن استعمل فيها من الناس حري بأبش ينشر بهم الانحطاط الخلقي في حضيض من الدثة ، لا ينشون منه أيدي للفر .

ومثل هذا المنصر لا بد أن يلحقه التمدن الذي يختار جانب التفریط فكأن أن إرطاط الميلاث الجنسي ويجوزة حسنة الاعتدال صار ، كذلك

= وسموت الغبر في الجسم وفي نفس = الذي يتخلل بالإنسان من طور النسا إلى طور الرجولة ، عمل منصب شاذ ، تكون طبيعة امره في ذاته في كد وكدر ، فلا يجوز أن يحمل عليها في تلك الحالة حل يهبط ولا سيما النفس الجنسي والخيال المعنوي ، الذي هما يشتران بها أجمع الضرر .

ويكتب عالم الماني مشير في علوم النفس والعمران : إن الاعضاء الجسمية تكونها تحت تأثير هيجان عرادي (Sensation) لحاسة اللمس والشم في الإنسان ، تكون مصدرة أبداً لاجتماع جانب كبير من قواه التحسية إلى نفسها أوغل لتفصيا والاستعداد بها ، فهي لا توفى في المرء وغيت عليه ، تفكك فلتع والذات الفردية بدلاً من خدمة الصنم .

وحسبهم ابتداء الخطورة لشك الأعضاء في جسم الإنسان يمكن أن تعرف بجراحه الجنسية ، كما نفس ، عن جادة القلب والاهتساب وتملك فيها له غمرا قريب لذلك أن يكون أهم عايات الصليم أن يوجد باب هذا الخطر العظيم .

كتبته وتذليه فوق الحد المقبول شار . وإن . لنظام التمدين الذي يدعو
الإنسان إلى الزوجة . النافذة والرهبة وإمارة الشهوة والرأسات والاشاقاء
فإنه يصحرب العطرة ، والفطرة لا تطلب بل تطلب ، وتجبف بين عرشها .
أما تصور الرهبة الخداسة ، فمن البديهي أنه لا يمكن أن يكون أساساً
تمدين بصرى ، لأنه في الحقيقة متناف لتمدين والحضارة . ولا ريب أنه
يمكن إثبات تلك التصورات الرهنية في النفوس أن نشأ في المجتمع
بيئة خلوة من مؤثرات الشهوة ، تجعل العلاقة الجنسية فيها شيئاً محترقاً
مستثنى في ذاته ، ويقرر احتياجها مياراً للعضية ، ويحاول بكل الوسائل
الممكنة أن تسكب هذا الميلان في نفس الإنسان . ولكن الحى أن انكبات
هذا الميلان الجنسي في الإنسان منه انكبات الانسانية فيه حقاً ، لأن
هذا الميلان لن ينزول من يتراجع وحده ، بل سيراجع معه ذكاء الإنسان
وقوته العلمية وموهبته العقلية وعزيمته وجرأته وحمته وشجاعته ،
ويؤمن هذا الميدان ستراخى في الإنسان جميع قواه ومقدراته ، ويورد
فيه الفهم ويجمده . ولن يسود أهلاً فترقتي والهورش . وذلك لأن أكبر
القوى المحركة في الإنسان هي هذه القوة الجنسية بلا نزاع .

فمن أول واجبات التمدين الصالح الرجوع بهذا الميلان الجنسي من
مضائى الافراط والتفريط إلى جادة قصد الاعتدال ، وضبطه بما ينهى
من ضابط . ويجب لهذا الغرض أن يُدبر للحياة الاجتماعية نظام يمنع
- بحسب - كل ما يفتنه الإنسان بإرادته وإثباته الشهوات من أسباب

التبنيج والتعريبك المتجاوز حد الاعتدال (Abnormal) ، ويضع
-مجانس- آخر-طريقاً لارواء عليل الشبوات -نظرة للمثلية (Normal)
جوانق مقاصد العطرة نفسها .

٢

تشكيل الأسرة

والاعلم ينبئ هنا في ذهن الباحث السؤال عن مقصود الفطرة
ومطلوبها ، ماذا هو ؟ وأنشئ تحدياً ؟ وهل قد حدثني لنا في الامر ، وتذكرتنا
تخبط في الظلام لنضع أيدينا على مائدة ، فقرر أنه مقصود الفطرة ؟ أم
نحن لا ندرك هذا المقصود إلا بالتأمل في نوايسها ؟ ولعل أكثر الناس
يقولون بالأولى ، يظنون على كل ما هو أنفسهم حكم مقصود الفطرة
بدون أن يظفروا في نوايسها ولكنه إذا خرج باحث يلمس وجه الحقيقة
فإنه لا يضطو في سبيله خطوات ، حتى يحيل اليه أن الفطرة نفسها تدله
وتشير له إلى غايتها ومقصودها .

فما هو بدعي معلوم أن مقصود افطرة الرئيسي من خلق الانسان
أزواجاً كجميع الانواع الحيوانية ، ومن وضعا الحذينة الجنسية فيها
هو بقاء النوع . ولكن الفطرة لا تعذب الانسان بهذا وحده ، بل هي
تطلب منه وراء ذلك أموراً ، تستلح بقين من التأمل أن تشرق ما هي
تلك المطالب ، ومن أي نوع هي ؟

إن أول ما يلتفت إليه بهذا الصدد، هو كون الطفل الانساني يختلف
 عن أولاد سائر الجوان ، من حيث' امتصاصه وقتاً أكثر وعنايةً أبخ
 وعملاً أنب ، لأجل رعايته وتربيته . وإن نحن فرضناه وجوداً حيوانياً
 عاصماً ، وإنا نجد حتى في هذه الصورة المفروضة أنه يستغرق أحوالاً
 متعددة قبل أن يستطيع القيام بمقتضى حوائجه الحيوانية ، كالتس فتوته
 والاندماصة عن نفسه ، ويكون الضعف والهجور في السنتين أو السنوات
 الثلاث الأولى من عمره بحيث لا يمكنه حتى أن يحيا ويعيش بدون عناية
 مدبرة من أمه .

ولكن الظاهر أن الانسان، بما كان ممناً في توجسحه ، ليس بالحيوان
 خصباً ، بل لابداً لحياته من مدنية من أبة درجة كانت . وهذه المدنية
 تضيق إلى واسعها العطري من تربية ، لأولاده ، واجبين آخرين : أولها
 أن يستخدم لتربية ولده كل ما يتيسر له من وسائل تمدن . والثاني أن
 يربيه تربية " توهله لتدبير شؤون التمدن في المحيط البشري الذي ولد فيه
 ولأن يقوم مقام المدلين السابقين فيه .

ثم إنه كلما كان التمدن أعلى درجة وأزهر رقياً ، كان هذات
 الواجبات أثقل عبئاً وأدعى خطراً ، فيجانب تكثر الوسائل اللازمة لتربية
 الأولاد على معنى " الام . وبجانب آخر لا يكفي التمدن بطلب اساميل
 ذوي القدرةاسبة لقياسه وبقله ، بل هو يقتضي لأجل فتوته وارتقائه
 أن يكون كل حيل لاحق أعلى رتبة وأكل أداة من الجبل اساق ،

وبعارة أخرى يطلب من كل مرأة أن يرثي ولده "زينة" أحسن من
تربيته ويشتد على مستوى أعلى من مستواه . وأهيك بهذا الأثر العظيم
الذي يستلزم للزينة حتى عن عاطفة حبه لذاته ؟.

هذه هي مطالب الفطرة الانسانية . و"ول" من توجه اليه هذه المطالب
هي المرأة . وذلك أن الرجل قد يكون منه أن يصغر بالمرأة ساعة من
الزمن ، ثم يشد عنها وعن ثمة ذلك الاتصال . ولكن المرأة لا تستطيع
أن تُعدت من نتيجة اتصالها بذلك الرجل عدة من السنين ، بل مدة
أصغر قليلاً ، فإنها إن حملت ، لا تفارقها نتيجة ذلك الاتصال بجمال من
الاحوال مدة خمس سنوات على الأقل . ثم إن أرادت المرأة أن تقوم
بجميع مقتضيات التمدين ، فعندها أن تطلّ المسكينة التي ذاقَتْ عُسَيْلَةً
الرجل ساعة من الزمان ، مثقلاً كاهلها بثمات الفل . مدة خمسة عشر عاماً
علاوة ، فتسأل النفس في هذا المقام : كيف يكون لأحد الفريقين أن
يستمر لقبول ثمة العمل الذي قد اشتركا فيه جيباً . وأنثى للمرأة أن
ترضى النهوض بهذا الامر القادح عالم تتخلص من خشية التذمر من
قبل شريكها في ذلك العمل ، وما لم تطلعت نفسها من جهة تربية أولادها
ثم عالم منقسم عن السهل لكسب حوائج حياتها إلى حدٍ كبير . فالخلق
لأمرأة لا تقسم له من الرجال خطب جملتك ولعبة عظيمة ، بل هو آفة
لآفات من الطبيعي أن تبني نفسها التخطص منها . وأنثى يكون لها لمر
الله أن ترحب بها وتعيش اليها ؟ !.

لذلك إن وجد بقدره انواع وقيام التمدن فواجب لا محالة على الرجل
الذي يُلْقِح امرأة من النساء، أن يُشارِكها أيضاً في القيام بشُئام الامر.
ولكن ما السبيل لاقتدائه بقبول هذه الشراكة وهو قد فُطِر على الاثمة
وحب مصلحة الذات . أما الواجب الطبيعي من اجراء النوع ، فقد فرغ
من نصيب عمله منه ساعة التمتع للمرأة . ولازم للرجل بعد ذلك المرأة
وحدها ، ولا يكون له شأن مع الرجل . ثم إن الرجل لا يقدمه الرغبة
الجُنسية أيضاً إلى أن يماشر تلك المرأة نفسها . فإنه إن شاء هجرها إلى
الثانية ، وهجر الثانية إلى الثالثة ، ومضى هكذا ينثر بذره هنا وهبها
لذلك فلوترك الأمر إلى رضاء ، فلا مُشَوِّع لأن يرضى انقيم بهذا السبب
بطيئة نفسه . فهذا عساه - يأثر في - يجعله على أن يتفق فحرت جهوده على
هذه المرأة والولد ؟ ولذا "يقوم على حب" هذه الحبشي البطيئة ، ولا يمارقها
إلى غداة حُمسنة ؟ ولذا "يُري مضمة لحم تكد على نفقته ؟ ولذا يحرم
نفسه لنومة المهادنة صباح الخبيث وسراخه ؟ ويترك هذا الشيطان
الصغير يحبو في بيته ويحب بكل ما تقع عليه يده ، فيُسبب له الحُسام ،
ثم يث في أطرافه القفر ولا يتصيح فيه نهي" أو زجر ؟ !

إن افطرة نفسها قد عطلت هذه لمسألة إلى حد ما ، فخالفت في المرأة
ميزة الجمال والعصاينة ووصفة الإمتاع والتسلية ، وملكة الاثارة والتمضية
في سبيل الحب ، لكي تقتصر بهذه الاسلحة على الفردية الأنثوية في الرجل
وتصبي ذؤاده وتلك عليه لُبّه . وقد جعلت في الولد أيضاً قوة عجيبة
للتصغير ، لكي يسي أيوبه في حُبّه على رغم حماقته المستعجلة ، الموجبة

للخصائر . ولكن ليست هذه كلها من الامور التي تكفي وحدها في أن تدفع قوتها الانساني إلى احتال لخسارة والاذى والتضحية عمراً من السنين ، لأجل قيام بواجباته الخلقية والفطرية التمدنية . فإن الانسان لاشك بالازمه أيضاً عدوّه "الآزلي" ، الشيطان ، والذي لا يزال يتحين الفرصة لكل حين ليعده به عن جادة الفطرة ، والذي لا يزال حبيبة كيده مخلوعة بقنود من الأدلة وتسويلات لاستغواء بني آدم من كل جيل ، وفي كل زمان .

إنه من معجزات الدين حقاً أنه يحض الانسان - بصرفه - على التضحية والبذل لأجل مصالح النوع والتقدم ويعمل هذا الحيوان الاناني إلى إنسان ، ثم يحفزه على الايثار . وإن الانبياء والمرسلين هم الذين قاموا بمقصد الفطرة فيها سائياً ، وقرروا الصورة الصحيحة للتعلق الجنسي بين الرجل والمرأة وتعاونهما في شؤون التمدن ، وهي النكاح . وهم الذين جرت على أيديهم سنة "النكاح في كل أمة" ، وفي كل وبع من دوح الارش . وما هو إلا بفضل المبادئ الخلفية التي نثرها أولئك المرسل ان تمكن الانسان من الاستعداد الروحي الذي يقويه على استئصال متاع هذه الحياة وخسائرها . والافرن فارتونه احق بأن يكون عدواً عاطل من والديه ؟ وعلى قواعد الاجتهاد التي وضموها فأسس النظام العالي الذي يرعى سلطانه القوي "النتية" لفتيات على التزام هذه الرطة القائمة على المسؤولية وهذا الاشتراك النظمي في شؤون الحياة . والا فإذن مطالب شبابهم البهيمية تكون بالنة من الشدة أن لا يكاد يتنهم الشعور

بالبينة الحقيقية وحده . - بغير التأديب الخارجي - من لانغلاق مع شهورهم بدون قيد . ان عزلة الشهورات في نفسها حارب على الجمعية (Anti Social) ، وهي زاعمة إلى الاثرة والفردية والفوضى ، وليس لها ثبات أو قرار ، ولا فيها شعور بالمسئولية وهي لا تحرر لبرء إلا لتمنح بالذمة اذمنة ، وليس من اليسر الميئس تسخير هذا المقرب تخدمة مصالح الحياة الاجتماعية هذه الحياة التي تتطلب الصبر والثبات والجهد وابذل والشعور بالمسئولية والكدر المستمر . ليس غير قانون النكاح وغير نظام الأسرة يذل هذا المعرفت ويتزع منه مصدر الخبث والفوضى والاقتدار ، ويجعل أدلة تعاون الرجل والمرأة واشتركاها السعي الدائم الذي لا يث منه تعمير الحياة الاجتماعية . فإن يتقدم هذا القانون وهذا النظام المائلي ، ثلاث حياة الإنسان المدنية ويصبح الانساني يعيشون عبثة الانعام ، حتى يتجني نوعهم عن صفعة هذا الوجود .

فالطريق الذي تريد الفطرة نفسها أن يفتح لقاء معاديب الانسان الفطرة ، بعد منح الميلان الجنسي فيه من لغوض والانحراف ، ماهو إلا أن يكون بين الرجل والمرأة اتصال أيدي بصورة اسكاج ، ويكون هذا الاتصال بينها أساساً لتنظيم المائلي . وهذا النظام المائلي هو الذي يبيح لتمتد كل ما يحتاج إليه من الآلات المستيرة انظامه الواسع . فلا يلح الفتية والفتيات في الوسط المائلي من اللوغ حتى يهتم رؤساء الأسرة بأن يلتصو لهم أرواجا يوافقونهم أكثر حتى ينتجوا بتواصلهم نسل أعلى وأجود . ثم متى أضلوا نسلًا يجتهد كل عضو من أعضاء هذا النظام لتخلي

برغبة قلبية صادقة أن يربيه أحسن التربية فيجد العائل في محيط «عائلة»
 مذ يفتح عينيه في هذه الدنيا - بيئة من الحلو والمطرب والرعاية واتverd
 وتربية ، تكون لبنوه ونشأته كبناء الفسرات لبارش النبات. والحق أن
 محيط اسائلة هو الذي يمكن أن يجد فيه الطفل نفوساً تحبه وتطرب عليه
 بل من يودون من صميم قلوبهم أن يبلغ العائل في حياته مكانة اجتماعية
 أعلى من التي ولد عليها وانها الا يوان فقدان يحب ان يجدوا الاولاد في
 حال احسن من حالها وعلى مكانة أرقى من مكانتها ، يبحثون من انفسهم
 - بدون شعور أو ارادة - ان يجعلا الجيل اللاحق احسن من السابق ،
 ويحدد بذلك سبيل الارتقاء الانساني وهذا الجهد والسعي منها لانشوبه
 شائبة من الآثرة . فإنها لا يريدان شيئاً لانفسها وعنايريدان فلاح ولدهما
 ويبتدران نشأته انساناً ناجحاً حرد تربية جزاء واعياً لمصاعبها وحمودها.
 وأسى يمكنك أن تجد في عبر الطام السائي أمثال هؤلاء الصغار المنتمين
 (Labourers) والخدامين الاوويين (Workers) الذين لا يكفهم أن يعملوا
 لمصلحة النوع الانساني بدون أجر ، بل يبذلون لهذه الخدمة كل ما
 يملكون من الوقت والراحة والقوة والكفاءة وذات اليد . ويضحون
 بأنفس ما يملكون في سبيل الامر الذي لاتزال نمره إمام ، بل يتفجع
 بها غيرهم ، ويكتفون من الخزانة لهدوهم بأنهم قد حيوا لتبرهم عامين
 وخدامين من اشمط الحسن : أفتجد نظاماً أطهر وأرقى في الانسانية
 من هذا النظام العائلي .

هذا ويحتاج النوع الانساني لبقائه ، والتمدد الانساني لاطراذه
وارتقائه كل سنة إلى ملايين من الأزواج يتقدمون لقيام بهذه الخدمة
وتبعهم . راضين غنارين . فيتأقذون بهم الكاح ويؤسسون الزيد من
الاسر . وهذا للعمل التمدني اعظم الذي هو جدار املك في هذه الدنيا
ما كان ليجري ويرتقي ما لم ينزل أمثال أولئك اساميلن المتطوعين يتقدمون
حائما لهذه الخدمة ، ويهشون الابدني السعة لهذا العمل . وإن أقفطت
سلسلة هذا التطوع ، وغدا لعمالون السابقون ينتحون عن العمل بتمل
الاسباب الطبيعية ، فلا جرم ان ينقص عدد العمال مع الأيام . ويأتي على
الوجود حين من الدهر تعود قيديته بلا أوتار تنم . فكل من يعمل
لتغيير هذا العمل التمدني ، طيس واجه أن يستيره في حياته هو وكفى ،
بل يجب عليه كذلك ان ينى بإعداد امثاله من العاملين الذين يقومون
حقاقه من بعده .

وإن أنت قدبرت الأمر من هذه الوجهة ، وجدت أنه أمر الشكاح
لا ينحصر في أنه الصورة اشريعة الوحيدة لارواء الغليل الجنسي ، بل
هو في الواقع فرينة جماعية ، وحق فطري لجماعة على الفرد وما كان
الفرد ليحمل اليه القفل في أن يعقد عقدة النكاح ولا يقعد ، وإن الذين يأتون
عقد النكاح بدون عذر معقول هم في الحقيقة جملة على المجتمع ، طلييون
(Parasites) بل هم قدرة متلصسون . ذلك انه ما من نفس انسانية ولا
على هذه الارض إلا وقد استعاد من لادن بدء حياته إلى سن شبابه ،
من الثروة العريضة الواسعة التي هيأتها له لأجيال السالفة ، عاشا انه ان

يستفيد ، ولم يتمكن من بقاءه وغوه ونشأته في الصفات الانسانية إلا بفضل النظم والمؤسسات التي اقاموها . فبقي في اثناء هذا كله يأخذ ويستمد ولا يُعطى ولا يُبدى وأُفقت الجماعة قوتها وثروتها لتكفيل قواه الناقصة رجاء أن يكافئها يوم يقدر على المكافأة . فهو الآن ، وقد اشتد ساعده ، إن كان يطلب لنفسه الحرية القانية والاستقلال ، ويقول : اتي لست فاعلاً شيئاً الا أن أقضي شهواتي بحسب ، ولن أقوم بما يشع منه الشهوات من التبعث والواجبات ، فإنه لاشك خاسر بالجماعة خدام لها ، وكل لحظة من لحظات حياته بين الجماعة ظم وعدوان . ولو أن للجماعة حنفاً من الشعور لحسبت عليه حكم السرقة والافسوس وأهلى الشئ والتروير بدل ان تكرمه وتدعوه سيداً أو آتمة أو أستاذاً محترماً . اننا لاشك قد قوارفنا كل الثروة والذخيرة التي قد تركتها الاجيال السابقة . اردنا ذلك أم لم نرده . فكيف يجوز لنا الآن أن نكون لنا الحرية كل الحرية في امر القوتون الفطري الذي قد وافقنا الميراث بوجهه فنكون مختارين في أن نحقق مقصود ذلك القوتون ، أو لا نحقق ، وأن نمد الحبل الذي يرث هذه الثروة والذخيرة التي خلقتها انواع الانساني أو لا نمد ، وأن نربي موسماً آخرى . كما رُبيت نحن . لنهد تلك الثروة والقيام عليها أو لا نفعل !

٣

سر باب الاباءية الخمسية

وبجانب التسكاح وتشكيل العائلة ، يجب أيضاً ان يُسد باب قضاء

الشهوات الجنسية خارج حصن الكاح سدّاً محكماً ، لأنه لا يمكن أن يتحقق جدونه بمقصد العطرة الذي يمثله لأجله التكاثر وتشكيل المائدة .

وأكثر الناس في هذه الجاهلية الجديدة أيضاً ، كأهل الجاهلية القديمة ، يمدّون الزنى فعلاً طبيعياً ، ويجزّون لكاح من مخترعات التمدن أو من حشوه وزوائده . فمن واجبهم أن العطرة كما خلقت ككلّ فحجة لكلّ كبش ، وكلّ كلبة لكلّ كلب ، كذلك قد خفقت بكل امرأة لكده رجل في هذا الزمن . وما لطريق الطعري إلا " أن يقع الاتصال الجنسي بين كل فردين من الجنسين ، كمل اشتباه وتغكنا منه وتراسبا عليه ، شأن اثنين من الحيوان . ولكن الحقيقة أنهم يمتثلون خطأً بشئ في الصبح من العطرة الانسانية . وذلك أنهم قد زعموا لانسان حيواناً محضاً ، فكما ذكروا العطرة والطع " رادوا بها فطرته الحيوانية لا فطرته الانسانية . والعلاقة الجنسية المطلقة التي يسمون عنها لقل طبيعي لاشك أنها طبيعية بالنسبة للحيوان ، ولكنها ليست من العطرة في شئ الانسان . إنها تختلف فطرته الانسانية وحدها ، بل تختلف ، من حيث نتائجها ، عن فطرته الحيوانية أيضاً وذلك أن الانسانية والحيوانية ليست شيئين متبئين في الانسان بل هما يتزاخنت في وجود واحد ، ويؤلهن بترجيها فيه شخصية واحدة ، وترتبط معنوياتهما في تلك الشخصية بعضها بعض ارتباطاً يجعل الإعراض عن مقصد إحداهما إخلالاً بمقصد الأخرى بالجمع .

وبرى امرء الزنى في ظاهر أمره يقضي حاجة لفطرة الحيوانية على

الاقبل ، لان غاية التناسل وبقاء النوع تتمتعن بمجرد الوظيفة الجنسية سواء اُحصلت داخل حطيرة التكاثر أو خارجها ولكذلك إن ترجع البصر إلى ما ذكرناه آنفاً ، يبين لك أنت هذه الفكرة ضررها بمقتضى الفطرة الحيوانية في المرء كضررها بمقتضى الفطرة الانسانية به . ذلك بأن فطرته الانسانية تقتضي أن يكون لعلامته الجنسية ثبات ودوام ، حتى يشترك الأبوان في تربية الصغار ، ويقوم لوالدهم بكافة الولد وأمه ، مدّة من الزمان . ولكن المرء إن لم يكن على ثقة من كون الولد من صلبه هو لم يرش أبداً أن يشكّله في رحمته الجسد والايثار ولا يرضي بولده أن يرث تركته . وكذلك إن المرأة إن لم تكن على يقين من أن الرجل الذي يسلّمها ، مستعدّ لخدماتها وكفالة ولدها ، لم ترش أبداً أن تصفّ متاعب الحمل . ثم إن لم يتساو الأباوان على ثقة فولد ، لم يمكنه أن يبسّغ في تربيته ومساكناته الملقية واعقوبة والاقتصادية مبلّغاً بحملها فاعلاماً مفيداً للتمدن الإنساني . كل هذه مقتضيات الفطرة الانسانية في ابن آدم . فإذا أهمها الرجل والمرأة وجاءا بتملّكان بعلاقة جنسية عارضة ، كنوع الحيوان فإنها لا ريب في حمل مقتضى لفطرة الحيوانية أيضاً . وهو التوليد والتناسل . لأنها حين يتصلان لا يقصداً - وما كانا يقصداً - التوليد والتناسل ، بل تكون عاتبتهما من العلاقة الجنسية إذ ذاك عزيمة ، لذلك والتمنع وإرواء غلب الشهوات ، عما هو مخالف لمقصود الفطرة أصلاً .

ويستصحب أصحاب الماهلية الجديدة أنفسهم هذه الناحية من العلاقة الجنسية المطلقة ، فتراهم يضيفون إلى حجبهم لغيرها حجة أخرى يقولون بـ

أن اثنين من أفراد الجماعة يقضيان بعض ساعاتهما في المنة واسلوة ، فأي خبر في ذلك على المجتمع حتى يتدخل فيها بينها ؟ إن المجتمع لأريب يجوز له التدخل في أمرهم ، إن كان فيه دكرام من جانب الآخر ، أو قصد أحدهما فيه إلى الجدية ، أو سبب قضية تخص مصلحة الجماعة ، ولكنه إن لم يكن هناك شيء من ذلك ، وانحصر الأمر بين شخصين في تمتع أحدهما بالآخر ، فأي مبرر للمجتمع حتى يحول بينها ؟ وإن جاز التدخل في مثل هذه الشؤون قد تية للناس ، فما الذي يبقى إذا من معاني الحرية الشخصية.

هذا التصور للحرية الشخصية من مجالات القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، التي تنقسم ظلالها مع أول إشعاعه من نور العلم والتحقق . بمقتضى من تأمل والتفكير فسد يفهم المرء أن الحرية التي يطلبها الأفراد ، لا تساغ لها في الحياة الجماعية . ومن شاء ذلك النوع من الحرية ، فليقصد امتلاك ورقوس الجبال وليس هناك هيش أوايد الحيوان . فإن الاحتياج الإنساني عبادة من تسيج من لملائق والزوايا ، قد اشتكت فيه حياة كل فرد واحد بأفراد آخرين لا يمحسون ، فتأثر بهم وتأثر بهم . ومع مثل هذه الصلات الشابة بين مختلف الأفراد ، لا يمكن أن يمد أي فعل من أعمال الإنسان فلا شخصياً وفردياً هضاً ولا يكاد تصور عمل شخصي . لا تعود آثاره في مجملها إلى الجماعة ، بل ليس من خاطر يخطر بباله . ومع عنك أعمال الأعضاء والجوارح - إلا يؤثر في أنفسنا ، وينعكس منها إلى غيرنا فيؤثر فهم . وكذلك ليست حركة من حركات أجسامنا وقوتنا إلا وتنقل معنا نتاجها ، ونمتد إلى حيث لا يبلغ علمنا . وإذا كان الأمر

كذلك ، فكيف يجوز القول بأن استعمال أحد من الأفراد قوته لا يؤثر إلا في نفسه ، ولا يتعلق في شيء غيره ، ولذا لا ينبغي أن يكون حرية في أمره . وإن كان أحد لا يؤذن له في أن يأخذ يده عماء ويمشي في السوق يديرها فكيف يشاء ، أو يحرك قدميه ويلج على الناس المنازل والبيوت على هواء ، ويسوق سيارته في الزحام بخير حيلة أو حذر ، أو يجمع في بيته كل ماشاء من وسخ أو فئس ؟ قول إن كانت هذه وأمثاله من تصرفات المرء الشخصية ، يجب أن يقيد بالضوابط الاجتماعية ، لها بال قوته الجنسية وحدها أن تصرف بالاطلاق من كل قيد أو ضابط اجتماعي ، فيسبح للرجل أن يستعملها كيف يريد .

أما القول بأن اللذة التي يتمتع بها الرجل والمرأة في مكان متوارى عن الأنظار ، لا يكون لهما من تأثير في الحياة الاجتماعية ، فمن جيل الأحداث لآخر . الحق أن أثرها لا ينحصر في المجتمع . الذي يستعمل إليه طسب بل يمتد إلى الإنسانية جماء ، ولا تقتصر آثارها السيئة على الجيل الحاضر وحده ، بل تمتد إلى الأجيال القادمة . فإن ارتباط الاجتماعية والصراية التي قد ارتبطت فيها الإنسانية برمتها ، لا يشك عنها أي فرد من الأفراد ، وفي أي حال كان ، وفي أي خيبر احتجب . إنه يكون مرتبطاً بحياة الجماعة وهو من وراء الجلسر وداخل الأيوام الملتقة ، كما يكون مرتبطاً في زحمة السوق وفي حفل المجمع . إنه وقت ما يكون متشغلاً في خلوة بضيق قوة توليده في لذة عارضة عقيم ، يكون في الحق عاملاً لا شعاعاً الفوضى في الحياة الاجتماعية وتضييع حق النوع

الإنساني وإراث الجماعة مالا يخص من المزارع المادية والمعدية . وإبه
 لأثرته وأناقته هذه يقت في ساعد جميع النظم والمؤسسات التي قد انتفع
 بها من حيث هو فرد من أفراد الجماعة ، ولكن أي أن يقوم شعبيه من
 العمل بقيامها ويقالها . إن الجماعة قد أقامت جميع المؤسسات من البلدية
 إلى الدولة ومن المدرسة إلى الجمعية ، ومن الصانع إلى مجلس التحقيق
 العلمي ، متعمدة على أن كل من يتمتع بها من أفرادها سيؤدي نصيبه
 المقروض في إحكامها وترقيتها . ولكنه إذ بناء هذا الخلق النادر يشمل
 قوته الجنسية بحيث لم يتصد بها القيام بأبحاث التولد والتناسل وتربية
 الأولاد ، فكانه تعلم - على حد ما نواه - دابر ذلك النظام بضربة واحدة
 وفسح ذلك المقعد الاجتماعي الذي كان مشتركاً فيه باعتبار إنسانيته عيناً .
 وسأول بذلك أن يأتي عبأه على غيره بدلاً أن يهض به بنفسه . فم يكن
 إذاً من كرام الناس ، بل هو خائف متلصص نكبات ، والتسمع في أمره
 ظم للإنسانية جمعه .

إن مكانة الفرد في المجتمع ، إن فهمت حقيقتها حتى الفهم ، لم تشك
 في أن كل قوة من القوى ، أودعتها أجسامنا وهوسنا ، ليست لأفئتنا
 وحده ، بل هي ودية للإنسانية جمعه عندة . ونحن مشغولون في هذه
 بين يديها . فتحن حين نهلك نفوسنا أو نصنع قوة من قواها أو نسر
 بأفئتنا من سيئات أعمالنا ، لا يكون قبلنا هذا عمل من أشأم أفعالنا كان
 هلكه ، أو أضرب يدي كان له التصرف فيه ، بل يكون ذلك من ملامة
 خيانة في ما ائتمنت عليه لعل الإنساني أجمع ، وإضرار النوع الإنساني

برفته، وذلك أن وجوداً في هذا العالم يشهد نفسه بأن غيره محمولاً أعباء
 التيمات والمشاقي، فأحرجونا من ظلمت. لهدم إلى نور الوجود. ثم جاء
 نظام الدولة برعنا وبسوء نفوسنا من التلغ، وبقيت أقسام حكومتنا
 الصحية تعمل لحفظ حياتنا وصحة أربابنا، ثم توبرت آلات مؤلفة من
 النفوس على تهينة حاجتنا ولوازم حياتنا، وتاملت جميع المؤسسات
 الاجتماعية لتفتش قواها وتربي ملكاتها حتى جئتنا على مانعٍ عليه الآن.
 أفن جزاء الحسنة بالحسنة أو من العدل والصفة أن نعود فنضيق تلك
 القوى التي قام غيرها بكل هذه الخدمة لأجل إيجادها وإعاقها، وتشتتها
 وإعاقها، أو نجعلها مضرّة بالإنسانية بدل أن نجعلها نعمة لها؟ لاجل هذا
 قد حرّم الانتحار، ولهذا السبب قال أعظم الحكماء: إن ناصح اليد
 مليمون. ولهذا خررت سراًة قوم لوط من أعظم الجرائم. ثم لهذه العلة
 لا يعتبر لزمي أيضاً متعة ومسلّة مريّة، بل يمدّ طملاً للجماعة الإنسانية كلها.
 وهيبتنا الآن بتأمل: كم من منفعة اجتماعية تمت إلى الزنا برسم ماسة؟
 ١ - إن أول ما يجنيه الزاني من عمله هذا هو أنه يعرض نفسه لخطر
 الإصابة بالأمراض السرية الفتانة. وبذلك لا ينقص بما في قسواه من المنفعة
 العامة فصعب، بل يجرّ على الجماعة ولtsel أيضاً ضرراً بالغاً. وإت
 مرض السيلان الذي هو أول ما يمتلئ به المفاجر، يقول فيه الأطباء:
 إن هذه القرحة في الإحليل قلماً تدمل، ولا يخلص من أداها إلا الإنسان
 إلا في النادر، ومن قول طبيب قطامي: «من أسبب السيلان مرة أصيب
 به للأبد»، وهذه الماحة كثيراً ما تلغ الكبد والمثانة والخصيتين وغيرها

من الأعضاء ، وتسبب وجع المفاصل وأمرسا أخرى ، كما أنه قد تسبب
 الضمّ الأبدني . ثم إن من الأمراض السارية من نفس إلى آخر ، وأما
 مرض الزحري فمن منا لا يعلم أنه يسبب نظام الجسد كله ، ولا يبقى من
 قوة الرأس إلى أخمص القدم عضو من أعضاء الجسد غير متأثر بسمومه
 وأذاه . وهذا المرض لا يبيد قسوى المرض وحده ، بل يتعداه إلى من
 لا ينحصر من النفوس الأخرى بطرق شتى . ثم ينتقل من المريض إلى
 أولاده وأولاد أولاده ، فيملئون أذله بلا ذنب يجنون . والأولاد السمّ
 البكم الممّني المجنّين ، هم من أهون غرائث ساعات اللذة القلائل تلك التي
 عدّها الالب الظالم أغزى ما في حياته .

٢ - وإذا لم يكن حتماً ابتلاء كل واحد بالأمراض لسرية ، فمن
 اللارم المضموم ابتلاءه بالعاصف الخلقية التي تملأ بهذا الانتم بالضرورة
 فالراحة والحذية والكذب والذل والافتراء والحضوع للشبوات وجوع
 النفس ونشره الفكر وذو الفقة الطمع وتطلعه إلى كل جديد ، والتدور
 وقلة لوفاء كل أولئك من آثار الفؤاد التي ترتب على أخلاق الزواني نفسه
 وما لا شئ فيه أن من يجمع في نفسه هذه الحاصل ، لا تنحصر آثار
 سفاسعه الخفية في الشؤون الجنسية غسباً ، بل هو ينصب الجماعة بهذه
 الحاصل لا غير في كل شعبة من شعب الحياة . وإن كانت هذه النقصان
 قد ربت ونمت في كثرة كاترت من أفراد الجماعة فلا جرم أن يفسد بها
 كل من الأكاداب والعلوم والفنون والسياسي والالالب والصناعات والمهن

والاجتماع والاقتصاد ، والسياسة والقضاء ، والخدمة العسكرية وتدبير الدولة . ومن اللازم في النظام الديمقراطي خصوصاً ، أن يكون لكل صفة من صفات الافراد أثر بادي في حياة الامة ككل . فإذا كانت لمة من الامة لا تُصنف أفرادها بثبات في الطبع ، وكانت أكثر أجزاء تركيب متجردة من خلال الوجه والايثار وضبط الشهوات ، فأنتى يكون في سياستها غرر أو ثبات ؟

٣ - وما نستلزمه لإدخال الرقى أن تجري في المجتمع حركة البناء . وذلك أن من يقول بأن لرجل شاب "حقاً" أن يتبع نفسه بلذات الشباب فكأنه يقول مع ذلك بأن تكون في المجتمع لهذا الغرض طبقة من الالاف تكون في أسفل لذل والمهانة بكل اعتبار . ولكن من أين تأتي تلك النساء ؟ ألا يخرجن من هذا المجتمع الذي يبش فيه ؟ أو لا يمكن من بناته هو وأخواته ؟ بل ، لابد أن تنفر من أولئك النساء اللاتي يجدر كل واحدة منهن بأن تكون ربّة بيت ومؤسسة عائلة ومربية اولاد طائفة إلى حي البغاء ، ليكن "كراحيض البلدية موضع قضاء القوم لكل شنيع وأمر وبشعراً" من جميع الخصائص النسوية الثريفة ، ويندرجن على اكسب بالنسج واللال ، ويسفن إلى أن يمن عبيهن وقولهن وأجسامهن ، وعاهن "ومعاهن" ، لكل زثر جديد في كل ساعة ، ويقتن مدة أعمارهن "دابة لقضاء شهوات غيرهن ، بدل أن يقمن بخدمة ناعية مثمرة للمجتمع .

د - وإباحة الزنى لا جرم تحصر بضابط التكاح التمدني ، بل يؤول بها الامر إلى أن يزول التكاح ويبقى الرئي وحده . وذلك أنه بمود المتألون إلى الزنى - رجالاً ونساءً - قلباً يصلحون لأن يحيا حياة زوجية صالحة ، لأن هذا السلوك المبني اعاسد يثبت في نفوسهم من شوء الفحشة وفجور النفل وذو"اثية الطبع وتشرذم الفكر ، ويربتي فيهم من تولد العواطف وعدم ضبط الشهوات ، وهو أفنكل من السم لتلك الصفات التي هي ضرورية للامانة الزوجية الصحيحة بين الرجل والمرأة . هؤلاء إن أرنعلوا بأربعة الزواج ، طن تتحقق بين الزوجين منهم تلك اصلة من حسن ، امانة والمحبة والولاء ، االثقة والاعتماد ، والمواظبة والاسجام ، لتي تبتج تسلاً جيداً وثاني يتأمنهم ورأ بالراحة والسعادة . ثم إن البيئة التي يكون بها الزنى هيئاً ميسوراً ، لا يمكن أن تدوم فيها طريقة التكاح الهيبية للتمدن ، إذا ما باك القن تيسر لهم فرص قضاء الشهوات النفسية بدون أن يلزموا أنفسهم بتجملات ، يتحملون أعباء التبعات والواجبات يترزم عقده السكاح .

هـ - وإباحة الزنى وتروجه لا يقطع دابر التمدن والمران فحسب بل يستأصل النسل الانساني أيضاً ، فانه كما سبق أن أثبتناه ، لا يقصد أحد من الاثنيين - الرجل والمرأة - بسلامة الجنس المعالفة أن يقوم بخدمة التناسل وبقاء النوع .

و - ثم إن الزنى إن حصل منه لنوع الانساني والمجتمع أولاد ، وكلام أولاد النفل ، وليس من الصحيح ما يظنه بعض السفهاء من أن

مراعاة الحلة والحرمة في الانساب إنما تصدر عن جرمه الماطة . بل الحق ان توبيد ولي عن ذبقة عدوان عظيم على تولد نفسه وعلى تمدن الانساني بأسره من وجوه عدة . أولها ، أنه ينقد حبل هذا الولد في رجم أمه ساعة يكون بواء كلاهما تحت علبة المواطف المبهجة الخالصة وإنت المواطف الانسانية الطاهرة التي تضم الزوجين المتكحين وقت اتصالهما الجسدي ، لا يمكن أن تعالط أبداً هذين الفاحرين المتناحرين ، لأنهما لا يصل أحدهما بالآخر إلا هيجن البهيمية المحضنة في نفوسها ، وتكون جميع الخصال الانسانية معطلة فيها وقتئذ . ومن هذا لا يرث ولد انثوية عن أبويه إلا خصائص الطبع البهيمي . ثم إن الولد الذي لا يأتي أبويه كشيء معلوم محبوب ، بل يتزل بينهما نزول النكبة المفاجئة ، والذي يفقد في أغلب الأحوال عطف الابوة ووسائلها ، ولا تنبسر له إلا زرية : لأم الناقصة التي لا تكمّلها تربية الاب ، وهذه التربية أيضاً ربة يخطأ عليها الصغر والإعراض ، والذي لا يتمتع برعاية الاجداد والجدات والاخوانه والاعمام ومن يلهم من ذوي القربى ، لا جرم أن ينشأ إنساناً ناقصاً غير تام الانسانية ، فلا تتكون له سيرة صحيحة ، ولا تتجلى فيه كفاءات موهوبة ، ولا تتوفر له وسائل التقدم والابادة العملية ، ويكون في حد ذاته ناقص الانسانية ، عديم الوسيلة . فاقصد الحامي والتنمير ، مخلوطة مدحوراً ، ويكون لتمدن تكداً عقياً ، لا ينفعه النفع الذي كان ينفعه إنسانه لو ولد حلالاً .

ومن رأي 'حماء الأديبة' في قضاء الشبوات أنه يجب أن يكون هناك نظام قومي لنشئة الاولاد وتعليمهم ، فيولد المآء والامبات بالملكات الحسنة المطلقة قديما بينهم ، ويكون للنظام القومي أن يرتبهم ويؤهلهم لخدمة المدن . وترضهم من هذا . لاقتراح توفير حرية النساء والرجال وفرديتهم ، وتحقيق مقاصد التناسل وتربية الاولاد بدون تقييد شهواتهم النفسية بقيود الزواج . ولكن العجب أن الذين يحرصون هذا الحرص على فردية الجيل الحاضر هم يتركون لجيل الاجل نظاما للتعليم القومي أو التربية لرحمة ، لا مجال به لثناء الفردية وارتقاء الشخصية . هذا النظام الذي مبشأ فيه آلاف مؤلفة من الأمل على عرار وأحد وطريقة واحدة ، لا يمكن أن تبرز فيه شخصيتهم الفردية ، بل هو آسرى أن يصبحت مهم أكثر ما يكون من المشاهدة والسوية المتصنعة . فيخرج الاولاد من هذا المركز التربوي مهالين كاسباقت الحديدية تخرج من مصنع . فتأخذ مبلغ تصور هؤلاء السفهاء بشأف الانسان من لدماء والأمماف . إنهم يريدون أن يخرجوا الاجيال الانسانية للعامة كتنزيح أحذية (ياتا) ، ولا يعلمون أن إعداد شخصية الطفل من أطف الفنون وأدقها ، ولا يمكن أن يعالج إلا في مجال عملي صغير يكون فيه كل رسام متصرفا بصنائه إلى صورة واحدة . وأما العمل الذي يصور فيه العمال الأجواء ملايين من الصور المتشابهة المائلة ، فلا شك أن يضيع فيه هذا الفن ، بدل أن يرتقي ويتحسن .

فهم إن هذا النظام الاجتماعي للتربية والتسلیم ، لا بد أن يحتاج إلى عملين ؛ ككثافة يقومون عن لجيش بخسمة التربية وتنشئة الأولاد . وظاهر أيضاً أنه لا يصلح لهذه الخدمة من السامعين إلا "الذين يتصفون بهم أنفسهم بضبط العواطف والاهواء والتوقف عند حدود الأخلاق . وإن لم يكونوا كذلك، لم يستطيعوا أن يرتبوا أنفسهم ويعتزموا على الالتزام "تلقى . فقل لي إذا : من أين سيأتيك أمثال هؤلاء السامعين المرتين ؟ وإذا كنت لم تُرد هذا النظام الاجتماعي لتسلیم والتربية إلا أن يُعطى سبيل الرجل وانساءه لأن يقضوا شهواتهم من غير قيد ، وتكاد تجردهم بذلك عن صفة الالتزام الخلق وضبط الشهوات، فكيف فإنه يتخذ منهم مسلمين ومرشدين للأخلاق؟ وأننى تعجب من بحج المبدأ بقر أمن البصراء ليطهروا الأجيال الناشئة من سوك سبلهم بيوت مصرّة .

٧ - وإن المرأة التي يزني بها رجل ألقى مفرض . ويصير ه أمّا لو لم ، تفتب حياتها وتفسد للأبد ، وينصب عليها وابل من الذلّة والكبة وولقت الدم ، لا ينقطع عنها ما دامت حية . ولحل هذه المشكلة قد جاءت المبادئ الخلقية الجديدة تقترح بأن يساوى بين كل أنواع الامومة من حيث الكرامة والرزق ، سواء أكانت عن نكاح أو سفاح . فيقول أصحاب هذه المبادئ : إن مرتبة الامومة تعبد في كل حال بالشكرم ، وإن الفتاة التي تأخذ على عتبات مثولية الامومة لئلا يجنبها أو عدم حيلتها ، من نظم أن يلومها الجنس ويطعن عليها . ولكن هذا الحل - وإن هو

على العاجرات فجورهن - آفة للمجتمع ونكة عقيمة من حيث آثاره
المجموعة . وذلك أن الفت والثرابة ، الذي ينظر بها المجتمع إلى أم الولد
القل ، هو بجانب سد مانع لأفراجه من ركوب المناهي ، والعجور
وبجانب آخر ، هو دليل على حية الشعور الخفي في المجتمع نفسه . ولو
أن أم القل ترفع إلى درجة أم المولود الشرعي ، فمناه زول لتمييز بين
الحبر والسرّ والبرّ والائتم والخطيئة والصوت في نفوس الجماعة . وهب
الجماعة قدّم هذا التمييز فعلاً . فهل يعني ذلك في شيء عن حدّ تلك
المشاكل التي تواجه أم القل ؟ إنكم قد تساوون بين الامومتين في نظريتمكم
وآرائكم ، ولكن الفطرة لا تساوي بينهما . وما ، في نفس الأمر ،
لا يمكن أن يستويا ، لأن مساواتها مما يخالف العقل والمنطق والحقيقة
والانصاف . وكيف يمكن لسرافة أن تستوي المرأتان : إحداهما حقة
عليها غريزة الشهوة البهيمية فقلتها تستسلم لرجل مغرض ، لم يكن ينوي
أن يتكلمها هي وولدها . ولاخرى : كيسة صبيحت نفسها وكبخت
حلم عواطفها إلى أن وجدت رجلاً شريهاً مستعداً لتحمل تبعاتها ، فأيد
عقل يحكم على هاتين المرأتين حكماً سوباً ، وأنت إن شئت ، قد تجعل بينه
مساواة ظاهرة متعصنة ، ولكذلك لن تستطيع أن تهبي لهذه الخفاء كل
تلك الكفاية والرعاية والخدمة المؤسسية والتضد المزوج بالوادة ، والتفقد
الفرق بالصح ، وتلك لعلانية والسكينة التي لا تأتئ الا لذات الزوج .
ثم من أين نجد لذلك الجائل شفقة أو الفؤ عطف الامام ومحة الاجداد .
فصلواك أن تجعل الرجل على أداء العقدة . ولكن هذه النعمة هي كل

ما يحتاج إليه الام والولد في هذه الدنيا ؟ الحقيقة الواقعة التي لا ننكر
أذاً ، هي أن المساواة بين الامومتين - الشرعية وغير الشرعية - مما خضعت
للماجرات من العلمانية الظاهرة ، لا تنجيهن من النتائج الطبيعية لاجتهن ،
ولا تنجي اولادهن من مضار ولادتهن في احصائهن .

ولهذه الاسباب كلها ، من الضرورات اللازمة لقيام الحياة الاجتماعية
ونشأتها ونموها على الخطط الصحيحة ، أن يمنع في الجماعة موحى العمل
الجنسي ، ولا يجوز تحسكين المراتز الشهوانية إلا لأوجه واحد ، هو
الزواج . فإن اعطاء الافراد حرية الزنى والفجشة علناً في مجتمعاتهم ،
وعدوان على المجتمع ، بل هدم لكيانه . والمجتمع الذي يتناول هذا الامر
ويشتم عن الزنا زاعماً إياه شيئاً من باب الترفيه عن النفس وقضاء
الوقت في المتعة والقدرة (Having a good Time) ويسمح في تربيته
انسل هنا وهناك ملائحة (Sowing wild Oats) ، هو في الحقيقة
مجتمع جاهل ، لا يعرف حقوقه ، ومن ثم يبادي نفسه . ولو أنه يشعر
بحقوقه ويفطن الآثار السيئة التي تترتب على المصالح الاجتماعية من
حرره وإباحة الحرية الفردية في العلاقات الجنسية ، لنظراً إليها كمنظرة
إلى السرقة والتطشع وانتزاع . بل هذه الإباحية في الفجشة أشد من
اسرقة ، فإن السارق أو المص أو القاتل لا يسلب إلا فرداً أو بضعة
أفراد من المجتمع ، ولكن الزاني يتهدى على المجتمع بأسره وعلى احياله
القدمية أيضاً ، فهو يتوغل ملايين من الناس في آثر واحد ، وعواقبه

جرعته هذه أوسع وأعظم من جرث سائر المجرمين ، ولما كانت من المسلم به وجوب كون قوة القانون من وراء المجتمع ، فحينئذ ونحبه من اعتداءات الأفراد الصادرة عن أولئك وطنيتهم ، وكانت البرقة والقتل والسرقة والنهب والتزوير وما سواها من صور غضب الحقوق ثمرة لأجل ذلك من الحرمان والمآثم ، قدسدت تقديراً بقوة قانون العقوبات ، فلا بد من أن لا يحفظ القانون المجتمع من مؤثرات انزلي ، ولا بعده هذا من الجرائم المحققة عليها .

ومن الظاهر البين أيضاً من حيث المبدأ والقاعدة أنه ما كان التكاح والسراح ليكون كلامهم جزءاً لنظام اجتماعي في آن واحد . وذلك أنه إن أبيع المرأة أن يقضي شهوت نفسه بدون قبول الثبات ، فمن البتة تقرر ضابط التكاح لنفسه الفحل ومثله كمثل أن يرخّص للناس ركوب القطار بدون التذكرة ، ويوجب عليهم في الوقت نفسه إحراز التذكرة للسفر فيه ، فإنه لا يليق بما قل أن يفرض العاريقين كلها في الوقت الواحد ، وما الوجه الصحيح في الأمر إلا أحد اثنين : إما يلغى شرط ابتاع التذكرة أثناء السفر ، ويجهل السفر بدونه مباحاً ، أو يُعزَم فيه على الدس فيقرّر السفر بدون التذكرة جرعة أبدأ . كذلك اختبر لوجبهين المتباينين في الحكم على التكاح والسفاح مما لا يسوغه العقل بة . فإن كانت ضابطة التكاح من لوازم التمدن . كما ثبت آنفاً بالأدلة والبراهين . فمن اللازم مع ذلك أن يعدّ السفاح إيقاعاً وجرعة^(١) .

(١) من الواضح عند بس الخوان أن في متعب الشباب يجب أن يباح =

ومن أبرز ملامحه به المحالية أنه لا يهتم فيها إلا بما تكون نتائجه محدودة ملموسة، وتتمثل أمام اليون وشيكة بصورة مرئية . وأما ما كانت نتائجها غير مدركة للحال لكونها أعمق في الأثر وأبطأ في الظهور، فلا يلتفت إليه إلّا ، بل هو يُعدّ غير صالح للاكتراث له . ومن هذا استعملهم للسرعة وقتل والنهب . وتهاونهم وزنى والفحشاء . ومن المصعب حقاً أن المرء الذي يجمع في بيته حرفان الطاعون أو ينشر في الناس الأمراض السارية ، لا يجدّه قد كان المحالية حقيقاً بالغزو والمفردة أبدأً ، لأن فعلته تلك تبين لهم جانب ضررها وفسادها . ولكن إذا في الذي يستأصل شأته لمدن لأجل غرضه ومصلحته لا غير ، الأمر "

== بعض الفرس تسكن شهوره محبة أنه من الصعب على المرء في عهد الشباب مداومة هيجان المواقف . وفي مقاومته له ضرر يصحّه . ولكن المقدمات التي قد ثبت عليها هذه النتائج كلها خاطئة . وذلك أن مثل هذه السوءة اساطيرية الشبهة التي لا يمكن حلّها ، حالة غير معدلة (Abnormal) لانحراف النفوس المصدة (Normal) ولا لوجود نظام قديم قاسد يوجب إهم نزع الشهوة تماماً . فكل ما يجدّه عن حواس في السنين والنسور والموسيقى والتأديب ومزاج النساء المتبرجات لرجال في كل مكان من هذا المجتمع المختلط بكل هذه الأسباب التي تحول النفوس المعتدلة عن اعتدالها في غريزة الشهوة . ولا من المحال المستبعد أن تصبح الشهوة في عامة الرجال والنساء في بيئة واحدة معتدلة ، هيجاناً لا يمكن ضبطه بالنزوة المثالية والمثالية . والنظر إلى احتجاب الحمل الجسدي في عهد الشباب بغير بأسنة ، ولذا ينبغي أن يزني المرء توفيراً لبعثه ، أنه هو إلا مبالغة للنفس ونداء للصبر المقتضب . إنما الواجب الحفظ للصحة وصوت الاختلاف أن يدل هذا النظام الاجتماعي المعروف . وذلك المقاييس الزائفة للشهوى ، التي قد جعلت الكناج صماً والمفاجح أمراً هيناً سهلاً .

مقدار عمله هذا لا تترى عياناً ولا تَحسُّ إحساساً ، بل هي ممَّا يُمتثل
أو يُتصوَّر ، بنتائج الجاهلون موضع الأعداد والبسطة ، بل هم يكادون
لا يفهمون وجع الخطأ في عمله ذلك . ولو أن تمدن يكون أساسه العقل
والعلم بعبارة الأشياء ، بدلاً من الجاهلية ، أسأ اختار أهل مثل هذا
السفوف السلي .

٤

التدابير الملزمة لمنع الفواحش

إن العمل الذي نتحدث عنه بالتمدن ، لا يكفي في منته وشد
بإيه أن يُمدَّ "جرعة" في قانون ويُقرَّر له حدٌ أو عقوبة ، بل يجب أن
تُتخذ لذلك منه أربعة تدابير أخرى :

أولاً - تهذيب عقلية الأفراد بالتربية والتنشئة . ويُصلح من نفوسهم
إصلاحاً يسودونهم يُشكرون ذلك الفعل بأنفسهم فيمدونه بنمًا ، ويكفهم
شعورهم الخلقى نفسه عن ارتكابه .

ثانياً - يؤكِّد الرأي العام والأخلاق الجمعية على هذه تلك الإنم
أو الجبرية إلى حدٍّ أن يصبح عامة الناس يتبرونه عاراً وعزاءً ، ويبنظرون
إلى مرتكبه بعين القتل والزراية . وذلك تكفي تمنع قوَّة الرأي العام
كلَّ من قصص تربيته أو ضعف فيه الوحدات الخلقى من ارتكاب
ذلك الإنم .

وقالنا .. نجسم في نظام المدن جميع الاسباب التي تعرض الأفراد على تلك الجريمة وتعرضهم فيها ، وأيضاً ينقضى فيه - بقدر الامكان - على الاسباب التي تضطرم اليها .

ورابعاً - يُقام في سبيل هذه الجريمة من الموانع والمقبات في الحياة المدنية ، ما لا يتيسر منه للرد ارتكابها ، وبن ثمنه وسعى فيه .

كل هذه التدابير الاربعة بما يشهد بصحته وضرورته الفعل ، وتصلبه الفطرة ، وما تصل به المجتمعات فعلاً في جميع العالم وما من مجتمع أو نظام عدلي إلا يستخدم قليلاً أو كثيراً من هذه التدابير الاربعة - علاوة على نظام العقوبات - لمنع الأفعال التي تقرر في قانونه جرائم ، وبذا كان من المعلوم المعلوم به أن فوضى العلاقات الجنسية مهلكة للمدن ، وزمب عظيم إلى المجتمع فلا مناص أيضاً من التسليم بأنه يلزم لها من الاقتدار أن تستخدم جميع التدابير الاجلالية المانعة التي قد ذكرت آنفاً ، علاوة على تنفيذ العقوبات . فيجب العمل على تربية الأفراد ، وبموجب الرأي العام على عدا تلك الفوضى ومكافحتها ، ويجب تطوير التبدل من كل ما يلزم قار الشهوة في الأفراد ، ويجب أخيراً أن تراعى عن النفس الاجتماعي تلك الموانع والمقبات التي تجعل الكناج من أصعب الأمور ، وأن تتخذ العلاقات الجنسية بين الصنفين بقود تقوم في وجهها كالد الحاجز ، إن هو ، مالا ، إلى التعلق الجنسي المطلق ، وما يكون لما قبل ، يترف بكون الزنى إنفاً وجريمة ، أن يتكرر ضرورة هذه التدابير ويمتدح على استخدامها .

ومن الدس من يسلّمون بكل تلك المبدىء الخلقية والاجتماعية التي قد قرّروا الزنى بمآجوجها ، ولكنهم يصرّون على أنه بدل أن يستخدم نفسه قانون العقوبات والتدابير الوقائية يجب أن يكتفى باتخاذ التدابير الإصلاحية لحسب ، يقولون : « يجب أن يوقف في الناس من الشعور بالعلم » ويبحث فهم من قوة الضمير الحسب والوجدان الخلقي ما يتمتعون به عن ارتكاب هذه الجريمة بأنفسهم ، وأما البجوه التي قانون العقوبات والتدابير الوقائية لأجل ذلك ، بدل إصلاح النفوس ، فبعض معاملته لدس . كعامله المصدر الاعلالي ، بل هو خطأ من مكانة . لانسانية ، واستخفاف بأمرها . ولا تأيضا لسم يتوهم إلى حد أن الطريقة المثلى لإصلاح الانسانية هي التي يقترحونها ، وإن الناية الخلقية من التذبذب والتثقيف ، أن تبنى في ضمائر الافراد قوة تجعلهم يحترمون قوانين المجتمع بأنفسهم ، فيزعيم ضميرهم أنفسهم ، عن الخروج على قواعد الاخلاق . وهذا هو الفرض من وراء كل تلك الناية البالغة التي تبنى بها الامم لتعليم افرادها ، وتربيتهم . ولكننا نسألهم : هل التذبذب والتربية عاينها تلك ؟ وهل هدبت الافراد الانسانية تهذيباً يمكن منه الآن ان يعتمد على ضمائرهم كل الاعتماد ، ولم يعد من حاجة إلى استخدام العقوبات أو التدابير الوقائية لحفظ النظام الجماعي ؟ دعوا عن انفسكم ذكر القرون الخوالي ، فبها كانت في رأيكم . أتم المتجددين - عصوراً مقلدة . بل انظروا في هذا العصر المتطور من القرن العشرين ، وتأملوا به حالة أرق الدول الاوروبية والاميركية

واعلاها ثقافة وتهدية ، التي كل فرد من أفرادها منتم ، وهي تنبأها بما
 يتحلل به أبنائها من التربية السامية ، هل منح التعليم وإصلاح النفوس
 فيها ارتكاب الجرائم ونقض القانون ؟ ألا تحدث في تلك البلاد حوادث
 السرقة ، أو المصوبة ؟ ألا تقتل هناك أنفس الانسانية بشرف حق ؟
 ألا يرتكب الناس لئس والتدية و نطق والاساد ؟ وهل استندت تلك
 الدول عن استعمال الشرطة والحكم والسجون ونظام المحاسبة الاجتماعية ؟
 أو بلغ في أودم الثمور بالثبته الخلقية أنهم لا ينامون « معاملة الصغار
 الاعمار » ؟ صادقا لم يكن كل هذا من الواقع . ولم يكن أهل الغرب قد
 تمكنوا ، حتى في هذا العصر (المتصور) ، أن يتذكروا أمر نظم المجتمع
 وقانونه إلى الثمور الخلقية في الأفراد ، ولما كانت الانسانية في هذا
 ازمان أيضا لا تزال تتأثر وتعامل « معاملة الصغار » باستشدهم العقوبات
 والتدبير الوقائية لردعها من الجرثم ، لما بالكم تترسون على إهانتها في
 أمر العلاقات الجنسية بحسب ؟ ولماذا هذا التبعوج وهذا اللجاج الشديد
 على أن ينام هؤلاء (الصغار) معاملة (الكبار) في هذه المسألة وحدها ؟
 ألا ترجعوا إلى ضمائركم وتحسسوها ، لعل فيها دجلة سوء .

ثم يقول هؤلاء : إن الاشياء التي تبدو ناهضات شهوانية وتريدون
 أن تقصوها عن دائرة التمدن ، كلها قوام الفن وروح التدفق للجيل .
 فالصدا صدف عن معنى الطهارة واهجة في الحياة الانسانية . فذلك مهيد
 شتم أن تملأوه لحظ التدن وإصلاح الاستماع ، فاصلوهم على محور لايس
 الفنون العقلية والفنون الخيالي . ونحن أيضاً نوافقهم على ان الفن والتذوق

«الجمال شيئا عاليا» ، يجب ان يحافظ عليها ، بل يقدم ويرتقى بها ، ولكن حياة المجتمع و علاج الاجتهادي أعلى منها ونفس ولا يجوز أن يضحى هذين في سبيل قدر من العنون أو ذوق لا جلي . فإن كان يراد بالنفن و لشور الحلي أن يتقدما ويرتقا ، فبشأن لارتقاءها طريق يتابع بينها وبين الحياة والعلاج الاجتهادي الانالفن أو الذوق الحلي الذي يفضي إلى الهلكة بدل الحياة ، وإلى الفساد بدل العلاج ، لا يمكن أن يترك يتمو ويتشر في محيط الجماعة ، وإن قولنا هذا ليس برأي فردي أو نظرية غنطمة ، بل هو عين ما يقتضيه العقل والفطرة ، وتعرف به الدنيا من حيث المبدأ ، ولا يزال يجري عليه اسمل في جميع العلم وكل ما يده في هذه الدنيا مهكة للحياة الجماعية ومحلبة للفساد ، لا يمكن أبدا لأجل الففن أو الذوق الحلي . خذ مثلا لذلك أن الآداب التي تحض الناس على الفتنه والفساد وتحفزهم على القتل والسلب ، لا تجوزها دولة من دول الارض ، لمحاسنها الادبية والفنية . وإن الادب الذي يرغب في نشر الاوثة والامراض لا تنفي عنه أية سلطة في هذه الدنيا ، وإن السب أو المسرحية التي تحض الناس على البغي وتفض الامن ، لا تأذن برسها حكومة من حكومات العالم . وأن الصور التي تجر عن نزوات الظلم والقساوة وانجبت أو تفض المادى الخلقية للسم بها ، مما بلغت من كمال الففن ، لا ينظر اليها أي قانون ذي ضمير اجتماعي هين التقدير والاعجاب وكذلك فن التشال وإن كان من اللطف افنون وأرقا في خفة اليد وبراعتها ، لا يرضى له أحد أن يتمو ويانتشر . ومثله صناعة تزوير الصكوك والشيكات والاوراق المالية وإلها

أيضاً تتطلب لحظة نادرة وبراعة عجيبة؛ ولكن لا يستحيز أحد رتبة هذا الفن . ثم هناك النش والمذبل الذي قد أتى فيه بالذهن الانساني بالسب المعجز من قوة اختراعه ، ولكنه ليس من مجتمع مهذب ينظر الى تلك المعجبات بعين الرضا والتقدير وإدأ من المسلم اعترف به أن حياة الجماعة وأمنها وفلاحها ومصحتها أعلى ، وأنهم من كل فن لطيف وكل ذوق للجمال أو الكمال ، ولا يجوز أن يضحي بكل ذلك لأجل من من العزوف أو أما الامر الذي فيه الاختلاف فهو أننا نجد شيئاً من الاشياء مضر بالجماعة وفلاحها ، ولا يبدد كذلك غيرنا . ولو ان وجهة نظرهم توافى وحسنت في هذا الامر ، فلا جرم أن يشرعوا بضرورة تقييد الفن وذوق الجمال بشك القبود التي تستلزمها نحن .

ومن قولهم ايضاً : إن ضرب الحبس والخواجز بين افراد المجتمع، لمنع العلاقات الجنسية المطلقة بينهم ووضع السدود دون اختلاطها الحر في الاجتماع ، هو في الحقيقة تحاشل على سيرتهم وأخلاقهم ، إذ يؤخذ من ذلك أنه قد فُرض كل واحد من أئدهم فاجراً أو داهراً ، وأن واسعي هذه القيود لا يتبعون بسائهم ولا يرحلهم . اعتراض قوي ولا شك ؛ ولكن ما بالك تقف بهذا الاعتراض عند هذا الحد ، ولا تتوسّع به إلى حاسوبه من شؤون الجبال ، حتى يقال : وكل قنصل يوضع على بلد كانه إعلان لكون ماكنه قد فُرض كل أهل هذه الدنيا لوصوفاً . وأن وجود كل شرط في البلاد دليل على أن الحكومة تمتنع جميع رجالها أشراً

خُبْنًا . وكل ما يُستَكَب من حِكْمٍ عند الماملة فهو حِجَّةٌ على كَوْن
أحد الفريقين قد عدَّ الآخر خائنًا ، وأن كلَّ ما يُتَّخَذ من التدابير
الوقائية لصدِّ الحِراثِم ، فإنَّ وجوده في نفسه برهان على أن كلَّ من يشكِّلم
نطاق هذا التدبير قد فُرضوا بجرمين على الاحتمال ، إنَّ هذا النحو من
الاستدلال يجعلك في كلِّ آنٍ سارقاً أو سائناً أو ظَّاعراً متَّهماً ، ولكنَّه
لا يَنْقُصُ شيئاً من كرامتك وعزَّة فُضُك . فليأت شعري مُساعداً يرقِّ
شعورك للعزِّ ولكرامة كلِّ هذه المِرَّة في أُمُرات المِلقات الجسدية وحدها ؟
إنَّ الحقيقةَ لواقعة التي قد أضرَّتْ إليها آتَمًا ، هي أنَّ لَدُنَّ لائِزَال في
أنهائهم "قارة من التَصوُّرات الخُفِيَّة لثبُتة ، لأربِ يُنْكروْنَ أنْزِلِ
والفوضى الخُفِيَّة ، ولكنَّه لا يَنْلُجُ فِهم ذلك الإنكار مَبْنًاً بِشُعْرهم
ضُرورة منها وسدَّ بابها بالمرَّة . ولذلك تُخْتَلَفُ وَجْه فُطْرهم عن وَجْه
فُطْرنا في باب التدابير التي يجب أن تُتَّخَذَ لِلإصلاح لحُسم أسباب تلك
السبْبة . ولو أنَّهم تَنَكَّشُف عليهم حَقائق الفُطْرة ، بيتَ عَطَّلُوا لَوْضَعُ هذا
الامر ووجْه الصَّحيح ، لا يُثَقِّقُوا مِنَّا على أنَّ الإنسانَ مادام إنساناً وما في
فيه عُنْصُرُ الحيوانية ، فلا يَكُنْ لآيٍ تَمْدَنٍ يُوَثِّرُ مَلاحَ الحياة الجانِبة على
أهواء الأفراد وشهواتهم ، أنْ يَنْفُصَ عن تلك التدابير ويُقْصَرُ في أمرها .



الوجْه الصَّحيح للمَعْرِفَةِ بينَ الزَّوجِينِ

إنَّ من لوازم التَّحدُّثِ الصَّالح ، بَعدَ تَشْكِيلِ الأُسْرة وسدَّ بابِ الفوضى

الجنسية أن يقرّ الوضع الصحيح لملاقة ما بين الرجل والمرأة وتوسيع حقوقها بإحداها لنصفه، وتقدم بينا التسمات والواجبات بالقسط، وتحدد لها المراتب والوظائف في نظام الأسرة على نحوٍ لا يُجحد بالتوارث والاعتدال. هذه المسألة أصبحت مسائل التمدن وأكثرها إعضالاً، ولكن الإنسان قد أخفق في حلّها عقبتها عالياً.

هناك أمم قد جعلت المرأة قوةً على الرجل، ولكن لا سمّ أمةً من تلك الأمم، بلنت درجةً عاليةً في التمدن والحضارة، ولا ترى في سجل التاريخ على الأهل أمةً وكلت أسرها إلى المرأة، ثم ذلت القوة والعزة بين أمم العالم، أو جاءت بجائرة تُذكر في التاريخ.

ما معظم أمم الأرض فقد جعلت الرجل هو القوّم على المرأة. ولكن هذا التمييز المبرج رديّها تحول إلى الظلم، بحيث اتخذت المرأة أمةً، وسيمت الإهانة والخسب، وحُرمت سائر أنواع الحقوق الاقتصادية والمدنية، ووُضعت في الأسرة مقام الخدم، وأداة قضاء الشهوة للرجل. ولئن عطّوا على طبيعة من النساء خرج الأسرة والبيت، وحكّوهن بجلي السلم والثقافة، فلكني يمين بطلاب الرجال الجنسية بطرق أشهى وألذ، ويمكن لهم لذّة ساحب ومسيقاهن، ودهجة الفوارير قسمن ودالهن، ومتمّة الأجساد ببراعتن الجنسية ومفاتن. وكان ذلك من أوقع ما ابتدعتهُ أهواء الرجال من أساليب إهانة المرأة وتحقيرها، وإن الامم التي جرت على هذه الطريقة، لم تسلم بنفسها من مضارّها.

على أن التمدن الذي الحديث قد اختار لنفسه طريقاً ثالثاً « هو طريق المساواة بين المرأة ورجل . وذلك أن تُقسم الواجبات بين الجنسين على السواء » وتكون من نوع واحد تقريباً ، فيتساوى في دائرة عمل واحدة ويكسب كل منها عيشه بيده ويكفر حاجاته بنفسه . ولكن هذه أصينة من تطعيم الاجتماع لم تكن بعد . لأن أفضلية الرجل وتفوقه على السنف انقلب لا يزال خلباً بارزاً حتى الآن . ولم تبلغ المرأة مبلغ الرجل في أي شعبة من شعب الحياة ، ولم يحصل لها بعد جميع الحقوق التي يجب أن تكون لها بحسب قاعدة المساواة الكاملة ، على أن الجانب الذي قد تم وكل من هذه المساواة ، قد أخذ يدخل لفساد على التمدن ، منذ الآن . وقد سبق أن ذكرنا نتائج في الأجواب الماضية ، فلا نحتاج إلى مزيد من التفتيش عليه في هذا المقام .

كل هذه الأنواع الثلاثة للتمدن ، يخلو من لحد والتناسب والائزان ، لأنه قد قصر في فهم نهاية لقطرة « وفي اختيار السلوك لمبني وفقاً لها وبوجهها . وإنك إن تأملت الأمر بالمعسر السلام ، تبيّنت أن القطرة نفسها قد علب على الحل الصحيح لتلك المسائل ، بل هي القطرة التي قد صاغت المرأة بقوتها القاهرة من أن تسقط في منزلتها إلى الدرك الأسفل الذي أراده الرجال لها ، أو تسوقها إلى اللبلاء التي أرادتها لنفسها أو حاول الرجال أن يرضوها اليها . وقد اختار الإنسان جاني الأزمات والتربيط بتأثير عقله الخطيء وتصوراتهِ الزائفة الضالة . ولكن القطرة

لا تزيد إلا العدل والتناسب ، وهي تهدي الإنسان بنفسها إلى ذلك السبيل.
 مما لا ينكره أحد أن الرجل والمرأة من حيث إنسانيتها على حد
 سواء . هما شطران متساويان للنوع الإنساني ، مشتركان بالسوية في تعبير
 التمدن وتأسيس الحضارة وخدمة الإنسانية . وكلا الصنفين قد أوتي
 القلب والذهن والعقل والمواليف والرغبات والحواس البشرية . وكل
 منها يحتاج إلى تهذيب النفس وتثقيف العقل وتربية الذهن وتنشئة الفكر ،
 لصالح التمدن ورفاهه ، حتى يقوم كل منها بتعبئة من خدمة التمدن .
 فاقول ليسواء بين الصنفين من هذه الجهة صواب لإغثار عليه . ومن
 واجب كل تمدن صالح أن يعنى بالنساء عناية بالرجال في إبتائهن
 فرص الترقى والتقدم وفقاً لمواهبهن وكفاءتهن الطبقية . فيحليهن
 بالعلم والتربية العالية ، ويعينهن من الحقوق المدنية والاقتصادية
 مثل ما يمنحه الرجال ، وينزهن في الهيئة الاجتماعية منزلة العز
 والكرامة ، حتى ينشأ فيهن الشعور بعزة النفس . فيحليهن بذلك
 الصفات الإنسانية الفاضلة التي لا يفتقنها في الإنسان إلا هذا الشعور .
 فالأهم التي أبنت مثل هذه المساواة بين الصنفين وتركت لساءه
 جاهلات مهينات غير مثقفات بالتربية ومحرومات من جميع حقوق
 المدنية ، فقد انحطت بنفسها في حضن الذلة والهوان ، وذلك لأن
 إسقاط شطركامل من شطري الإنسانية معناه إسقاط الإنسانية
 نفسها . ولا يمكن أبداً أن ينشأ من أحضان الامهات المهينات أبناء شرف

وكرامة ، ومن أعطاف الجاهلات غير المتفتات أصحاب تربية وثقافة
ومن مهود البليدات العاميات للتكرار رجال تفكير وشعور عال.

على أن الجانب الآخر من هذه المساواة هو أن تكون دائرة عمل
الرجل والمرأة واحدة ، فيقوم الجنسنان بالعمل من النوع الواحد ، وتقسم
بينهم واجبات جميع شعب الحياة يسوية وتكون منازلتها في نظام التمدن
مماثلة ، والذي يقولون بهذه المساواة ويدعون لها يحتاجون لهذه نظرية
بشواهد العلوم التجريبية وتجاربها فيثبتون بها أن الرجل والمرأة متساويان
(Equipotential) في قوتها ومقدورتها الجسدية . ولكن كونها
متساويين في ذلك لا يكفي في الحكم لأن مقصود الفطرة أيضاً هو استخدامهما
لأعمال من النوع الواحد . ولا يصح أن يرى هذا الرأي ، عالم يثبت أنها
متماثلان أيضاً في نظامها الجسدي وقد كانت الفطرة نوعاً واحداً من
الخدمات ، وأنها متماثلان كذلك في خصائصها النفسية . أما لتحقيق
العلمي الذي قد قام به الإنسان إلى هذا اليوم فينتفي ويبطل كل
هذه الأمور الثلاثة .

شهادة علم الأحياء

هذا علم الاحياء (Biology) قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمات والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر الحيوية (البروتينية) خلاياه النسيجية (Protein Molecules - of Tissue Cells) فمن ثلث حصول التكوين الجنسي (Sex Formation) في الجنين ، يرتقي التركيب الجسدي في الصنمين في صورة مختلفة . فيشكل المرأة وطام جسمها يركب كله تركيباً تستعد به لمولادة الولد وتربيته . ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ، ينمو جسم المرأة وينشأ تشكيل ذلك الاستعداد فيها . وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيام المستقبلية .

ومع بلوغها سن الشباب يبروه المبيض ، الذي تتأثر به أفضل كل أعضائها وجوارحها ، وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تطارأ عليها في مدته حوضها التغيرات الآتية :

١ - تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة ، فيزداد خروج الحرارة منه ، وتنخفض درجتها فيه .

- ٢ - ويقلز النبض ويتقص ضغط الدم ويقل عدد خلاياه .
 - ٣ - وتصاب الغدد الصماء (Endocrines) ولوزانها (Tonsils) والغدد اللمفاوية (Lymphatic glands) أيضاً بالتغير ،
 - ٤ - ويتقص لاستقلاب الميويني (Protein Metabolism)
 - ٥ - ويقل إخراج أملاح الفسفات والكلوريد من الجسم ويتخط الاستقلاب الشري (Caseous Metabolism)
 - ٦ - ويختل الهضم ، ويقل لتعام الشحم والاجزاء الميوينية في للأكولات مع أجزاء الجسم .
 - ٧ - وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات العلق بتغيرات خاصة .
 - ٨ - ويقل الحس وتمكاسل الاعضاء .
 - ٩ - وتضعف الأنظمة والفكاه وقوة تركيز الافكار .
- وكل هذه التغيرات تؤدي المرأة الصحيحة إلى حالة المرض إذا ما استجبل منه التمييز بين صحتها ومرضاها . ففي مائة من انشاء الحيوانات لا تقيض إلا ثلاث وعشرون بلاوجع أو ألم . ويبحث الباحثون ذات مرة في أحوال ٣٠ امرأة عفواً الانتخاب ، فوجدوا أن ٧٤ في المائة منهن كن يتدسين الوجع وغيره من صنوف الأذى الألم حيزهن . ويكتفد الطبيب أمين نورك الذي هو محقق كبير في هذا الفرع من العلم :

وإن ما يُعبد في الحوائض عامة من الأمراض هي: الصداع والتصبُّع والخلج^(١) وضف لأعصاب وتخلُّب المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم، والإمساك أحياناً، والتشنجان وتورُّع في بعض الحالات. وهناك نساء لا يستهان بهنَّ من يمسن في صدورهن وجعاً خفيفاً، يشتد أحياناً فيشعرن له بضربات عنيفة، وفي بعضهن تورُّم الثدي، الحارقة في هذه الأيام، مما يسبب فيهن البُحَّة^(٢)، وكثيراً ما يمسن يتورُّم المضم ووجع التنفس. ودلَّ الفحص الطبي الذي قام به الطبيب كرمو في عدد من النساء، أن كل نصفين يمثلن بسوء الهضم في أيام الحيض، وإلا لصادق في أواخرها. ويقول الطبيب جب هارڤ: قلَّ من أتت من لا تمثِّل بيلة في الحاش، ووجدنا أكثرهن يشتكين الصداع والتصبُّع والوجع تحت السرة وقلة الشهوة للطعام، ويصبحن شربسات الطبايع مائلات إلى البكا. فنظراً لهذه الموارض كلها يصحَّ لقول: إن المرأة في محاضها تكون في الحق حريضة، ويندبها هذا المرض مرة في كل شهر وهذه التغيرات في جسم المرأة تؤثر لا محالة في قواها الذهنية وفي أعمال أعضائها. ففي سنة ١٩٠٩م استنتج الطبيب فواستفسكي (Voichevsky) من مشاهداته الدقيقة أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري أيام الحيض. واستخرج كذلك الاستناد

(١) الخلج: أن يفتكي المرء عظامه من طرد سم أو سمى.

(٢) البُحَّة: خشونة وهظ في الصوت.

كرشي سكفسكي (Krschevsky) من خبراته النفسية أن المرأة يكتسب فيها مجموع المعنى في هذه الأيام ، ويبدل الحب ويختل ، ويضع الاستعداد - وربما تفعل بارة - لتفعل الانطباعات المرتبة ، حتى يضطرب في شعورها ما قد قرأ فيه قبلاً من تلك الانطباعات المرتبة ، مما يجعلها تتخلج حتى في أعمالها التي قد اعتادت في حياتها اليومية . فتتل هذه المرأة إن كانت جارية في الترام ، أو أخصات في قطع التذاكر وارتبكت في عدد الكسور . وإن كانت سائقة سائق سيارتها بجذر بالعروة قبل ، وحوت عند كل منعطف ، وإن كانت سيدة كاتبة (Lady Typist) أعطت في كتابتها الآلية وتوات فيها . وفاتها الاحرف على الرغم منها ، ولم توفق في تركيب الجمل ، ولم تصب الحرف المقصود بضربة أصبعها . وإن كانت محبة خاتمة قوة حجاج وأخطأ فكرها ويأتها في عرض قضيتها . وإن كانت قاضية ، تأثرت منكها قنوة حكمها بهذه الحالة المرضية التي هي فيها . كذلك إن كانت الحائنة طيبة أسدناً ، لم تشغل في عملها ولم تجهد آلاتها عند الطلب إلا يجهد منها . وإن كانت متينة ، فقدت حماساً عنها ومقاتل صوتها في أيامها تلك ، حتى إن الماهر في التلحين يعرف حالتها تلك بمجرد سمع لسانها ، محسناً القول أن الجهاز العصبي والذهني في المرأة يعود في تأليه مترائياً غير منظم في هذه الأيام ، ولا تكون أعضاؤها تابعة لإرادتها تماماً ، بل تبت من دخل حركة استمرارية تلك عليها لإرادتها وتعمل قوة حكمها واختيارها ، تصدر منها الامدل بغير

إرادة ، ولا يهود لها في أعمالها وتصرفاتها من حرية ، ولا هي تكون
أهلاً للقيم نبيلة أو مهمة !

ويكتب الأستاذ لابنسكي (Lapinsky) في كتابه : نشأة الشخصية
في المرأة (The Development of Personality in Woman)
أن مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية ، وهي تكون في أثناءها تابعة
لحركاتها الاضطرابية ، وتغيب جداً قوة استمالة إرادتها ، لتتقدم على
عمل أو تركه .

كل هذه التأثيرات تحصل في امرأة سالمة ، وتتدرج فيها بسهولة إلى
أن تكون مرضاً . وقد دون كثير من الحوادث التي تدل على أن المرأة
في حالتها هذه تشكك تكون بحسوبة ، تنور تأثرها لأدنى بأدنى ، وترتكب
الخطات ووحشي المركات . وليس من القريب الشذ أن يفضي بها حنون
الغضب حتى إلى الانتحار . فيكتسب كرات ايضج (Krafft Ebing) :
إننا نجد في حياتنا اليومية أن النساء اللاتي يكن لبنات المريكة كمثبات
الأخلاق صنع الأبدى ، تنغير طبعهن بفترة من دور دخولهن في أيام
الحيض ، وكأن هذه الأيام تمر بهن كمر الباسف الزعزع يسببهن فيه
متغيرات سلطات الحسان شديداً انحصام ، يشكو سوء خلقهن على
من الخدم والأولاد والأرواح ، حتى الأجانب أيضاً لا يملكون من سوء
سامنتين . وقد تبي البعث والتدقيق بأخري من ذوي هذا الفن ، إلى
أن معظم الجرائم التي ترتكبها النساء يرتكبنها في حالة الحيض ، لأنهن
لا يكن فيها تابعت لإرادتهن . ولا يستفيد من امرأة معروفة بالصلاح

أنت ترتكب السرقة - مثلاً - في هذه الأيام ، ثم تدم على فلانة
حي يدويكت الطيب وينرج (Wenberg) مستنداً إلى مشاعراته ،
إن الخسائر في المائة من التضررات التي يحمي أحوالهن ، كن قد
ارتكبت الجريمة في أيام الحيف ، فبرى هذا الطيب لذلك أن من الواجب
على الحاكم حين ترفع إليها قضايا النسوة الراهقات أن ترى وتثبت بها ،
لمل إحداهن قد اقترعت الجريمة وهي حائض !

وأشدُّ على المرأة من مدة الحيف ، زمان الحمل . فيكتب الطيب
ويريب (Reprév) : وما كان خروج المُضَلَّات من جسم المرأة في
زمان حب حملٍ أملاً ، يكون في حالة العانة والمسبة فلا تستطيع قولها في
هذا الزمان أن تخص من مشقة لجهد ابنتي والمقني ، ما تحمله في
عاسة الاحوال ، وإن عوارض الحمل إن عرشت لوجس أو امرأة غير
حامل ، لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك ، وفي هذه المدة يبقى
مجموعها المعنى غنائاً على أشهر متعددة ، ويضطرب فيها الآزان القهي
وتدود جميع عناصرها الروحية في حالة فوضى دائمة . وهي في أثناء ذلك
بين الصحة والمرض . وبكفي أدنى الاحتمال في دعبها إلى المرض ، ويقول
الطبيب نسر : إنه لا تسب حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد
في زمان الحمل ، تصاب في مزاجها بالتلون وفي أمكارها بالتشوش وفي
عقلها بالمرود . وتتخلف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم
والاعتدال . وما انفق عليه هيولاك أليس وألبرت مول وسولاميا من
الاخصائيين : أن الشهر الاخير من أشهر الحمل لا يصح فيها البتة أن
تكلف امرأة جهداً بدنياً أو عقلياً .

أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة مريضة لأعراض متعددة تروها وتندو فيها . إذ تكون جروح نفسها مستعفة أبداً لتتشم . وتفسح أعضاؤها الجنسية في سرقة لتقلصاً إلى حالتها الأصلية قبل الحمل ، مما يحتل به نظام جسمها كله ، ويستغرق بضعة أسابيع في عودته إلى نصابه ، حتى وإن لم يمرض له في أثناء ذلك شغل . وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل ، وتؤود قوة عمها نصف ما تكون في عامة الأحوال أو أقل منه .

ثم هناك مدة الرضاع التي لاتحمي المرأة فيها نفسها . بل للوديمة التي تستودعها الفطرة إياها . فتتحول خلاصة جسمها إلى لبن سائل للولد . ومن انذاء الذي تأكله ، لا ينال جسمها إلا البلغة وأما سائر فيصرف في إزاله لبن في صدرها ، وتسد امراض أيضاً يكون على امرأة أن تصرف عنايتها كلها إلى حضن الولد وتربيته حقبة طويلة من الزمن . وقد حاولوا مسألة الرضاع أخيراً باستبدال الأعذية الخارجية للطفل بلبن أمه ولكنه ليس بحل معيب . إذ أنه لا عوض في هذه الدنيا لنذاء الذي قد وضعه الفطرة للطفل في ثدي أمه ، وقد حق الأخصائيون على أنه ليس كل أم غداً للطفل لنشأته المسيحية لحرمانه منه لا شك ولم وأثره عمقته . ثم إنهم قد اقترحوا تربية الأولاد أيضاً دوراً للحضانة والتربية ، لكي تكفي الأمهات مؤشياً ، فيرضن شاعل سارج البيت . ولكن من غير الممكن أبداً أن يربى الطفل الختان الأموي في دار حضائنة أو تربية للأطفال ، وما كان لينشأ في قلوب المربيات لما أجودت ذلك الحب والحنان ورقة الماطعة ، التي تتطلبها الطفولة وتفتقر

إليها في أوائل عهدها . وهذه الطرق المتعددة لتربية الأولاد لم تجرب
 بعد تجريبية كاملة ، إذ لم تتخرج بعد الأجيال الثلاثة من تلك المسائل
 الجديدة للتربية ، ولم تظهر الدنيا على طبائعهم وأخلاقهم وسلوكهم السليمة
 حتى يصح على هذه التجربة الجديدة بالإنجاح أو الفشل . ومن ثم لم يشأ
 بعد لأصحابها أن يدعوا أكوهم قد وجدوا في هذه الطرق الجديدة بدلاً
 صحيحاً لسلطة الأمومة ولا يزال من الحقيقة القساسة أن تنوي التربية
 الفطرية للولد هو حضن أمه ليس غير .

ومن هذا الباطن يستطيع أن يفهم كل ذي عقل سليم ، أن الرجل
 والمرأة ، وإن فرض أنها متكافئتان في القوة الجسدية والاستعداد الذهني ،
 فلم تحمل الفطرة عليهما مع ذلك ، واجبات متساوية ، وذلك أن الرجل لم
 يجعل عليه من خدمة بقائه نوع غير أن يأتي بدوره في الحرب ، ثم يروح لسيارته
 حتى يعمل فيها يشاء من شب الحياة . والمرأة - بخلاف ذلك - قد حمت
 معظم أحياء تلك الخدمة . ولأنه يرض عنه الأعباء هي تعدد ما تكون منومة
 لهم في جن أمها ، ولهذا الفرض يقوم هيكلها الجسدي ، ولهذا لا عبر
 تنانها مدة شبابها وكبريتها فترات الحيض ، التي لا تدعها أهلاً للقيام بعبء
 جسيمة أو مجرد عقلي أو بدني لثلاثة أيام أو سبعة عشر من كل شهر .
 ولهذا الفرض نفسه تعاني السكينة متابع الحمل وما بعد الحمل طوله سنة
 كاملة تظل خلالها ملقاة بين لصحة ومرض ، ثم لهذا كله أثر عليها
 ستن من الرضاعة ، تسقي فيها الزرع الإنساني بدنها وشرابه من
 يذبح تدبيرها ، وتضحي بذلك أروماذوات عدها ، في التربية الابتدائية
 لولدها ، تحرم نفسها في أمثالها لومة القيل وزراعة النار ، وتؤثر الجيلة

الآتي على راحتها ومتبها وبهجتها ورتباتها وعلى كل ما يميز عليها . وإذا كان الواقع على ما وصفتنا ، فافتر ماداً يقتضيه الإنصاف في أمر المرأة ؟ هل من الانصاف ، لها أن تطالب بالقيام بتلك الواجبات المهمة التي لا يشاركها فيها الرجل بطلبه ، ثم يحمل عليها ذلك مثل ما يحمل على الرجل من واجبات التمدن ، التي قد أتى هذا لأجل القيام بها عن جميع واجبات الفطرة ؟ فيعرض عليها أن تحمل كل تلك المهام التي تقتضيها الفطرة ؟ ثم تخرج من البيت كالرجل لتعاني مشقة الكسب ، وتكون مهم هي قدم المساواة في التعليم بأعمال السياسة والقضاء والصناعات والبن والتجارة والزراعة وإقامة الأمن والدفاع عن حوزة الوطن . وليس هذا حاسب ، بل يكون عليها بعد ذلك أن تتولى التدفد والوادي ، وتحتج الرجل بمرامة حالها وأوقتها وتبني لهم أسباب الخلاعة والمجون والمذة و التنة ، أما واقع إنه ليس من الإنصاف ، بل هو عين الظلم والعدوان وليس بمساواة بين الصنفين ، بل هو عبث صريح بالمساواة . وإنما الذي يقتضيه الإنصاف ، هو أن الصنف الذي قد كلفته الفطرة أعباء جساماً ، لا يكلف من أعمال التمدن إلا ما هو خفيف العمل ، وأن الذي لم تكلفه الفطرة بشيء عظيم ، يحمل عليه من واجبات التمدن ما هو أحم وأثقل وأدعى للجهد والتعب ، ويكون أيضاً قواماً على الأسرة برعاها وبريها .

وليس تكليف المرأة بالواجبات الخارجية ذلماً لها بحسب ، بل لحقيقة أنها ليست أهلاً لكل الأهمية للقيام بالواجبات الرجال . وإنما ينهض بها من العاملين من كانت حمدة عملهم ثابتة " لا تفر " وكانوا يستطيعون أن يؤدوا

واجباتهم بقدره سواء على الدوام ، وكانت قوام لقلية والجسدية مما
يؤتى به ويشد عليه . وأما من كن عريضة في كل شهر لمولات الاذى
الذي يذهب كل قدرتين وكفاهتين ، أو يقدر منها جذاً ، وكانت
قوة عملين في هبوط دون المستوى المطلوب مرة بعد أخرى ، مبهت أن
يستطعن النهوض بثلث الواجبات . ولهم ذلك تمثل في خيالكم جذاً أو
أسطولا بحرياً من النساء ، ينزل مسرعة ، وإذا رُبع الجنود كاد يتحلل
عن السبل لا ذى الخاض وسدها لا يستطيع الجهد والعين اشقى بسبب
الحمل ، وجانب غير قليل منه قد ترم القرائس لآلام انفساس . فها ترى
هنا الجندي يفعل في ميدان لقتال ؛ ولهمك تفند هذا المثال بقواك : إن
خدمة المدافع والقتال لا ريب اشقى الخدعات ، ولا تقول إن ثمره لها
يكفه . ولكن قل لي يربك أي لأحمد من الشرطة والقضاء والإدارة
والسفرة والصناعة والبنية والتجارة وأعمال سكك الحديد هيّن سهل
لاستلهم تبعاته قوة عمل ثابتة موثوقة بما ؟! فذلك إن الذين يريدون أن
يقلدوا المرأة أعمال الرجال ، فكأنهم لا يريدون إلا إحدى ثلاث :
إما أن يدنوا جميع النساء غير النساء فيقتضوا على النوع قضاء ، أو
ينتقلوا جزءاً من طبقة الإناث في كل جبل ، فيجردوهن من طبيعة
الأنوثة ، أو يحطوا من مستوى الجدارة والأهلية لجميع شؤون
التمدين عامة :

ومما اختبرت من هذه الصور فلا شك في أن إعداد المرأة لوظائف
الرجال مما يناقض وسع الفطرة ومقتضاها ، ولا تقع فيه للإنسانية أو

للمرأة نفسها . ولأن المرأة قد خلقت لأجل الولادة والتربية بدلالة علم الحياة ، فقد حبب القطرة في الناحية النفسية أيضاً تلك الممسكات التي هي ملائمة لوظيفتها تلك ، كالحب والحنان والرحمة والشفقة ورقة القلب ودكاه الحس ولطف المواعظ . ثم لانه قد وضع الرجل في الحياة الجنسية موسم (العمل) ووضعت المرأة موضع (الاتصال) فقد ركبت فيها .. ثانياً .. تلك الصفات التي تسدها للعمل في جوانب الحياة الانفعالية . ففيها العين والمرونة مدخل الشدة والصلابة ، وفيها التأثير بدل التأثر ، والاتصال بدل الفصل ، وفيها الخضوع والسيادة بدل الثبات والتقدم . وفيها الفرار والامتناع والإحجام بدل الجرأة والجرأة والإقدام . وهل يكون لمخلوق الصفات بهذه الصفات أن يصلح للأعمال ويتبحر في دوائر الحياة التي تقتضي شدة التحريك وقوة الممارسة وهذه الاعراض ونحوها إلى قوة حكم عادلة رزينة ، بدل رقة قلب وسماحة عاطفة ، وإلى تعزم متعصب ورأي غير مجامل ، بدل قلب متعطف وسدر حائل . . . ؟؟
الحق أن إقحام المرأة في مثل هذه الشعب لتمدن وتبين لها وتريض لتلك الشعب نفسه للشياع .

ثم إن قيم المرأة بذلك الاعمال ليس لها فيه ارتقاء ، بل هو خطة هبوطها وسقوطها . إذ أنارتها طرفة من الناس لا يكون بأن تتحسن فيها المؤهلات الطبيعية ، وتستأثر منها على وجه التصنع ، مؤهلات أخرى لم تؤنها من قبل الطبيعة ، بدلتها في أن تستفي فيها المؤهلات الطبيعية وتذيب وتسهل ، وتتاح لها الفرض العمل ، على أحسن وجه ممكن .

وليس المرأة في ذلك التصنع والشكف نجس أو فلاح ، بل هي أجدر به بالحيوة والفشل . لأن جانباً من حاجتي الحياة الإنسانية يقوى فيه الرجال ويضعف النساء ، والجانب الآخر يقوى فيه النساء ويضعف الرجال فإذا أريد بالنساء أن يسارن الرجال في مظهرهن فيه أضف منهم وأعجز ، ولابد أن يؤدي ذلك إلى تأخر النساء عن الرجال وتخليقهن وراهم لأبد الآب . وإليك ما حاولت واجتهدت ، فلن تجد من صنف الآلات لخدمة واحدة من أمثال أرسطو وابن سينا وكات وبيجل وشيكسبير والجيليم والإسكندرو بلبيون وبيارك وصلاح الدين الأيوبي ونظام الملك الطوسي ، كما أنه لا يمكن لرجال هذه الدنيا أجمعين - مهما اجتهدوا واجتهدوا - أن يخرجوا من جنهم أما واحدة من النمط البسيط . وليس فيه منفعة للتمدن نفسه ، بل فيه له كس الضرر . لأن الحياة والحضارة الإنسانية حاجتها إلى اللطفة والشفقة والصلابة ككس حاجتها إلى الرقة واللين والمرونة ، وامتازها إلى لقواد البرعين والساسة والادريين الحارمين كافتقارها إلى الامهات المربيات والزوجات الوفيات والنساء الصنّاع المديرات . فأيتها واحدة من هاتين الحقيقتين أسقطتا وهما هتاه جرت على التمدن في كل حال بالغ الضرر والحسارة .

هذه قسمة عادلة قد شامتها الفطرة بين ستنى الانسان ، ويدل على هذه القسمة ويؤيدها كل من علوم الاحياء والتشريح والنفس والعمران . وإن كون الولادة والتربية مقصورة على المرأة وحدها هو الحقيقة

التميز التي تخص لها دائرة العمل في لندن ، وما كان لتدبير مصطنع
أن يبدل قضاء افطوة هذا وليس التمدن الصالح الا الذي يقبل -أولاً-
حكم الفطرة كما هو ، ثم يضع المرأة موضعها الصحيح ، ويترها منزلة المزم
والكرامة في الاجتماع ، ويقر لها حقوقها المدنية والاقتصادية الشرعية ،
ويوصل لها البيت وللرجل ماوراءه ، وإياه يجعل قواماً على الأسرة .
فكل تمدن يحمل بهذه القسمة الطبيعية بين الصنفين أو بمحوها عموماً قد
يظهر بعض المظاهر الخالصة من التمدن والرفق المادي حيناً من الزمان ،
ولكنه إلى البوار ولدمار لا محالة لأن المرأة إذا كلمت القسام بالثبات
الاقتصادية والتمدية مثل الرجل فلا بد أن تضع عن نفسها واجبات
الفطرة . وما ذلك خراب التمدن ، بل خراب الانسانية نفسها . ثم إن
المرأة إن خرجت على طبيعتها وفطرتها واجتهدت لأن تقوم بأعمال الرجل
كلها ، فإنها قد توفى فيه بعض التوفيق ولكن الرجل لا يمكنه بمكان
من الأحوال أن يتأهل لولادة الاولاد وحضانتهم وتربيتهم .

وإذا وعت هذه القسمة الطبيعية بين الصنفين ، كان تنظيم
الأسرة وتبين وظائف الرجل والمرأة في الحياة على ما يأتي من
الاصول لا محالة :

١ - إلى الرجل تكون عبء الأسرة ورعيته وحمايته ، والقائم
به هو عمير شاق من خدمات التمدن فيكون قليمه وتربيته على النحو
الذي يجبله أنفع ما يكون لهذه المقاصد .

٢ — ولى المرأة تكون تربية الاولاد وواجبات البيت ، والعمل على جعل الحياة المنزلية مريحة وآمنة ودعة وراحية . فتُحلى بأحسن ما يكون من التربية والتصميم لاجل قيامها بهذه الخدمات .

٣ — ولاستيفاء نظام الاسرة ووفائته القومى والشتات ، لا بد أن يُعتمد لأحد من افراد الاسرة الحكم والأمر على سائرهم ، في ضمن حدود القانون ، حتى لا تفقد الاسرة كقطع من العلم بلا راع . وذلك افراد الأمر لا يمكن أن يكون من غير صنف لرجال ، لاث عضو الاسرة الذي تكون حالته العقلية والغسية مرشحة للتغيير ، مرة بعد أخرى ، في أيام الحيض وفي زمان الحمل ، لا يصلح أيدياً لاستعمال السلطة الحكم ولامر .

٤ — يجب أن تُقرر في نظام التمدن تبعيضات اللازمة لإدابة هذه القسمة والتنظيم في وظائف أفراد الاسرة ، حتى لا يستعليق السهم أن يخلطوا . يحقّ لهم ، بين دوائر أعمال الرجال والمرأة ، فيدخلوا النوضى على هذا لنظام التمدن في الصالح .

مَظَاهِرُ التَّقْصِيرِ الْإِنْسَانِيِّ

قد احتجنا في الفصل السابق أن نبين بالتعقيل العلمي الحائض والمشاهدات والتجارب العلمية ما ينبغي أن تكون الأركان الرئيسية في حدود الشؤون الحسية في نظام متدل لتمدن قائم على دراعة مقتضيات فطرة الإنسان ودلالات وضعه الذهني وتكوينه الخلقية . ولم يذكر في هذا البحث شيء من قبيل انتقادات أو مما يكون قد ثلث فيه مقل على كل ما قيل فيه هو من مُحْكَمَاتِ العلم والحكمة ، ومما يعرفه أولوا العلم والألباب . ولكن من عجائب المعجز الإنساني أن كل ما وضعه اللاهوت نفسه من نُظُمٍ لتمدن ، لم يُراعَ فيه دلالات الفطرة المضمومة المروعة هذه ، على وجه الاستقصاء والتناسيب المرضي ، وظاهر أن الإنسان لا يجهل مقتضيات فطرته نفسه ، ولا تسمى عليه أوضاعه الذهنية وتخصمه الحسية . إلا أنه من الواضح البين مع ذلك ، أنه لم يؤثِرْ إلى الآن لوضع نظام متدل لتمدن ، مُراعٍ في مبادئه ومذهبِهِ كل تلك المقتضيات والحائض ، وكل المسالِم والمقصدات المتزان كمال .

المسبب الحقيقي لهذا التفسير

والسبب في هذا التفسير هو الذي قد أشرنا إليه في أول الكتاب .
 وذلك أن من الضعف الطبيعي في الإنسان أنه إذا نظر في مسألة من
 المسائل ، فلا يستطيع أن يشمل بنظره جميع نواحيها "حالة واحدة" . بل
 تمثوبه أبداً ناحية منها : كثر من غيرها ، وتعديه إلى نفسها دون
 سواها . فإذا هو مال إلى جانب ، "عمي" عليه ما عداه من الجوانب ،
 أو أعملها عن عمد . وهذا الضعف الإنساني يدر حتى في شؤون حياته
 الحزنية والفردية ، فكيف يمكن أن تتجوز من أثره مسائل التمثل
 والحضارة الواسعة لميقة ، التي كل واحدة منها ذات نواحي متعددة ،
 ظاهرة وخفية . ولا ريب أن الإنسان قد شرف بمواهب العقل والعلم ،
 ولكن الحق أنه لا يهديه مجرد العقل ، في عممة شؤون حياته ، بل
 يقيد به عواطفه وزعاته إلى جانب بصره . فإذا مال إليه وآثره على غيره
 بعدد إلى لقل يستدل به ، وإلى اللم يستبته . وهناك إن آراه عقله
 هو جو نب المسألة الأخرى ، وثبته عقله هو على ميلانه إلى شئ دون
 آخر ، ثم يذعن بخطئه ولم يسن تصحيحه . بل عاد بكرة اللم والعقل
 على أن يرواه بالحجج والأدوات لتبرير زعته تلك ،

بعضة أمثلة بارزة

وهذا الضعف الإنساني - في ميله إلى الشئ الواحد - يظهر على

آتم إمراطه وتفريطه في المسألة الاجتماعية التي نحن بصدد البحث فيها لآف :

ففرق مال إلى جانب الاخلاق والروحانية، وغلا فيه إلى أن جعل العلاقة الجسدية بين الصنفين في ذاتها شيئاً بلساب ويزدري ، وهذا الانحراف عن اقتصاد تجلده في دماءة (بودا) والصراية وفي بعض المبادئ الهندكية . ومن تأثيره ما يوجد في جزء كبير من هذا العلم من اعتقاد أن العلاقة الجنسية بداتها إثم ، سواء كانت في دائرة الزواج أو خارجها . فمما كانت نتيجته كانت النتيجة أن يحط حياة الرهبنة ، المتزلة غير المتعدة ، على الاخلاق ومقصود التزكية التفسية ! وأضام كثير من أفراد النوع الانساني - رجالاً ونساء - مواهبهم العقلية وقواهم الحسية في مجابة الفطرة ، ين في محاربتها ونضالها ، والذين استجابوا منهم لدواعي الفطرة ، ومارسوا العلاقة الجنسية فيما بينهم ، لم يملوها إلا " متحرجين ، كمن يغني نفسه حاجة مستفجرة " على كثره منه . ومن البديهي أن مثل هذه العلاقة لا يمكن أن تكون بين الصنفين رابطة المودة والتعاون ، ولا هي جديرة بإنشاء قدن صالح ماض إلى الرقي . وليس هذا فقط ، بل هذا التصور الخلفي هو الذي أدى إلى حذر متزلة المرأة في نظم الاجتماع ، إنحاء عشاق الرهبانية يتحدون على التزعة الجنسية بأنها وسوسة الشيطان ، وعلى محرك هذه التزعة هو المرأف بأنسها حيلة إبليس ، وحلواها غلوفاً نجساً يجب أن يحترقه كل من يحب لنفسه التزكي والطهارة . وهذا التصور

لميزة المرأة هو تسالب ، في آداب النصرانية والبودية والهندكية .
وتستطيع أن "تقدّر ما عسى أن يكون من مكانة المرأة في النظام الاجتماعي
الذي يشاد على هذا التصوّر .

وفريق ، على عكس ذلك ؛ راعى الانسان دواعيه الجسدية ،
وعلا فيه غلواً حمله يمدى مقتضيات الطبع الحيواني فصلاً عن طبع
الانساني . وقد اتضح هذا الافراط في التمدن الغربي وضوحاً لا يمكن
من ستره ، من حاول المحاولة . فانني ليس بجريرة في ظنونه ، وإنما
الجريرة هي ما كان منه إكراه أو تدخل في حق شرعي لشخص آخر .
وأما إذا كان انزني لا يقترب بأحدى هاتين الجريعتين ، فإنه ليس فيه
دنه بجريرة تستوجب العقاب ، وليس حتى يدر جلعي يستجابه منه ، ولو
وقب التمدن الغربي عند هذا الحد ، لكان ذلك منه وغوراً عند حدود
القطرة الحيوانية ، ولكنه تمحوزه إلى أن أبطل المقصد الحيواني أيضاً
من العلاقة الجنسية ، وهو التماسك وبقاء النوع ، بما اتخذ هذه العلاقة
أداة الفتنة والذمة الجنسية . ولا بلغ الافراط بالانحدار إلى هذا الحد ،
عاد هذا الخلق في خلق في أحسن تقويم مردوداً أسفل سافلين .
فانصرف أولاً عن فطرته الانسانية ، فاسترسل في لماعة الجنسية المعلقة
كأنه يكون في الحيوانات ، ولا يمكن أن تكون أساساً للتمدن . ثم
انصرف عن فطرته الحيوانية أيضاً فعاد بين الملاقة ونتيجتها الطبيعية
— وهي التوليد — حتى لا ينشأ في العالم أجيال تحمله وتبقى من بعده نوعه .
وقوم ثالث استشرعوا بخطورة الأسرة ، فنظموها بقيود وحدود ،

جعلت كل فرد من أفرادها كالاسير المخلول، ولم يرمعوا الموازنة بين الحقوق والواجبات . ومن أمثلة ذلك ابارزة ، نظام الاسرة الهندكي ، الذي لا حرية فيه المرأة في إرادتها أو عملها ولا حق لها في التمدن والمعيش ، وهي خادمة في كل حال ، بنتاً أو زوجة أو أما ، وإذا كانت أياً فهي أحط شأماً وأسوأ حظاً من الخدم ، وكأنها حي ميت ، عليها كل واجب وليس لها أي حق . يحاول القوم في هذا النظام الاجتماعي أن يجعلوا المرأة من بدء نشأتها نوعاً من مهممة لانعام ، حتى لا ينشأ في نفسها انتمور بذاتها أصلاً ولا يجب أنهم أحكموا بذلك أركان الاسرة ، وأصبح نشوز المرأة معه من المستحيل ، ولكن هذا النظام بآ حط وسفتر من شأن النصف الكامل من سماعة الانسان ، قد أقام في سبيل نبوشه ورقائه عقبة جسيمة ومنسدة هائلة ، وهذا الهنادك بأنفسهم يحسون سوء عواقبها ومضارها .

وجماعة أخرى ، قاموا برفع مكانة المرأة ، ومنحهم الحرية في لارادته والعمل ، ففعلوا في ذلك إلى أن أقسروا نظام الاسرة . فسادت الزوجة حرة غفارة ، وألغت مطلقاً لعنان والابن غلى له في الرهان ، والمالقة كالقلميش اشارد ، لا راع يذود ولا حاضرة تؤوي ، ولا سبيل لاحد أفرادها على الآخر . فليس للزوج أن يسأل زوجته أين بانت البارحة ؟ ولا للاب أن يحاسب امته على الفرثاء الذين تغافلهم أو الاكمنة التي تختلف بالها . والزوجان في حقيقة الامر شريكان سويان يؤلمان الاسرة على شروط متساوية بينهما ، ومثرة الاولاد في هذه (الثركة) كمنزلة

الأعضاء الصغار . وقد يبدد نظام هذه الأسرة المتألفة أدنى خلاف في الطباع والأمنجة ، فالحر هذه الجماعة من عنصر الاطاعة الذي هو لازم لمثل كل نظام من التثقيت . وهذا هو مثل الاجتماع القري الحديث ، ذلك الاجتماع الذي يدعي حليمو لوائه أنهم رسل الهدى في شؤون المدن وامرأته . ولكنك إن شئت أن تكشف عما وراء (رسالتهم) هذه . فانظر في تقرير من تقارير إحدى محاكم الزواج والطلاق أو إحدى محاكم جنات الأطفال (Juvenile Courts) في أوربة وأمريكا ، تصف لك جلية أمرهم . فهذه الأرقام التي قد نشرها أخيراً مكتب الوزارة الداخلية بانكوترا تنيد أن الحرائم إلى الزيادة كل يوم في صفار الأبناء والبنات . ومن أسبابها الحصة الرغناء انظام ، لتأدي في الأسرة .^(١)

إن غريزة الحشمة والحياء التي ركب في الإنسان ولا سيما في فطرة المرأة ، ولم يصيب في فهمها أي تمدد إنساني في القديم أو الحديث ، ولا وفق لرغوة مقتضياتها في اللباس وفي اساليب الحياة الاجتماعية . ومع أن هذا الحياء قد عد من أهم فضائل الإنسان ولا سيما امرأته ، لم يظهر قط في لباس الإنسان ومظاهر اجتماعه بصورة قاعدة عطرده أو طريق عقلي . ولم يكن أحد يهتم الحدود الصحيحة لستر الدورات ولا بمرامها مساوية . ولا قد حدثت صور مراعاة الحياء في أزياء الذكور ولانث وفي آدابهم وعاداتهم بحسب مبدأ أو ضاعطة ، ولم تضبط حدود الكشف

(١) انظر : Blue Book of Crime Statistics for 1934

والستر بين رجل ورجل - وبين امرأة وأخرى ، وبين رجل وامرأة ، على وجه مقول متناسب . وعلى قدر ما كان هذا الامر خطيراً من جهة الشذوذ والثقافة والأخلاق السامة ، كانوا في علة عنه وإهمال له ما حالوا ، جالباً منه على العرف والتقاليد ، والحال أن التقاليد تبدل شيكلاً الأوضاع الاجتماعية ووقوع الخائب الآخر على زعات الافراد الشخصية واختيارهم ، والواقع أن الاشخاص والافراد لا يتسلوون في غريزة الحياة والأدب ، ولا آتوني كن منهم من سلامة الذوق وإصابة الاختيار ما يؤهلهم لأن يختار بنفسه طريقاً يلائم غريزته تلك . وكان من جريرة ذلك أن أصبح يوجد في لباس الجماعات المختلفة وطرق اجتماعهم خلط عجيب من الوقاحة والحياء ، يتنوع من كل مناسبة عقلية ومن كد تسق وطراد ، كما يجلو من التزام أي مبدأ من مبادئ الأخلاق . أما الشرقي فبقي الامر فيه مقصوراً على تناقض الزياء وعدم تماسكها ، ولكنه لا طغي هذا المنع من الوقاحة ولا يتبدل في أحد القرب . فاستخرا آية الحياء من أخلاقهم ليعتدوا وحلولاً عاماً يلا معنى . وأصبح من نظر بينهم الحديثة المبتكرة ان الحياء ليس بفرصة طبيعية في الإنسان ، بل هو شيء ناتج عن اعتياده التستر باللباس . وليس لتستر المودات ومراعاة الحياء من صلة بالتهذب والأخلاق أصلاً . « بل هو في الحقيقة عامل من العوامل المحركة لتفريزة الشهوة في الإنسان » (١) . ومن

(١) هذه بالحرف هي الفكرة التي عبر عنها الأستاذ ويستر مارك (Wester) The History of Human marriage في كتابه : « الزواج الانساني »

لأننا في العملية لهذه الفلسفة المجنة ما يرى عندنا اليوم من الأزياء البهجة
ومباريات الجوك والرقص الريان، والصور المكشوفة والعرض المسرحي
الفاحش، ودموع النامية إلى تجرد : (Nadiem) ورجة الإنسان
إلى البهية الخالصة .

ومثل هذا الاعتراف عن نقطة الاعتدال نجد أيضاً في الجوانب
الأخرى لهذه المسألة :

فالذين عظموا شأن أسفة ولاخلاق ، ما حفظوا الرأ ، باعتبارها
وجوداً حيوانياً ذ. عقل وشعور ، بل حفظوها كحفظ الجماء من انتماس
والاعلاف . فجعلوا أمر تعليمها وتربيتها وراء ظهور انهم ، مع أن
أهميته للمرأة لا تقل عن أهميته للرجل ، لمصلحة الحضارة
والتمدن . والذين اهتموا - بخلاف ذلك - بتربيتها ، أهملوا العفة والاخلاق
كل الإهمال ، وسعدوا أسباب التمدن والحضارة من جهة أخرى .

وأما الذين راعوا لقسمة الطبيعة في وظائف الجنسين ، فما كفوا
المرأة من واجبات التمدن والاجتماع ولا تربية الأولاد وتدريب المنزل ،
وحملوا على رجل أعباء الكسب والعمل ولكنهم ما استطاعوا التزام
الترارن في هذه القسمة العادلة . فسلبوا المرأة جميع حقوقها
الاقتصادية ، ولم يجعلوا لها حقاً في الميراث ، وإنما حصروا كل حقوق
الملك في الرجل وحده . وبذلك جعلوا المرأة عاجزة قبيدة من الجهة

الاقتصادية، وأزروه من الرجل مثلة الخادم من سيدها . ولهم بأزاء هذه
الطائفة طائفة أخرى أرادت أن تتدارك هذا الخيف والظلم وترد إلى المرأة
حقوقها المدنية والاقتصادية ، ولكن هؤلاء وفوا في خطا آخر ، وهو
أنهم نلبية المادية على أدهانهم ، زعموا أن إبعاد المرأة عن الاستبداد المدني
والاقتصادي، منناه أن نجعل هي أيضاً كالرجل -عضواً كسبا في الأسرة،
ونشارك به في القيام بجميع واجبات المدن . وكانت هذه الطريقة رائجة جداً بين
الرجبة المادية لأنها لم تخفف من أعباء الرجل وكفى بل ضاعفت أسباب
المعيشة واكتساب الثروة ، لاشتراك المرأة مع الرجل في الكسب ،
وفوق ذلك حيات لتسير مفة المعيشة والتمران القومي شعبي الإيدي
والاذهان العامة ، مما زاد في سيرة المدن -ة ، وبدل -شبه
خيباً . ولكن كان من الباقية المنومة لهذا الرجاء لفرط إلى الخيب ابادي
والاقتصادي أن عمت عليهم الجوارب الاخرى التي لم تكن أقل خطورة
من هذا . بطوا الكشح من كثير من النواحي من حمدا . وخالفوا
قانون الفطرة عن بيئة وعلم ، وهو ما يشهد به تحقيقهم هم ، هم ادعوا
إنصاف المرأة وسحب حقوقها الواجبة ولكنهم في الحقيقة ظلموها وجاروا
عليها وهذا ما تبدل عليه تجاربهم ومشاهداتهم . وأرادوا أن يسدوا بينها
وبين الرجل ولكهم في الواقع أخطؤوا المساواة وامدوا بينها الميزان ،
ومصدان ذلك علومهم وهنونهم أنفسهم . ونشدوا ، بعد ذلك
إصلاح التعديت واممران ، بيد أنهم هيؤوا في نفس الامر اسبابا
حدثت لخرابها مما تلم تقاسيله من الاحداث والارقام التي قد سجلوها

بأنفسهم . ومن البديهي أنهم ما كانوا وليسوا يجعلون هذه الحقائق كلها . بل الأمر كما ذكرنا آنفاً ، أن من اعتنق الانساني أنه إن تصدى لوصف حقون حياته ، لا يستطيع أن يراعي جميع المصالح مراعاة معتدلة مترتبة لانه يجره تيار أهوائه ورغباته إلى جانب من جوانب الأمر ط . وإذا هو مل إلى جانب واحد ، فكثير من الجوانب تسمى عليه ، وكثير من المصالح والحقائق يمتص هو نفسه عنها ، عنيه ! وليس أدل على هذا إلتصافه والاعمال التبعي من شهادة أعمى من أنفسهم . فهذا العالم الطبيعي الروسي المناز انطون فيميلانف Anton Nemulov الذي هو شيوعي خالص العقيدة ، يسود مثني صفحة من كتابه (The Biological Tragedy of Woman) لا تثبت عدم المساواة النظرية بين الرجل والمرأة بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداتها ، ثم يمتد بنفسه على كل هذا التحقيق العلمي بقوله : « إذا قيل في هذه الأيام : إن المرأة يجب أن تنح في دائرة التمدن حقوقاً محدودة ، لم يزد يد من الرجال إلا الأقل . ونحن بأنفسنا ممن يتكلمون بهذا الرأي . ولكن ينبغي ألا نخدع أنفسنا بزعم أن إقامة الرجل والمرأة في الحياة عملية أمره عين ميسور . الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنعين ، مثل ما اجتهدت في روسيا السوفيتية ولم يوضع في العلم من القوانين السليمة البرهنة من التصعب ، في هذا الباب مثل ما وضعه هندي . ولكن الحق ، مع ذلك كله ، أن مثيرة للمرأة

(١) نشر وترجمة هذا الكتاب باللغة الانجليزية في لندن سنة ١٩٣٣ م

قلما تبدلت في الأسرة ... (الصفحة : ٢٦) ولا في الأسرة فحسب ، بل نادر تبدلت في المجتمع أيضاً . يقول في مكان آخر :

« لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة - ذلك التصور المعين - راسخاً ، لا في طوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط ، بل في قلوب الطبقات السوفيتية العليا أيضاً . بل النساء أنفسهن قد بلغن من تأثير هذا التصور في نفوسهن ، أنهن إذا عوملن معاملة المساواة الكاملة مع الرجال ، يرددن ذلك خطأ من مكابرة أولئك ، ويجدن لهم فيه مساكنة اتخذت . ولو أنك تشبع في هذا الأمر أمسكار عالم طبي أو مصنف أو طالب أو تاجر أو شيوعي خالص القيدة ، لا تكشف لك عن غير بعد ، أنه لا يرى المرأة كعائل أو غذاء عائلته ، وكذلك إن نفارته في رواية من الروايات المصرية ، مما كان يبلغ كاتبها من حرية الفكر ، فلا بد أن تقع فيها على عبارات تتم على هذا التصور بشأن المرأة . (الصفحة ٢٩-١٩٥) . وما الباب في ذلك ؟

والسبب في ذلك أن المبادئ الانثوية تصطبغ في هذا المقام بأمر واقع هام ، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار علم الأحياء (Biology) ولم تكن لها القفوة بأعيان سواء (الصفحة ٧٧) . ودونك عبارة أخرى تساعدك على استنباط الحقيقة :

« الحق أن جميع المهات (Workers) قد بدت تقيم أعراض الفوضى الجنسية (Sexual Anarchy) . وهذه حالة جد خطيرة تهدد النظام

«الاشتراكي بالصدر» فيجب أن تحارب بكل ما أمكن من الطرق ، لأن
 «المحاربة في هذه الحمة ذات مشا كل وسويات . ولي أن أدلك على آلاف
 من الأحداث، يعلم منها أن الانحائية الجنسية (Sexual Licentiousness)
 قد سرث عدواها، لاقى الجمال الاغرار فحجب» بد في الاغرائنا لمقتعين
 من طبقة المهل أيضاً» (الصفحة ٢٠٣ - ٢٠٤) .

فاطر ما آيين شهادة هذه الصارات وما أوضحنا . هم بجانب يتصرفون
 بأن الرجل والمرأة لم يحملن لفطرة نفسها متساويين ولم تنجح المساعي
 المبذولة لتحقيق تلك المساواة بينها في الحياة العملية ؛ وأما قدر أقيم ونها
 من هذه المساواة على الرغم من مقتضيات الفطرة كان من عواقبه أوت
 اندفع تيار الفواحش ، وأمسى نظام المجتمع بأسره في حذر منه مهيب .
 وبجانب آخر يدعون ألا تعتمد حقوق المرأة في نظام الاجتماعي بمحدود،
 وأنه إن فعل ذلك ليضائفه . فأبي دليل أقوى من ذلك على كونه
 الانسان البارف البصير ، لا الجاهل التي قد بلغ من اتباعه لموه وترتافته
 أن يكذب تحقيقه هو ، ويجحد مشاهداته نفسه . فيضض عينيه عن كل
 الحقائق ويحيل حواه إلى جانب بيته ليوغل فيه إلى نهايته ، مما كان من
 قوة الحجج التي تقدمها علومه ، ومن علة الأحداث التي تسمى أذناه
 -وعبر نتائج التي تشهد بها عيناه- في لتدبه ، بارامه ذلك ، «أقرأين»
 من اتخذ «لته» هواه وأمساه «فه» على علمه وختم على سمعه .

وَقَلْبِهِ وَجَمَلَ عَلَى بَصَرِهِ شَيْئًا ۖ مَنْ يَهْدِهِ مِنْ بَدْرِ اللَّهِ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ (الجناتية : ٢٣) .

مبزة الاعتدال في قانون الإسلام

وهناك في هذا العلم الثامه بين الافراط والتفريط ، نظام تمدني
وحيد ، يمتاز ببناء التوازن والاعتدال ، وبراعي كل ناحية - مهما دقت
وصغرت - من نواحي الفطرة الانسانية ، ويستند إلى المرفضة التنصيلية
الكاملة بشكون الانسان وجملته الحيوانية وطبعه الانساني وخصائصه
النفسية ودواعيه الفطرية ، وبحقق مقصود لفطرة من خلق كل شيء من
ذلك تحقيقاً تاماً لا يفوت حتى أهون المقاصد وأبسطها . ثم تتحد فيه هذه
المقاصد جميعاً وتتماهون على تحقيق ذلك المقصد الرئيسي الأعلى الذي هو
غاية حياة الانسان نفسه ، ويبلغ هذا الاعتدال والازن والتناسب مبلغاً
من الكمال ، ليس في وسع الانسان أن يخترعه بقله أو وجهه ، أما أن
يكون القانون من وضع الانسان ثم لا يوجد في ناحية من نواحيه ميلان
أو رجحان ، فما لم يمكن قط ولن يمكن أبداً . وذلك أن الانسان العامي
لا يستطيع حتى أن يفهم كل التهم مصالح هذا القانون المعتدل المتزن
الحكيم ، فضلاً عن أن يفكر على وضعه ، ما لم يكن أوتي طبياً سليماً
وما لم يكتسب العلوم ، وعارس التجارب في ذلك القانون مدّة من السنين ،
ثم يطل أعماماً متوازية فيكبريه ويتأمل ، وإلا لا أمدح هذا القانون

لكوني قد آمنت بالإسلام . بل الامر آني ما آمنت بهذا الدين إلا
لأني وجدت فيه كمال التوازن والتناسب وحسن الملازمة للنوانين
المتطورة ، ما قد جعل علي يشهد بأن واضح هذا القانون هو الذي قد
فطر السموات والارض ، وهو عالم انيب والشهادة . ومن الحق أن
لا يهدي لافسان التائه في مجاهل الضلال ، إلى طريق لقصد والاعتدال ،
إلا هو سبحانه ، *« قُلِ الْمَسْهُومُ ضَلَّ السُّبُكَ وَالْأَرْضُ عَالِمٌ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَيَذَكُّوهُ فِيهَا كَانُوا فِيهَا يَخْتَلِفُونَ »*
(زمر : ٤٦) ،

★ ★ ★

نظام الاجتماع الإسلامي

التّظريّاتُ الأساسيّة

من مزايا الاسلام أنه لا يأتي بقانون إلا* ويشير بنفسه إلى حكمته أيضاً . فالقانون الذي قد جاء به لضبط العلاقات بين الرجل والمرأة في الاجتماع ، قد يسنّ بنفسه ما ورائه من حقائق الفطرة وأصول الحكمة .

المفهوم الأساسي للزواجية :

وأولى المبادئ التي يكتمل عن وسبها السرّ في هذا الصدد هي :
 « ومن كل شيء خلقنا زوجين » . (القاريات : ٤٩) هشير
 الآية إلى مفهوم القانون الزوجي (Law of Sex) وشخصه ، ويشلن
 صانع هذا الكون فيما سرّ صنّعه ، فيقول إنه خلّقَ هذا المفعّل
 الكوني على قاعدة الزوجية ، أي أن جميع آلائه وماكفاته قد خلقت
 أزواجاً ، وكل ما يرى من بدائع الصنع في هذه الخليقة ، هو راسخ إلى
 تلك الزوجية بين الأشياء .

ولنتدبّر ما هي الزوجية : إن الزوجية في الحقيقة عبارة عن أنثى

يكون شيء متصفاً بالفعل وآخر متصفاً بالقول والانعزال، ويكون في أحدهم التأثير وفي الآخر اتأثر، وفي هذا المقدر وفي ذلك الانقضاء. وهذا الأصل ولا نقول والتأثير والتأثر والمقدّر والانعزال بين الشئين هو علاقة الزوجية بينهما. وهذه العلاقة هي أساس تركيب الأشياء في هذا العالم. وعلى هذا، تركيب مجري نظام هذا للكون. فكل شيء في هذا الكون قد خلُق زوجين ومستقرين في طبقته. وكل زوجين من الأدواح يرتبطان - من حيث المبدأ والأصل - بهذه العلاقة الزوجية التي يكون أحدهما فيه قاعلاً والآخر قبالاً ومتبعلاً، ولا ريب أنه تختلف كيفية هذه العلاقة باختلاف طبقات المخلوقات، فمن أنواع المزاوجة ما وجد بين الناصر والجواهر، ومنها ما يكون بين المركبات غير النامية، وآخر تراه بين الأجسام النامية، ونوع تصده في أنواع الحيوان، وكل هذه الأنواع من المزاوجة تختلف في نوعيتها وكيفيةها. ومقاسدها الفطرية، ولكنها تتفق في أصل الزوجية وجوهره. ولتحقيق مقصود الفطرة الأرضية - وهو حصول التركيب وحدوث الهيئة المركبة - في كل نوع من أنواع هذا الوجود، معها كانت طاقته، لا بد أن يكون أحدهم زوجيه متصفاً بقوة الفعل والآخر بقوة الانفعال.

وإذ تقرر هذا المفهوم الآلة المذكورة آنفاً، فيستنبط منه الباحث ثلاثة مبادئ أولية للقانون الزوجي:

أولها أن المستور الذي قد خلق الله تعالى عليه الكون ، والطريق
الذي يمل به سبيل السير نظامه هذا ، لا يمكن أن يكون غيباً مكمراً ،
بل هو - من حيث أصله وجوهره - نظيف محرم . وهكذا ينبغي
أن يكون ، وقد يتألفه أعداد هذا النظام ويحتويه زاعمين إنشاء شيئاً
بشيء محفوتاً ، ولكن يارى هذا انتظام ومالكه لم يكن يريد أن
يقف دوابه وتمثل حركته ، وإنما مشيئة أن يبق مفعلاً هذا جارياً
في عمله وتبقى آلائه كلها تأتي بوطنها فيه ؛

والثاني أن سقي الفعل والافعال كلها لازم لتفسير هذا النظام .
ولوجود الفاعل ، وانتمل أهمية سوامي هذا الكون . ولا فضيلة للفاعل
من حيث هو فاعل ، ولا لقيمة المتفعل في انفعاله . وكال للفاعل
أن تكون فيه قوة للفعل والصفات الفاعلية على أنها حتى يستطيع القيام
بواجب الخدمة العملية من الزوجة . وكال للمتفعل أن تكون فيه قوة
للافعال وكيفية على أكلها لكي يحسن القيام بالجانب القبول والاعطائي
للزوجة . وكما أنك إن أولت جزءاً من أجزاء ما كنته سفيرة عن موضعه ،
وأردت أن تستخدمه لأمر آخر لم يصنع له ، ما كنت في رأي الناس
ألا سفيراً أخرف ، وكنت حرباً - أولاً - بأن لا تنجح في محاولتك
هذه ، وإن آبيت وجهت في الأمر جهداً ، عازدت على أن تكسر
الماكسة كسراً ، كذلك حال ما كنته هذا الوجود الضخمة ، فرت أهل
السماعة والخرق قد تعدتهم أنفسهم بأن يضموا الخرز الفاعل منها مكان

الجزء المتفضل ، أو يضعوا الجزء المتفضل مكان العدم ، ثم قد يمتنعون في حماقتهم إلى أن يقوموا بسعود لتحقيق ذلك ويؤملوا النجاح في سعيهم هذا . ولكن سائح هذه المأكنة ما كان ليفعل مثل ملهم . وإعاً شأه أن يضع الجزء الفاعل موضع الفعل أبداً ويربّيه حسب ذلك ويضع الجزء المتفضل موضع الافعال أبداً ويربّي فيه المسكدة لافعلالية ليس غير .

والثالث أنه بما لاشك فيه ان الفعل نوعاً من اشغلية على العود والافضل . ولكن ليس من معاني هذه الافضلية ان يكون مع الفعل المزمع ومع الافضل لذلك . وإنما هذه الافضلية من حيث القوة والنتية والتأثير . فأتينا شيه يفعل فعلاً في شيء آخر ، فانا يفعله لكونه غالباً عليه واقوى منه ولأن له قوة على التأثير فيه . والشئ الذي يقبل فعله ويتفضل به ، فاعلة قوله وافعله إلا كونه متوجهاً وضعياً ومستنداً لتأثر به . وكما ان حصول الفعل يستلزم وجود الفاعل والمتفضل على السواء كذلك من اللازم ان يكون الفاعل متصفاً بالعلية وقوة التأثير والمفعلة بالعلوية والقابلية لتأثر . ذلك انه إن كان كلاهما يساوي الآخر قوة ، ولم تكن لاحدهما على الآخر غلبة ، لم يتأثر أحدهما بالآخر وانتهى حصول الفعل . فالحبوب ، ان كان فيه من الصلابة والقوة مافي الائمة ، لم يكن فعل الحياطة ، والأرض ، إن لم يكن فيها من اللين والهدنة ما تقبل به من الرمش والحراث فيها ، لم تكن الزراعة والبناء . ومجسّد القول ان كل ما يقع في هذه الدنيا من الأفعال ، لا يمكن أن يتم أحدها منها

لو لم يكن إزاء كل فاعل منفرد ، ولو لم تكن في المتصل قابلية لتأثر بفعل الفاعل . لذلك من مقتضى لطبيعة فيازوج الفاعل - من الزوجين - أن تكون فيه التوبة والشدة والتحكم ، بمعبودته بالذكورة والرحولية ، لانه لا بد له منه لأجل القيام بوظيفته من حيث هو أداة فاعلة . وعلى العكس من ذلك ، من مقتضى انطبع لانفالي في الروح المتصل ان يكون فيه اللين والرفقة والنسومة وتأثر ، بما يقابله الأنوثة والسطع السوي . وذلك لأن هذه الصفات هي التي تمكنت من النصح في الجانب الانفالي من الزوجية . فالذين لا يعرفون هذا السر هم فريق انسان ، فريق بحسب فضيلة الفاعل الذاتية بمثابة الذكر والكرامة ، فبما انتمل في ذاته ذليلاً محتباً ، وآخر ينكر بالمرء تلك الفضيلة المخصوصة بالفاعل ، فبريد آت يحدث في المتصل أيضاً تلك الصفات التي يجب ان تكون في الفاعل ولكن الصانع الحكيم الذي قد صنع الحزائين ، ينصب في ما كنهته على نحو يضمن لها المساواة في الكرامة والذكر وفي لسانه والبرية ، ويضمن لها مع ذلك ان تنشأ فيها صفات النالسية والبنومية استناداً بقضيتها الطبع الفاعل والممعل في الزوجين ، لتتخفف عن غلبة المزاوجة بينها ، لا أن يكونا كعجورين متساويين في الشدة والصلابة ، قد يحدث أحدهما بالآخر ، ولكن لا يمكن ان يحصل بينهما امتزاج ، ويحدث بامتزاجها تركيب .

هذه هي المبادئ التي تستخرج من مفهوم ازوجية الاندائي وإن مجرد كون لرجل والمرأة زوجين باعتبارهما وجوداً مادياً ، يقتضي ان ترى

هذه ابيادى فيها بينها من الصلات . وستتم فيما يأتي ان القانون الاجتماعي
الذي قد وضعه فاطر السماوات والارض قد رُوِجَتْ فيه هذه المبادئ
الثلاثة مراعاة كاملة

انفطرة الجبرائية في الانسان ومقتضياتها

وتعال الآن تقدم خطوة في البحث . ان وجود المرأة والرجل ليس
وجوداً مادياً حسياً بل هو أيضاً وجود حيواني ، ولنتطرق ماهو
حقنقى كونها زوجين بهذا الاعتبار . يقول الخلق عز وجل : «جَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَصْنَامِ أَرْوَاجًا مَذْرُوءًا كُنْتُمْ
فِيهِ» (الشورى : ١١) ويقول : «رَبَّاهُمْ حَرَّتْ لَكُمْ»
(القرة ٢٢٣).

ففي الآية الاولى قد ذكر الله تعالى خلق الانسان والحيوان كلها
أرواحاً . ويثبت لنا المشتركة بينهما من ذلك بقوله «يَذُرُوكُمْ فِيهِ» أي
لأن تجري ببلاتها الزوجية سلسلة التناسل . ثم أفرّد النوع الإنساني
عن سائر الأنواع في الآية الثانية ويثبت ان علاقة ما بين الزوجين من
هذا نوع دون سائر الأنواع الحيوانية ، كالعلاقة بين الحرث والحديث .
وهذه حقيقة أحكامية (Biological Fact) وأحسن تشبيه لهذه
المرأة ورجل من وجهة نظر علم الاحياء . ويستبسط البحث من هاتين
الآيتين مبادئ ثلاثة أخرى هي :

١ - أن الله قد خلق لأزواج الإنسانية كالأزواج الحيوانية ، لكي يجري بملاقعتهم الجنسية النسل الانساني ويبقى للنوع . وهذا من مقتضيات الطبع الحيواني في الإنسان ، مما تجب مراعاته . فانه تعالى لم يخلق النوع الانساني لأجل ان ينتج بعض أفرادهم أنواع هذه الحياة ثم يموتوا وينقرضوا ، بل هو سبحانه يريد أن يبق هذا النوع في الارض إلى أجل مسمى ، وماركس الميلاق الجنسي في فطرته الحيوانية الإستغناء لأزواجه على التواصل والتناسل ليممروا بذلك أرض الله . فكل من قالون ينزل من عند الله ليس من شأنه ان يكبت هذا الميلاق الجنسي او يقضي عليه ، ولا أن يدعو إلى احتقاره واجتنابه ، بل لابد أن يكون فيه مجال لتسكين المرأة من الاستجابة لحجته الفطرية هذه .

٢ - وقد بين الله تعالى بتشبيهه للمرأة والرجل بالحرث والحارث ان العلاقة بين الزوجين الإنسانيين تختلف عن التي تكون بين الزوجين الحيوانيين . وقد ركبت أجسامها من الوجهة الحيوانية أيضاً - دمع عنك الوجهة الإنسانية - تركيباً يتواءم لملاقاتها ذلك الثبات والدوام الذي يكون للعلاقة الحارث والحارث بمحوته . فكما ان الحارث لا ينتهي عمله في الحرث بمجرد إلقاء البذر فيه ، بل يكون من واجبه بعد ذلك ان يسممه ويسقيه ويرعاه ويسير عليه ، كذلك ليست المرأة بزرعة يلقى فيها من يمر بها تذرر كيتها أثق ، فتنبث شجرة مرة . بل هي إذا حملت تحتاج إلى حراستها رعايتها وكفالتها .

٣ - إن ما بين الزوجين ، الانسانيين من الجاذبة الجنسية ، هو اعتبار علم الأحياء (Biologically) من نفس النوع الذي يوجد في سائر أنواع الحيوان . فكل فرد من جنس واحد يميل ميلاناً حيوانياً إلى كل فرد من الجنس الآخر . وما ركّبت في طباعهم من النزعة القوة إلى التناسل ، يجتذب جميع أفراد الصنفين ، الذين يميلون له مبدئياً ، بعضهم إلى بعض . فالقانون الذي وضعه فاطر هذا الكون ما كان ليفعل عن هذا الجانب الضعيف من طرفة لائنات الحيوانية ، لأنه يكمن فيه ميلان شديد إلى الفوضى الجنسية (Sexual Anarchy) لا يمكن ضبطه وتحديدته إلا بالتدابير الخاصة من التحفظ والاحتياط . وإن انزلت هذا الميلان من قيد مرة ، فلا يمتنع الإنسان شيء عن تحويله إلى الحيوان بل إلى أسفل أنواعه . ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . (التين : ٤ - ٦) .

الطرفة الانسانية ومقتضياتها

إن المذبح الحيواني - كما أسلفنا - كالمفرش والاساس في خلقنا الانسان ، وعليها رُفست قواعد إنسانيته . لذلك كان كل ما يحتاج إليه الانسان لبقاء وجوده الفردي ووجوده النوعي ، قد ركّبت له في طبيعته الحيوانية النزوع اليه والرغبة فيه والاستعداد لتحصيله . وليس

من مشيئة الفطرة ألا تقضى أية رغبة من تلك الرغبات، أو يبطل جانب من جوانب ذلك الاستعداد، لأن هذه كلها أيضاً لازمة للإنسان، وبدونها لا يمكن أن يعيش ويبقى نوعه. وإذا زِيدَ الفطرة ألا يدعو الإنسان في قضاء تلك الرغبات واستخدم ذلك الاستعداد نحواً حيوانياً محضاً، بل يجب أن يكون طريقه في ذلك إنسانياً بحسب ما يقتضيه طبيعته الانسانية من الأمور، وبرعية ما جعل في نفسه طبيعته من المقاصد لوق الحيوانية. ولهذا الغرض قد وضع الله تعالى حدوداً شرعية، كي تضبط أعمال الإنسان مضاطعة، ثم حفره بأنه إن تسمى تلك الحدود، مائلاً إلى الإفراط أو التفريط، بقي يده إلى التهلكة. «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُدُودَ مَا فَضَّلَ لَكُمْ مِنْهُ فَقَدْ ظَلَمَ بِسِلَاسٍ عَظِيمَةٍ» (البقرة: ٢١٩).

ولنظر الآن أي خصائص الفطرة الإنسانية وهي مقتضاياتها في الشؤون الجنسية هي التي يشير إليها القرآن الكريم:

١ - الذي أودعته الفطرة الإنسانية من نوع الملاقة بين الحسين، يفعله القرآن بما يأتي: «خَتَمَ عَلَىٰ لُبِّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» (نور: ٣١) وبآية: «هُنَّ لِيَسْمَرُ إِلَيْكُمْ وَانْتُمْ لِيَسْمُرُنَّ» (البقرة: ١٨٧).

فآية السابقة في الصفحات الماضية، التي ذكرت كون الإنسان والحيوان معاً مخلوقاً أزواجاً، جعلت المقصود بتحقيق الزوجين بقائه النسل

وحده . فالآن قد أقره الانسان عن الحيوان وذكر من خاصته أنه
له من وراء الزوجية مقصد أسمى وأجل ، وهو انه يجب ألا تكون
بين زوجته علاقة شهوة فحش ، بل تكون بينهما علاقة حب ومودة
وأنس ، وعلاقة تألف بها القلوب وتتصل الأرواح ، ويكون أحدهما
موضع مرفء للآخر وشريكه في البؤس والرخاء ، ويكون بينهما
من الملازمة والاتصال الابدي ما يكون بين الجسد والتوب . فهذه
العلاقة بين الصنعيين - كما سنرى أن فصلنا فيه - هي الصخرة
الأسسية لبنة التمدن الانساني . ثم أشير بقول (لتسكنوا اليها) في الآية
لي أن المرأة موضع الراحة والسكنى للرجل . وليست وظيفة
إلا أن تنهي الرجل زاوية أمن وسكون وراحة في هذه الدنيا
المتلعة بالمتاعب والشقاء . وهذه الزاوية هي حياة المرأة العائيلة التي قد
تأون بأمرها أهل القرب لأجل المنافع الدائسة ، ولحل أن
لهذه الشئمة من حياة المرأة من الخطورة والأهمية ما لتأثر شمس التمدن
والعمران . وهذه أيضاً لازمة للحياة المدنية كزوم سائر الشعب لها .

٢ - وهذه العلاقة الجنسية لا تقتضي العودة بها بين الزوجين بحسب
بل تقتضي مع ذلك أن تكون أكلها صلة ووحية حميمة بالولد الذي
ينتج عن تلك العلاقة الودية بينهما . لذلك قد جعلت الطبيعة في تكوين
الانسان وفي تكوين المرأة وطريقة حملها ورضاعها على الاخص ، ما هو كافي
بأن يأشغال قلبها بحب الأولاد . فيقول عز* من فائل وحملت أمه ونحن
على وهن وفصله في عامين* (بنو : ١٤) . ويقول في موضع آخر :

« تَحْكُمُهُ أُمَّهُ كُتْرُهَا وَوَصَّيَّتُهُ كُتْرُهَا وَصَحْبَانُهُ وَفَصَالُهُ
 ثَلَاثُونَ شَهْرًا » (الاحقاف : ٦٥) وكذلك حال الرجل ، وإن
 كان دون المرأة في حب الأولاد . « زَيْنَ الْبَنَاتِ حُبُّ الشَّهِوَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ » (آل عمران : ١٤) . وهذه الهبة والحفا
 الفطري تقيم أو صر الصبر والنسب بين أفراد الانساب ، ومن تلك
 الأواصر تنشأ الأسر والعائلات . ومن هذه تتألف القبائل والشعوب
 ومن روابط هذه الشعوب والقبائل ينتج التمدد « وَهُوَ الَّذِي حَلَقَ
 مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا » (الفرقان : ٥٤) « يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » (الحجرات : ١٣) .

فروايات الرسم وأواصر الصبر والانساب هي في الحقيقة
 مؤسسات بدائية طبيعية للتمسك الانساني ، ويتوقف قيامها على
 أن يكون الأولاد من الآباء المعروفين والمعلومين ، وتُحفظ الانساب
 من الغلط والزيف .

٣- ومن مقتضى الفطرة الانسانية أيضاً أنه إن تركَّ الإنسان من
 ورائه شيئاً كسبه بكداً بيته وعرف جينته ، يتركه لأولاده وأقاربه
 الذين بقي طول حياته مرتبطاً بهم بقرابات الرحم والدم . « وَأَوَّلُو
 الْأَرْحَامَ بِمَعْنَاهُمْ أُولَى بِشَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (الأنفال: ٧٥) .
 « وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ كَأُولَىٰ آبَائِكُمْ » . (الاحزاب : ٤) . ويؤخذ
 من ذلك أن حفظ الانساب مما تستلزمه قسمة الميراث أيضاً .

٤ - إن غريزة الحياة في الإنسان غريزة طبيعية . ففي حبه أعضاء وأجزاء قد جسده الله على الرغوة في سترها وإخفائها ، وهذه الرغبة هي التي عازلت بعض الإنسان منذ لأرك على أن يتخذ لجسده نوعاً من أنواع اليباس . وفي هذا الباب يرث القرآن النظرية الجديدة رداً بانثاً ، يقول : إن أجزاء الجسد الانساني التي قد وضعت فيها الجاذبية الجنسية لأرجل والمرأة ، تقتضي الطرة الانسانية أن يعني الموء بسترها ويستحيي من كشفها ، ولكن الشيطان لأريب يريده على أن يبرؤها . « قَوَّسُوا لَهَا الشَّيْطَانَ لِيُفْتِرِيَ لَهَا مَا وَوَرَيْ حَتْمَهَا مِنْ سَوَاءِ أَمْرِهَا ... فَلَمَّا ذُقَا الشَّجَرَةَ » . « بَدَتْ لَهَا سَوءَ عَافِيَتِهَا وَطَعِنَا بِخَصِيفَتَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ » . (الأعراف ٢٠ - ٢٢) . ثم يقول لقرآن إن الله قد أنزل عليكم الهدى لتشكوه سائر المورائكم ودينه لأجسامكم . ولكن هذا لستر للمورائ ليس كل شيء ، بل يجب مع ذلك أن يتشتر تقوى الله قلوبكم . « قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَكِّدُ أَوْرَاقَكُمْ سَوَاءِ فِيمَ تَرِيضُوا . وَلِبَاسُ الْقَوَى ، ذَلِكَ خَيْرٌ » . (الأعراف : ٣٦) .

هذه هي التصورات الاساسية لطام الاجتماع لاسلامي . فاحسبها على ذكر منك ، ثم ادرس الصورة التفعيلية للظام الاجتماعي الذي قد أسس على هذه التصورات . وعلبك في أثناء دراستك هذه أن تتحرى بالقدار العميق مبعغ لوحدة والتساوق والمطابقة والارتباط المنطقي الذي يراعي الاسلام في تطبيق النظريات التي بمذه اساساً لقانونه

على تفصيل الحياة وجزيئاتها العملية . الحق أن كل ما عدناه من لقوانين
التي وضعها الإنسان ، من نفسها الباور المشترك أنها إذا طُلقت في
الحياة ، لا يبقى بين نظريتها الأساسية وتفاصيلها العملية ارتباط متلقي
كامل . فتعارض الأصول والقروع . وتأتي الكليات المدروسة في
الكتب ، مختلفاً مزاجها عن المزاج الذي يتكون للجزئيات المفردة للعمل
والتنفيذ . وربما حُلقت المقول في معنى الحلال ، فجماعت بطرية رائدة
أخذت ، ولكنها إذا هبطت من عالم التصوّر والخيال إلى دنيا الحقيقة
والعمل ، وأرادت أن تتخذ نظريتها في الحياة ، فإنها تصار في مسائل
هذه الدنيا العملية سيرة تذهلها هي نفسها عن ضاريتها تلك . وهذا
الضعف والخلل لا يخفى منه أي قانون من القوانين الوضعية . فليتم
الآن ، وانتأراً بكل ما شامت لك نفسك من الدقة والتفحص في هذا
القانون الذي عرشه على العالم وأمر أمي نشأ في قفار العرب ، وما استشار
في وضعه مجلساً شريعياً أو لجنة مختارة ، هل ترى فيه أثراً لتناقض ،
أو عليه مسحة من عدم الارتباط المنطقي ؟

★ ★ ★

الأصول والأركان

إن أم ما يواجه من المبادئ في تنظيم الاجتماع ، هو - كما أسلفنا ذكره في موضع آخر - منعُ الذلّان الجنسي عن الفوضى والاعتيان ، وضيقه بسابطة ، لأنه لا يمكن بدونه تأليف نظام للتمدن . ولدت هو أسف بدونه على فرض الحال ، فما هناك من سبيل إلى صون هذا النظام من انتشار وصون الإنسان من لا تحطط الخلق والفكري الشديد بمن أجل ذلك قد قيّد الاسلام علائق الرجل والمرأة بقيود شتى ، وضرب بها تدبيراً إلى مركز واحد .

المرمات :

فالقانون الاسلامي يبدأ - من صفى الذكور والاناث - بالافراد الذين هم مضطرون بطبيعة الحال إلى أن يتماثلوا في مكان واحد ، أو يرتبطوا بعلاقات قربية ، فيحرم بعضهم على بعض جميعاً : كالأم والوالد ، والاب والابنة ، والابن والابنة ، والعمة وابن الأخ ، وامم و بنت الأخ ، والحالة ابن لأخت ، والحال و بنت الأخت ، وزوج الأم وبنت الزوج .

وزوجة الأب وابن الزوج ، والحاة و لغيره ، والحوا وككة ، وأخت
 الزوجة وزوج الأخت (في حياة الأخت) والأقارب الرضاعين (سورة
 النساء : ٢٣- ٢٤) ، فإلا جميعاً حرّم أحدهم على الآخر ونزّهت
 علاقتهم عن المزاغة الجنسية فزجها لا يكاد أي فرد منهم يتصور معه أن
 يعيل إلى الآخر ميلاً جنسياً ، أنفسهم إلا الأعداء البهائم الذين لا تخضع
 بوجوبهم لأي ضابط خلقي .

تحرير الرضا

وقد حرّم على الرجل ، بعد هذا التحديد ، جميع النساء الاتي
 هنّ في عقد غيره من الرجال والمختصات من النساء . . .
 (النساء : ٢٤) .

وأما من عدا هؤلاء من النساء فقد حرّم عليه أن يمتلئ بهن
 بملافة جنسية مطلقة من كل قيد . « ولا تقربوا الزنا إن كنتم
 طاهسين وماء سبيها » (الإسراء : ٣٢) !

النظام

بهذه الحدود والقيود سدّت على المرء جميع أبواب الفوضى الجنسية ،
 ولكنه كان من اللازم لتحقيق مطلب طبعه الحيواني ، وإشباع الطريق
 الفطري المقرر لهذا الكون ، أن يُفتح له باب يقضي منه حاجته الفطرية .

ففتح له ذلك الباب بصورة النكاح . وأصبح له أن يقضي حاجته تلك ، ولكن من غير طريق العوض والإباحية ، وفي غير حال . التستر والخفاء بل بفضل ذلك بإعلان منه وتصريح ، حتى يكون من المحرم لشرف به في المجتمع أن بطلاً وملاة قد مثلا في عقد المذمة واقتربنا ، «وأُحِلَّ لَكُمْ ما وَرَاءَ ذلكمُ إِنْ أَنْتُمْ سَأَلْتُمُوهُنَّ بِأَهْوَاءِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسَاءِجِينَ...» «نكحوهن» بدون أهليهن... . «مُحْصِنَاتٍ غَيْرَ مُسَاءِجَاتٍ وَلَا مُنْخَضَاتٍ اخْتِذَا» (النساء : ٢٤ - ٢٥) ..

«تأثر» مودة لاسلام في تحريمي الاعتدال ، إن العلاقة الجنسية التي كانت محرمةً ومُسْتَنْصَفَةً خارج دائرة النكاح عدت في دائرة الزواج مباحةً ومستحسنةً ، بل عملاً صالحاً يُؤمر به ويُشكر اجتنابه ، وليس هذا فحسب ، بل يصح مثل هذه العلاقة بين الزوجين عبادةً . حتى إن المرأة إن سميت الذلة أو دخلت في الصلاة أو التلاوة قرأ من قضاء حاجة يسيرة الشرعية ، كانت آتيةً ولم تقبل منها تلك المبادء . ودونك بعض ما روي عن النبي ﷺ في هذا الباب : «عليكم بالإحسان وإتيه أنفس» لا يصر وأحسن للفرج ، فمن لم يستمع منك الإساءة فطليه بالصوم ، فإن الصوم له وجاء^(١) ، « والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأزواج النساء . فمن رغب عن

(١) ترمذي في كتاب النكاح . وفي هذا الذي حديثه في كتابه النكاح

ليجاري .

منتهي فليس في (١) ، « لا تنصوم المرأة وبعلها شاهد ، إلا » بإدته (٢) ،
 « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها ، لنقض الملائكة حتى ترحم (٣) .
 « إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهلته ، فإن بها مثل
 الذي معها (٤) » .

وغاية الشرح من كل هذه الوصايا والأحكام أن نسد أبواب الفوضى
 الجنسية كلها ، ونحصر العلاقات الزوجية في دائرة الزواج ، ألا تكون
 خارج هذه الدائرة - ما لم يمكن - محرمة كل جنسية من أي نوع . وأما
 المهيجان الذي ينشأ عن مقتضى الفطرة أو عن الأحداث المصادفة ، يكون
 تهدئته وتسكينه ملجأً يلجأ إليه وهو الزوج للزوج حتى يتمكن الإنسان
 من خدمة النظام الاجتماعي بقوة مدخرة مجمعة (Conserved Energy)
 ونفس هادئة سليمة من كل المركات المفسدة غير الطبيعية ، ويستخدم
 عنصر الحب والفرقة الجنسية - الذي قد ركبه الله في كل رجل وامرأة
 لتسيير هذا النظام الكوني - لتشكيل الأسرة وإحكام أركانها . فالزواج
 في الإسلام هو عرق من جميع الوجود لأنه في عصب الفطرة
 الإنسانية والحيوانية كليهما ويحقق مقصود القانون الإلهي . واجتناب الزواج
 محفوت من جميع الاعتبارات لأنه لا بد أن يتضمن إحدى الميشتين :
 إما أن يحتبب الإنسان به لتحقيق غاية القنوت الطبيعي ، ليشبع قواه فيه

(١) البخاري : كتاب النكاح

(٢) البخاري : باب صوم المرأة بائنة زوجها

(٣) البخاري : كتاب النكاح

(٤) الترمذي : باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تصيبه .

محاربة الفطرة أو كتمان عليه مطالب طبعه الحيواني فكفره على أن يقضي
شهواته بإعتراف المحرمة المحاطة .

تنظيم الأسرة

ويبدو أن يقرر الإسلام الميلان الجسي في الإنسان وسيلة لتشكيل
الأسرة وإحكامها ، يقبل على تعليم الأسرة . ويراعي في هذا التنظيم أيضاً
كل قضية من تواجي قانون الفطرة ، التي قد مر ذكرها ، باترن كامل.
وإن الدرجة لنامية من العدل والانصاف ، التي يلاحظها الإسلام في
تعيين حقوق الرجل والمرأة قدسدت تفصيها في كتب لي آخر بشؤون
(حقوق الزوجين) وبها نعلم أن الإسلام قد أظلم بين الصنفين من المساواة
ما كان يمكن أن يكون ، ولكنه لا يرضى من مساواتها ما يفتش قانون
الفطرة. فليسرة من الحق ومثل ما للرجل ، من حيث هي إنسان . دولهن
يشن المذني "عَلَمِينَ" (الفقرة: ٢٢٨) . ولكن افضلية لقوعية ~ بحسب
القوة والتقدم ، لا يعني اكرامة والزم - التي هي الرجل من حيث هو
زوج فاعل ، قد اعترف به الإسلام له بمقتضى الانصاف . دولر "سجل
حكمين" درجة" (الفقرة : ٢٢٨) وكذلك بعد أن قرر الإسلام
بين الرجل والمرأة علاقة الفضل والفضل بموجب ناموس الفطرة ، قد
نظم الأسرة على ما يأتي من لقواعد :

قوائم الرجل

إن الرجل قوائم على الأسرة . أي هو حاكم الأسرة وراعيا

ومراقب أسلاما وشؤونها ، وواجب الاطاعة لجميع أمرائها إلا أن يأمر بمعصية الله ورسوله . ثم هو مكلف بميالة الاسرة وتزويجها بمحتاج حياتها ، والرجال قوم آمنون على نساءهم فيما فضل الله بهم عنهم على بعض وكما أنفقوا من أموالهم . » (النساء : ٣٤) .

« الرجل راجع على أهله وهو مشكوك » (١) . « فاصالحات قانتات » ساطعات » فلتغيب بها تحفظ الله » (النساء : ٣٤) .

قال النبي ﷺ : « إذا خرجت المرأة من بيتها وزوجها كاره لها كل ملك في الباطن وكل شيء مرث عليه غير الخن والإلصاق حتى ترجع » (٢) « واللاتي يحافون شوزهن » يمتطوئن » وهجرهن في المناسبات واضربوهن . فإن أظعنكم فلابتحنوا عليهن سبيلا » (النساء : ٣٤) وقال النبي ﷺ : « لا طاعة لمن لم يعلم الله » . (٣) « ولا طاعة في معصية الله » (٤) « إنما الطاعة بالمرء » (٥) « ووصينا الإنسان » رسول الله حسنا . وإن جاهدك لإشركه في ما ليس لك به علم فلا تطعه » . (التوبة : ٨)

وهكذا نزلت الأسرة على أن يكون لها راجع وصاحب أمر ، مطاع .

(١) البخاري : (باب قرا أفكروا معكم كرا) من (كتاب النكاح)

(٢) كشف البسة

(٣) رواه أحمد من حديث مطر .

(٤) رواه أحمد من حديث عمران بن حصين .

(٥) البخاري : كتاب الأحكام .

ومن حاول أن يُنقذ بتنظيم الأسرة هذا ميتو عبده النبي ﷺ بقوله :
 ومن أهد امرأة على زوج فليس منّا ،^(١) .

واجبات المرأة

وقد جُمعت المرأة في هذا التنظيم ربة البيت . وإذا كان على زوجها
 كسب لاموال فلها إنفاق تلك لاموال لتدير شؤون المنزل والمرأة
 راعية على بيت زوجها وهي مسئولة^(٢) ، وقد وُضعت عليها جميع الواجبات
 التي تملئ بخارج البيت . فلا تحب عليها - مثلاً - صلاة الجمعة^(٣) . ولا
 يجب عليها الجهاد ، وإن كان يجوز لها أن تخرج لخدمة المحاهدين في ميدان
 الحرب ، إذا اقتضت الضرورة ، كما ستذكره فيما يأتي شيء من التحقيق .
 وأيضاً لا يجب عليها تشييع الحنّاء ، بل هي قد نهيت عنه^(٤) ولم تفرض
 عليها صلاة الجمعة ولا حضور المسجد . ولكن كان قد دُرِّج لها في
 حضور المساجد بمعنى القيود ، فإنه لم يُستحسن منها قط^(٥) . ثم لم يؤلفه
 لها بالسفر إلا " مع أحد محارمها " .^(٦)

(١) كعب النضراني .

(٢) البخاري : باب قرا أنكروا وأمسكوا .

(٣) آخر من إلى داود بأنه الحجة للملك والمرأة .

(٤) البخاري : باب أيام النساء كجائز

(٥) أبو داود : باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد

(٦) بن مكي : باب ما جاء في كراهية أن تصافر امرأة وحدها . وأبو داود :

باب في المرأة تخرج بمحرم .

مستقاة القول أنت خروج المرأة من البيت لم يصح في حال من الأحوال . وخير الحديث لها في الإسلام أن تشارك فيها ، كما تدل عليه آية . « وَتَرْتَبِي فِي بُيُوتِكُنَّ » ، دلالة واضحة^(١) . ولكنه لم يشدد الإسلام في هذا ، بل تشددت لكون خروج امرأة من بيتها

(١) قد ذهب بعض الناس إلى أن هذا الأمر خاص بالزواج الذي صلى الله عليه وسلم ، لاعتناء الآية بمخاطبة : بإنشاء النبي ﷺ ، ولكننا ندل : أي وسية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأهبات المؤمنين دون سائر الناس ، فقد قيل نبياً : « إن نبيي ملا تخمين بالمرء فيقطع الذي في قلبه مرسى ، وفلن تولا مرسوماً وقرن في بيوتكن ولا يخرجن تخرج المعالجة ، الأولى . وإلى الصلاة وآتين الزكاة وأحسن الله ورسوله . وإلهي الله يذهب عسك الرجس أهل البيت ويظهركم تطهراً » (الأحزاب ٣٢ - ٣٣) تتأمل كل هذه الوصايا والأوامر ، وتقل لي : أي أمر منها لا يصلح لخدمة النساء المنهيات ؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يخرجن ؟ أو قد أصبح لهن أن يخرجن ، يقول ويكتفن الرجاء كلاماً يرضيه ويخوفهم ؟ أو يجوز لهن أن يخرجن تخرج المعالجة ؟ ثم هل ينبغي لهن أن يركن الصلاة والزكاة ويحرضن جن طاعة الله ورسوله لعله يريدن أن يتكررن في الرخص وإنما كانت كل هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات ، فالمرءة تنصيب كلمة « وترتي في بيوتكن » وحدها بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

إن مصدر التهم المخاطبة في الخليفة هو مبتدأ الآية : « بالله النبي لئن كنا أحد من النساء » . ولكن هذا الأسلوب لا يصحف - مثلاً - عن قولك لو لم نجيب : يا بني لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في العوارض وتأتي بما لا يليق من الحركات ضيقك بالادب واليقظة ، فلو لم كنا لآلتي أن سائر الأولاد يحسد فيهم طوائف العوارض وتبائن الحركات الطبيعية ، ولا يطلب منهم الادب واليقظة ، بل انهم يمل قولك هذا تعدي معيار لها حسن الاخلاق وفنائها ، ليسكي يصبو إليها كل واحد يريد أن يعيش =

قد يكون من اللازم في بعض الاحوال، كآن لا يكون لها نص من الرجال أو تنصرف إلى العمل خارج البيت لخصاصة قيم الأسرة أو مسألة مماشه أو مرضه أو عجزه أو سبب آخر من هذا القبيل . فكل هذه الاوضاع والاحوال قد جعل لها في القانون سندوحة ومُشجع . وجاء في الحديث : «قد أدان الله لكن أن تخرجن لحوائجكن»^(١) ولكن مثل هذا الاذن قد منحتة المرأة مراعاةً للاحوال والظرورات فصص « لا يفتّر شيئاً من القاعدة الرئيسية في نظام الاجتماع الاسلامي ، وهي أن دائرة عمل المرأة هي البيت . وليس الاذن بخروجهن منه إلا "رحمة" وتيسيراً ، فيجب ألا يُحصل على غير معانيه ومقاصده .

تدعيم الولاد فيس في باوطة . وقد اختار القرآن هذه الطريقة لتوجيه النساء إلى العمل خارج البيت كمن على مويدهن اعمارة الاسلامية هي : من التدرج ، وتعيين حدود الاخلاق وقيد الغايطة الاجتماعي على يد النبي صلى الله عليه وسلم . فهي تلك الاحوال التي الاسلام يقطع حياة أمهات المؤمنين بسائلة هي وجه خاص ، حتى يكن لأسوة لائر النساء وتنع طريقتهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين .

هذا الرأي قد أبداه العلامة أبو بكر الحفاسي في كتابه « أحكام القرآن » فيكتب : « وهذا اسمك وإن ترن عاماً في النبي صلى الله عليه وسلم وأتواجه ، فليس عام به وفي غيره . إذ كذا مأمورين بإدعاه والاقد به » إلا ماخصه الله به جون أدته » (الجزء الثالث : الصفحة ٥٥) .

(١) البيهقي : باب خروج النساء لحوائجهن . وفي هذا الحق حديث في المسلم باب إباحة الخروج للنساء لخاصة الادان .

القبول المؤزم

وقد مُنحت المرأة البالغة كثيراً من الحرية في شؤونها الشخصية . ولكنها لم تُمنح حرية الإرادة والاختيار مثل ما أعطيه الزوج البالغ . فلرجل - مثلاً - أن يخرج في السفر إلى حيث يشاء وأنى يشاء . ولكن المرأة - بكراً كانت أم متروكة - أم أرملة - يجب أن يسافرها في السفر محرم . ولا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر منفراً بكون ثلاثة أيام مساعداً إلا^(١) ومبا أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو حرمة منها . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا^(٢) ومبا محرم »^(٣) . وعن أبي هريرة أيضاً أنه ﷺ قال : « لا يجزئ لامرأة مسافة تسافر مسيرة ليلة إلا ومبا راحل ذو حرمة منها »^(٤)

أما الاختلاف في تعيين مقدار السفر في هذه الروايات ، يدل على أن الأهمية ليست لمدة اليوم أو اليومين ، بل الأهمية كلها لثلاث ليالٍ للمرأة من حرية التنقل والسفر ما يؤدي إلى الفتنة . لذلك ما اهتم النبي ﷺ بتعيين مقدار لهذا السفر بل قال : « هو الأختنفة » مراعاة للوقت والمناسبة في مختلف أحوال السائلين .

ولمراء له كل الحرية في أمر نكاحه . فله أن ينكح ما طالب له من

(١) انزمدي : بات عليه في كراهية أن تسافر المرأة وحدها .

(٢) أبو داود : باب في المرأة تخرج بغير محرم .

السلطات أو من نساء أهل الكتاب . وله أيضاً أن يمتنع بأمنته . وكان
 المرأة لم يجعل لها كل هذه الحرية والاختيار . فلا يجوز لها أن تشكح رجلاً
 من غير المسلمين . « لَاهُنَّ حِيلٌ لَّهُنَّ وَلَا هُنَّ يَحْكُمُونَ لِنَفْسٍ » .
 (الممتحنة: ١٠) وكذلك لا يجوز لها التمتع ببيدها . ولم يرخص لها القرآن
 من التمتع بملك اليمين مثلاً ما رخصه للرجل . وحدث في زمان عمر
 رضي الله عنه أن امرأة «أخطأت» تأويل الآية « مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » ،
 فتعشمت ببيدها ، فمأ بها ذلك عمر ، عرض الأمر على مجلس شورى من
 الصحابة ، فأجمعوا على الإفتاء عليها بقولهم : « قُبِحَ لَهَا لَّهِ نَأْوَلُ » كتاب
 الله غير تأويله ، وامرأة أخرى استأذنت عمر في مثل ذلك ، فتعبد
 عقوبتها وقال : « لَنْ تَزَالَ الْعَرَبُ بِغَيْرِ مَا مَنَعْتَ نَسَائَهُ » (١) .

وأما إذا استنهي الكافر والمد ، فالمرأة لها الحرية في انتخاب زوجها
 من أحرار المسلمين ، ولكنه يجب عليها في هذا الأمر أيضاً أن تراعي
 رأي أبيها وجدتها وأختها وسائر أوليائها . ولا ريب أنه ليس بأولى له أن
 يتركها أحدًا ينير رضاها لقول النبي ﷺ : « الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ
 وَلِيِّهَا » . ولا تشكح البكر حتى تستأذن . ولكنه لا يُلَاقِي بالمرأة كذلك
 أن تشكح من تشاء من الرجال . ينير رضا الرجال المسؤولين من أسرته .
 لأجل هذا قد استعمل القرآن الباب الثلاثي من صل تشكح يشكح كلها
 تكلم عن الرجال فقال : « وَلَا تَشْكُحُوا الْمُسْرَكَاتِ » (البقرة: ٢٢٩)

(١) كشف القصة الصغرى

وَهُوَ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ» (النساء: ٢٥) ولكنه استعمل باب الإفضال من هذا الفعل من كان الكلام في إنشاء فقال : « وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ » (النور : ٣٣) «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا» (البقرة : ٢٢١).

ومنى ذلك أنه كما لئن المرأة المتروكة تابعة لبطها ، كذلك البكر تابعة للرجال المسؤولين من أسرهما. وليست هذه تبعية مصادرة لعدم انتمية لها في شأنها . بل ليراد بها أنه لا كان الرجل هو المسؤول عن حفظ النظام الاجتماعي من الغش والاختلال وسببته أخلاق الأسرة وشؤونها عن الفيتن الداخلية والخارجية ، فقد دُرس على المرأة .. حفظاً لهذا النظام - أن تطيع الرجل الذي هو مسؤول عنها، سواء كان ذلك الرجل بطلاً أو أباهاً أو أباها .

حقوق المرأة

وكذلك حينما سبَّح الإسلام بقوله : « مَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ » حقيقةً طبيعية ، فقد قرَّرَ منه على وجه الصحة واليقين أن للرجال عِلَمَين درجة. فهو يتعرف بالفرق الذي يوجد بين المرأة والرجل بدلالة علم الأحياء وعلم النفس ، وبرايعه ويبقى عليه تقديره الصحيح ، ثم يحدد وظائف الصنفين ودرجاتهما بحسب نوعية ذلك الفرق وكيفية.

ونأتي بهذا ذلك مسألة هامة هي تقرير حقوق المرأة . والسلام قد لاحظ في تقرير هذه الحقوق أموراً ثلاثة :

أولها منع الرجل أن يُسْمَى استعمال ماخوذ من صلاحيات الحكم والامر على الأسرة لاجل حفظ نظامها فحسب ويتخذها أداة لنظم المرأة ، حتى تنود علاقة التايح والتبوع بين المرأة والرجل كملاقة الخادم والمالك فضلاً .

ولثاني أنه يجب أن يتاح للمرأة كل الفوس التي تستطيع به أن تنمي كفاءتها ومواهبها للطورية ، في حدود النظم الاجتماعي ، بأكثر ما يمكنها ، وتقوم بتضييق من لسلل لتتبع التمدد على أحسن وجه ممكن .

والثالث أنه يجب أن يكون من الممكن الميسور لها أن تبلغ أعلى مدارج النجاح والرفي ، ويجب مع ذلك أن يكون كل رفقها ونجاحها من حيث هي امرأة ، إذ ليست من كرتها برجال من حقوقها الوجبة . وليس مما يفتخ التمدن أو المرأة نفسها أن تها وتمد لتتبع حياة الرجل ، ولاهي تستطيع أن تتج في ذلك النمط من الحياة .

فالذي قد منع الإسلام المرأة من الحقوق المدنية والاقتصادية الواسعة مراعيًا هذه الامور الثلاثة مراعاةً تامة وما خولها من درجات العز والكرامة المالية ، ثم منحها لها في أحكامه الحلقية والقانونية من الضمانات

الثابتة الدائمة لحفظ هذه الحقوق والدرجات ، لاشك انه لا يوجد لشك
ذلك نظير في أي نظام اجتماعي قديم أو جديد في العالم .

الحقوق الاقتصادية

إن أم وأزواج ما يتحقق به منزلة الانسان في المدين ، وما يحفظ به
الانسان منزلته تلك ، هو استحکام حالته الاقتصادية والحق أن جميع
القوانين في هذا العالم - ما خلا لإسلام - قد أضعت المرأة من الجبة
الاقتصادية ، وقد كان هذا المجر الاقتصادي في المرأة أكبر أسباب
عبوديتها . وأوددت أوروبا في العهد القريب أن تبدل هذه الحالة ،
ولكن بأن تجعل المرأة عضواً كاملاً في المجتمع . فادى الامر إلى مفسدة
أخرى أكبر من الاولى ، أما الاسلام فقد اتخذ بينها طريقاً وسطاً ، وذلك
أنه خول المرأة حقوقاً واسعة في الميراث . فهي رث أبها وزوجها وأولادها
وغیرهم من أفرادها (١) ثم جعل لها أن تأخذ من زوجها المهر - وكل
ما يجمع لديها من هذه الوسائل من الاموال - قد منحها هذا كل حقوق
الملكية والقبض والصرف ، ولم يميز لأبها أو زوجها أو أحد آخر أن

(١) قد جعل للمرأة في الميراث نصف حظ الرجل . والسبب فيه أن للمرأة خوف
الفقة والمهر التي ليست للرجل . ولا تحب فتنها عن زوجها صعب ، بل تحب كفايتها
على أميها أو أشبها أو أبها أو ولي لها آخر إذا كانت بكر أو أماً فلما كانت للمرأة
براء من تلك التبعات التي قد تكلف بها الرجل ، فمن الافضل أن لا يكون لها فيه
الميراث مثل صلب الرجل .

يتدخل في شيء منها . وفوق ذلك أنها إن كسبت ثروة بشئ من أموالها بالتجارة أو بغيرها وعملها الشخصي ، فهي مالكة لها ، أيضاً من كل لوجوه ومع هذا كله يجب على زوجها أن يؤدي إليها نفقتها في كل حال . . . ومما كانت تزوجة عليه من الثنى و الثروة ، فإن ذلك لا يبرئ زوجها من أداء نفقتها . وهكذا قد أحكمت في الاسلام حالة المرأة الاقتصادية إحصائياً ربة تكون به أصلح حالا من الرجل .

الحقوق التمريرية

١ - قد يحل للمرأة كل الحق لاختخاب زوجها ، ولا يجوز لأحد أن ينكحها بشر رضاها أو بدون إذنها . وإن هي تكلمت مسلماً حرراً بطلب حائرها ، فليس لأحد أن يمنعا من ذلك القيم إلا أن تختار نفسها رجلاً من طبقه لأشكافي سرتها في المكاة الاجتماعية ، فيحق لاولئها عندئذ أن يترضا على اختيارها .

٢ - وقد خولت المرأة حقوقاً واسعة في طلب الخلع والفسخ والتفريق بجزء زوجها إن كان بيضاً أو ظناً أو عنياً .

٣ - وقد أوصى الرجل بالتزام لباحة والحاملة الحسنة ، في استمهله السلطنة التي قد حمىها الاسلام له على المرأة . فيقول الله تعالى : «وَعَشِيرَتُهُمْ بِالْغُرُوفِ» (النساء : ١٩) « وَلَا تَكْسُواُ الْفَتَىٰ نَّيْتَسْكُمِ » (البقرة : ٢٣٧) . ومن أقوال النبي ﷺ : « خيركم خيركم نسائه وأطعمكم بأهلهم » وليس ما قيل في هذا الصدد هو من باب الوصايا

الأخلاقية فحسب بل الأمر أن الرجل إن ظلم وجار في استعمال تلك السلطة ، كان للمرأة أن تستعين عليه بالقانون .

٤ - قد جعل للأرملة والمطلقة والتي تُسج مكاحها بالقدون أو فرس فيها وبين زوجها ، حق السكح الثاني بلا قيد أو شرط وقد سرح بأنه لا يبقى عليها زوجها السابق أو لأحد من أقاربها من مسيل : بيد ذلك . وهذان الحقوق التي لم تعطها المرأة حتى في أكثر عائلات أوربة وأميركا إلى يومنا هذا .

٥ - قد أقيمت المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في القوانين المدنية والجنائية . ولا يفرق القانون الإسلامي بينها في حفظ الألقاب والأموال والأعراض .

تعليم المرأة

إن الإسلام لم يكتف بأن أجاز تعليم المرأة العلوم الدينية والمدنية ، بل هو قد صعد عليها وجعل تعليمها وتربيتها لازماً كازومه للرجال . فكانت النساء على عهد النبي ﷺ يتعلمن منه الدين والأخلاق كالرجال وكان النبي قد جعل لمن موعداً كن يضرته فيه لتعلم . ثم كانت أرواحه الملهيات ولا سيما عائشة رضي الله عنها مملات يأخذ عن الرجال كما تأخذ عن النساء . وكان كبار الصحابة والتابعين يلقون عن الحديث والتفسير والفقه ولم يقف هذا الأمر على الأحرار والأشراف وحدهم ، بل كان

الذي ﷺ أمر حتى بالإمام أن يُستثنى . فمن حديثه : أما رجل كات-
عقده وليلته فلها فأحسن تعليمها وألبسها أحسن ثيابها ، ثم اغتسلها ورتب وجه
فله أجران ^(١)

ويتضح من ذلك أن التعليم والتربية في دأبه لم يمتز في الإسلام بين
الرجل والمرأة ، ولكنه لا ريب يفرق بينهما من حيث نوعيته ، فأصبح
التعليم والتربية للمرأة من وجهة نظر الإسلام هو الذي يجعلها زوجة
مثالية وأماً وقوفاً وربة بيت هديرة وإذا كان مجال نشاط المرأة
هو البيت ، فيجب أن تعلم المرأة على وجه خاص ، نبت العلوم التي تجعلها
نافعة إلى أبعد حد ممكن في هذا المجال . وتلقم لها ، بهد ذلك ، تلك
العلوم التي تتم المرأة الإنسانية وتهدب من اخلاقه وتوسع من أفق نظره .
فمن الواجب على كل مسلمة أن تتجلى بهذه العلوم وهذه التربية . ثم إذا
كانت امرأة قد آتتها الله سبحانه ذلك عقلاً خصباً وفكر أعير عادي ، فسيبت
بنفسها إلى أن تتعلم ما عدا ذلك من العلوم والفنون ، فالإسلام لا يعرض
سبلها دونه مادامت لا تتعدى الحدود التي وضعا الشرع بُدث جنبها .

تحرير المرأة بالمعنى الصحيح (Emancipation)

هذا ما يشق بحق المرأة فحسب . ولكنه لا يقدر منه ذلك إلا حسب .
العلم الذي قد أولاه . لإسلام المرأة . فهذا تاريخ الاجتماع الانساني شاهد
كله بأن وجود المرأة في هذه الدنيا كان عنوان القوة والخيال والإتم .
فكان من العار والهجنة للأب أن تولد له بنت . وكانت غرايات المنطق تُمد

(١) البخاري : كتاب النكاح

عن القربان السانطة الرملة. وفي لغتنا الاردية لا تزال كلمتا (الجر) و(الخن) تستعملان إلى هذا اليوم عملي الشتم واسب، تبعاً لذلك التصور الجاهلي. وكثير من الامم رجع فيها وأد البسات قديماً من هذا المار^(١). وقد ظل الطماء وزعماء الديانات - دمج الجلاء - يستوثقون ويناقشون، على طول القرون، في أن المرأة هل هي إنسان أو غير انسان؟ وهل قد جباهة روعاً أم لا؟ وكانت القباية الهندكية قد سدّت أبواب تعليم (الويدي) على المرأة. والديانة البوذية لم يكن ميسبباً لتجاة لمن اتصل بامرأة. وأما النصرانية واليهودية، فكانت امرأة هي مصدر الاتم ومرجعه فيها. وكذلك اليونان لم يكن لثان الخدر عدم علم ولا حضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية، وكانت المرأة التي تمتع بسكن ذلك في المجتمع هي اوجسة ليس غير. وعلى مثله كانت الحال في الروم وفارس والصين ومصر وما عداها من مراكز الحضارة الانسانية. فكانت السويدية والحكومية والمثقت العام الذي كان قد لارم المرأة على طول القرون، قد عا من نفسها الشهور بالكرامة وعز النس. فكانت هي بنفسها قد نسبت ان لها في الدنيا حقاً تستحقه أو مكاة اجتماعية لها أن تمتع بها. بل كان الرجل يعد من حقته أن يعلم المرأة وهي تد من وجب أن تصير على مثله. وكان قد ركز في نفسها من شعور النبوية ما يحيلها تقتصر بأن تدعو نفسها (داسي)

(١) يذكر القرآن هذه العلة الجاهلية بأسلوبه البسيط: « وإذا بشر أحدكم بالأشئ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره. أجبكم على هون أم يدسه في التراب » (النحل: ٥٨ - ٥٩)

أي أمة زوجها ، وتؤمن ، (تجسروا) أي اتخذ المرأة زوجها ، ممدوداً لها وإلهاً (١) .

فالذي جاء وأحدث في هذه الأوضاع انقلاباً عظيماً ، لا من المحبة الفئوية واسمعية صاحب ، بل من المحبة العسكرية أيضاً ، هو الدين الإسلامي الحنيف . فهو الذي أصلح من عقلية الصنطين - الرجل والمرأة كليهما . ثم هو الذي بث في القطن الانساني تصور عز المرأة وكرامتها وحقوقها . فكل ما تسمع به اليوم من كلمات : حقوق المرأة وتطعيم الاثبات ونهضة النساء ، هو دوي لصدى الاسلام الاقلاي الذي صدم به النبي محمد ﷺ ، والذي يدس من مجرى الفكر الانساني الأبدي . فهذا النبي هو الذي علم الدنيا أن امرأة انسان كارجد . « خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَجُلًا وَنِسَاءً » (النساء : ١) وأنه لا فرق بين المرأة ورجل عند الله تعالى « لِرَجُلٍ نَحِيبٌ مِمَّا كَتَبْتُمْ وَأَلَيْسَ نَحِيبٌ مِمَّا كَتَبْتُمْ » (النساء : ٣٤) وأن درجات الارتقاء الروحي التي يستطيع أن يتأهلها الرجل بالآية والعمل الصالح ، هي ميسورة للمرأة أيضاً . وإذا كان الرجل يستطيع أن يرتقي إلى مقام (ابراهيم بن آدم) ، فلا شيء يمنع المرأة أيضاً من أن تلعب في الكمال الروحي مسرع (الزايدة البصرية) « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى . بِمَعْنَكُمْ مِنْ بَعْضٍ » .

(١) صورون من تصورات الخصب الهندي . والصلطحات معروفات فيه الى اليوم .

(آل عمران: ١٩٥) . «وَمَنْ يَحْتَمِلْ مِنْ الصَّلَاحَاتِ مِنْ ذَكَتَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُنْظَرُونَ نَقِيرًا» (النساء: ١٢٤) .

ثم إن محمداً ﷺ هو الذي نبّه الرجل ، وفي الوقت نفسه أشعر المرأة بأن المرأة على الرجل مثل ما للرجل على المرأة . «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي لَهُنَّ» (البقرة: ٢٢٨) وهو الذي أنبض المرأة من قرار القلة وأعاد ورقها إلى مقام العز . وهو الذي أكد الموالد بأن وجود الابنة في بيتك ليس بضرر أو عزة لك ، بل أنت إدريتها وعرفت لها حقها ، استحققت الحبة . فقد ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه » (١) . ومن أنبذ من البساتين بني ما حسن الدين ، كن له ستراً من النار » (٢) . وكذلك هو الذي علّم الزوج أن الزوجة الصالحة أكثر نعم الله عليك في هذه الدنيا . «خير منافع الدنيا المرأة الصالحة » (٣) «حبيب إليّ من الدنيا النساء والطيب ، وحملت قربة عيني في الصلاة » (٤) « ليس من منافع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة » (٥) . ثم هو الذي وصّى اليمين بأن أحرق خلق الله بأكرامه

(١) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب

(٢) مسلم : كتاب البر والصلة

(٣) للسيوطي : كتاب المكاشف

(٤) للسيوطي : كتاب عمدة النساء

(٥) ابن عابيه : كتاب المكاشف

وتنظيمه وحسن مدامته بعد الله والرسول هو أمه . و سأل رجل :
يا رسول الله من أسقى بحسن صحابي ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال :
أمك . قال ثم من قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك ^(١) . إن
الله حرّم عليك مقول الأمهات ^(٢) .

وأيضاً هذا النبي ﷺ هو الذي بين للإنسان أن شدة المواقف
ورقة الاحساس والتزوع إلى التطرف ، كل ذلك من فطرة المرأة التي قد
فطره الله عليها ، وليس ذلك بشار للأتوية بل هو ميزتها وجمالها . وكل
ما يمكن أن تصيه منها من تفكير فلسفي مجع به ، لا بأن تدعها على طريقتها
فذلك . وإذا حاولت أن تجعل حليتها مستقيمة كالرجل كسرتها . ه المرأة
كالضلع إن اقتها كسرتها . وإن استعنت بها ، ستمت بها وفيها عوج ^(٣) .

وكذلك فإن محمداً ﷺ هو المصلح الأول . وفي الحقيقة المصلح
الآخر . الذي بدل من عقلية الرجل ، بل من عقلية المرأة نفسها ، بالنسبة
للرأة ، وسأ فهم مكان عقليتهم الجاهلية عقلية متدلة صحيحة ،
لا تصدر عن المواقف ، بل تقوم على العلم والعقل المنض . ثم إنه ﷺ
ثم يكتم بالأصلاح الداخلي بين مهد لاسباب لمصعنة على حقوق المرأة ،
ومنع عدوان الرجال عمن بقوة القانون . وأحدث قنين من الوعي
ما يسرقن به حقوقن الشرعية ويستن بالقانون على الحفاظ عليها .

(١) البخاري : كتاب الادب

(٢) البخاري : كتاب الادب

(٣) البخاري : باب مداراة النساء

وفي ذات الشيء ﷺ كانت النساء قد وجدن لانتفنن نصير أمشعاً
ولهجاً كن يشكين إليه أدنى اعتداء الرجال عليهن بلا حرج .
وكان أرواحهن يحدون أن يدر منهم التهن ما يشكينه إلى النبي ، وقد
روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « كذا تنقي الكلام والانبساط
إلى نساءنا على عهد النبي ﷺ هبة أن ينزل فينا شيء » . فلما توفي النبي ﷺ
شككنا وانبعثنا » (٤٦) .

وقد ورد في سنن ابن ماجه أن كان النبي ﷺ قد أمر أن لا تصروا
إمام الله . فجاء عمر إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله : قد ذُرت
النساء على أرواحهن ، فرخص النبي في ضربهن وكان الرجال طائفاً كظفوا
النبت في أنفسهم ، فضربت ذلك اليوم سبعون امرأة في بيوتهن . فلما
كان الند اردحت النساء على باب النبي ﷺ ، فده الناس فضط : « لقد
طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة ، كل امرأة تشتكي زوجها ، فلا
تجدون أولئك خياركم » (٤٧) .

هذا الإصلاح الخلفي والقانوني هو الذي نالت المرأة بفضلها في المجتمع
الإسلامي مكانة سامية يخلو من نظيرها كل مجتمع آخر في هذا العالم .
فالمرأة المسلمة مسورة لها أن تسمى في النواحي المادية والفنية والروحية
[إلى أعلى مدرج المزايا ، التي يستطيع أن ينهها الرجل ، في الدين

(١) البتاري : جله الوصاة بالنساء

(٢) أبو داود وابن ماجه والدارمي

والدنيا . وليس كونها امرأة ليحول فيها وبين ثبوتها أي مرتبة من مراتب الشرف . وإن الدنيا تنضب وراء الاسلام في هذا الامر ، حتى في هذا القرن العشرين . ولم يرتق العكر الانساني بعد إلى ما ارتقى اليه الاسلام ، وكل ما قد أعطاه الغرب للمرأة لم يعله إياه من حيث هي امرأة ، بل كل ذلك بعد أن جردها من الطبع الانثوي ، وصيرها رجلاً أو شبه رجل . أما المرأة بذاتها ، فلا تزال في عينه خلقاً مهنياً في الحقيقة ، شأنها في عصور الجاهلية الاولى . فليس أزمة البيت وزوجة الرجل وأم الاولاد ومكلمة أخرى ليس للمرأة اباقية على طبيعتها وحقيقتها من عز أو شرف عنده حتى في هذا الزمن . ولما الشرف والكرامة كلها لذلك (الرجل) المؤث الذي يكون في بقية جسده امرأة وفي وضعية عقله وفكره رجلاً ، ويميل للتمدن والاجتماع عمل الرجال ، فيلجئ إليه ليس ذلك منهم تكريماً للأفئدة ، بل هو تكويم للوجوه . ومن البرهان الواضح على شعور المرأة النفسي في الغرب بنقصها وتخلفها (Inferiority Complex) أنها تلبس لباس الرجال بكل فخر على حين لا يخطر ببال أحد من الرجال أن يخرج من بيته في لباس المرأة . ومن السمة والعار عند ملايين للنساء أن تكون إحداهن زوجة ، بينما لا يفضّل رجل من كونه زوجاً ، وأن النساء يعتزون بممارسة أعمال الرجال ، ولا يعتز أحد من الرجال بأعمال نسوية خالصة كتدبير المنزل وتربية الأطفال . إنك من الحق الذي لا يمكن أن تردّ أو يكابر فيه أن الغرب لم يكرم المرأة من حيث هي امرأة .

وليس غير الاسلام هو الذي قد اكرمها وعظم شأنها وانما اياها موضعها
انطري ، ورفع بذلك مقام الاثوثة بالمنى الصحيح . فانتمدن لاسلامي
يصح كلا الصنفين موضعه الطبيعي - الرجل موضع الرجل والمرأة مكان
المرأة - ويستخدمه للأعمال التي قد أعدته الفطرة لها . ثم يهيء له فرص
التمزق والرق والتجاح على حد سواء واصماً لبقاء في مكانه . وذلك أن
الذكورة والاثوثة عند لاسلام من الاجزاء اللازمة للانسانية ، وسواء
أهميتها لصعير التمدن . وكل ما يؤيدان من الخدمات في دائرته ، هو مفيد
للتمدن على السواء ، وجدير بالتقدير نفسه . ولا فضيلة للذكورة ، ولا
ذل في لاثوثة . وكذا أن عز الرجل ورفقه ونجاحه ، هو في أن يبقى على
رجوليته ويقوم بواجبات الرجال ، كذلك عز المرأة ورفقها ونجاحها في
أن تظل امراً وتؤدي واجبات النساء . ومن شأن التمدن الصالح أن
يضع المرأة في دائرة عملها الطبيعية ثم يعطيها كل الحقوق ، ويكرمها وينظم
شأنها ويشجع مواهبها الكاملة بالترية والتمايم ويمنح أمامها سبل الرقي
والتجاح في دائرة عملها تلك .

التحفظات

هذه صيغة كاملة لنظام الاجتماع الاسلامي ، قدمرشناها في الصفحات الماضية . وهنا ، قبل أن يتقدم القارئ في البحث يتحسّن به أن يحدد النظر في الخصائص البارزة لهذه الصيغة ، لهما يرومه هذا النظام الاجتماعي :

١ - أن يظهر الوَسَط الاجتماعي من كل محرّكات الشهوة وعوامل إعرائها وتوجيهها بقدر الإمكان ، حتى يكون لقوى الإنسان الفكرية والجسدية أن تنشأ وترتقي في جوّ هاديّ مطهر ، ويمكنّ الانسان من أن يقوم بتصميمه من العمل لتسير التمدّن بقوة موعودة مدّخرة.

٢ - أن تكون اسلاقات الجنسية محدودة في دائرة الزواج أما خارج هذه الدائرة ، فلا يُسدّ فيه باب اغوضى لسلبية فحصب ، بل باب التروود الفكري أيضاً ما أمكن .

٣ - أن تكون دائرة عمل الرجل منفصلة عن دائرة عمل المرأة ويكلف كل منها بمجتمعات مدّنية مختلفة وفقاً لطبيعته ومقدرته الجسدية

والعملية . ثم تنظم علاقاتها تنظيماً يحيلها منه وتبين متساوين في حدود
الشرح . ولا يكون لأحد منها أن يتجاوز تلك الحدود ، فيتدخل في
شؤون الآخر .

٤ - أن تكون منزلة الرجل في الأسرة منزلة القوام ، ويكون
جميع أفراد الأسرة مطيعين لرب البيت .

٥ - وأن يتفتح كل من الرجل والمرأة لحقوق الإنسانية
الكاملة ، ويتاح له أحسن الفرص للتقدم والرفق ، بدون أن يتجاوز
الحدود المرسومة له في نظام الاجتماع .

وإن النظام الاجتماعي الذي قد شيدت أركانه على هذه السبعة ،
يحتاج إلى تعديلات تضمن لحياته البدء بخصائصه جلة . والذي يشتمل
الاسلام من هذه التعديلات ، هو من أنواع ثلاثة :

١ - إصلاح الباطن .

٢ - تويرين القويات .

٣ - انتداب الوفاية .

وهذه التعديلات الثلاثة قد اقتضت كلها مراعاة للاساليب الثامنة
لزوج النظام . لا تجري ومقاصده . فهي تحفظه وتقوي أمره بتفاعلها معاً .
بإصلاح الباطن يُربى الإنسان تربية تحمله على إملاعة هذا النظام

الاجتماعي من تلقاء نفسه ، سواء أكان هناك في خارجه قوة تتركه
على الإطاعة ، أم لم تكن .

وبقانون العقوبات ومبدأ الجرائم التي تقض هذا النظام
ويهدم أركانه .

ويأتد بير الوقاية تروج في الحياة الاجتماعية ندادات وطرق تطوّر
بيئة المجتمع من المنغريات لتتصمّم والمهرّ كانت غير الطبيعية . وتقلّل من
إمكان الموضى الجنسية إلى أبعد مدى . فالدن لا يتمّ لإصلاح وطنهم
بالعلم الحياتي ، ثم هم لا يضافون قانون العقوبات ، تقيم هذه الطرق
الاجتماعية في سبيلهم من العقبات ما يتصمّم عليهم الإقدام العملي على
القوض الجنسية ، برعم كونهم مبنيين . بها . ثم هذه الطرق هي التي تفرق
بين دائرتي من المرأة ورجل بالمثل ، وتقيم نظام لأسرة على صورتها
الاسلامية الصحيحة ، وتحتفظ على الحدود التي قد رسمها للتمييز بين
حياة النساء وحياة الرجال .

إصلاح الديّطن

إن الإطاعة في الاسلام قد بُنيت كلها على الايمان . فالذي يؤمن بالله
ويكتبه ورسله ، هو وحده المكلف في الحقيقة بأوامر الشرع ونواهيها .
ويكتفيه لحمله على اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، علمه بأن الله قد أمره
بكذا ، ونهاه عن كذا . فالرجل المؤمن إذا علم من كتاب الله ، أن الله

سبحانه ينهى عن الفحشاء والمنكر ، يقتضيه إيمانه أن يتجنبه ولا يعيل
إليه حتى في قلبه. وكذلك إذا علمت مؤمنة ما قدر قرّر لها الله ورسوله
من المنزلة في المجتمع ، فما يقتضيه إيمانها أن تقبل تلك المنزلة طائفة راضية
ولا تتمدّي حدودها ، وبذلك يتوقف اتباع المرء للإسلام اتباعاً
كاملاً صحيحاً في دائرة الأخلاق والاجتماع أيضاً ، كسائر شعوب الطبيعة ،
على الإيمان وحده . ومن هذا ترى الإسلام قبل أن يؤسس للناس في
الأجلان والاجتماع ، يدعوهم إلى الإيمان ويمنى بثنيته في قلوبهم .

وأما هذا هو التدبير الاسامي الذي يشجّه الإسلام لإصلاح الباطن
وهو لا يتسلّق بشؤون الأخلاق فصحب بل بال نظام الاسلامي بأجمه .
ثم إن الإسلام قد أخذ في دائرة الأخلاق على وجه متميز ، طريقة
للثروة والتبسيم جيداً حكيمة ورشيدة ، نذكرها فيما يلي بإيجاز :

المباد

قد ألمنا فيما سبق إلى أن ازدي ولسرقة والكذب وغيرهما من الما صي
التي يرتكبها الإنسان بدافع من الطبع الحيواني فيه ، كلها مخالفة للقطرة
الانسانية ، فيبصر عنها القرآن بكلمة (الشر) ومعناه : الشيء الذي يجعل
ولا يُعرف . فلما أراد تبسيسة تلك الاهدال كلها بالمتكر ما تشكره العطرة
الانسانية ولا تألفه. ومن الطاهر أنه إذا لم تكن تأتيا فطرة المرء ، وكان
المرء ، إذا يرتكبها باستيلاء الطبع الحيواني عليه ، وإكراهه

له على الامر ، فلا بد أن يكون في فطرة الانسان نفسه شيء قد أومأ
إليه الشرع الحكيم ، وحماه (الحياة) .

إن الحياة يُراد به في الاسلام ذلك الشعور من التجلل الذي يشعر
به الانسان في نفسه أمام فطرته وأمام الله تعالى حينما يبدل إلى منكر
وهذا الحياة هو القوة التي تكف الانسان عن الاندفاع عن الفجشاء
والفكر . فهو من ركب سيئة بدافع جبلته الحيوانية ، حر في نفسه هذا
الحية ونشئ عليه عيشه ، وجماع التسميم وتربية الخلقة في الاسلام أنه
يشمئ هذه التريزة المدفوعة في الفطرة الإنسانية ، فينذرها وينمها
بغذاء المم والقهم والشعور ، حتى يجعلها حاسة خلقة قوية ، يقبها في
نفس الانسان كالأمر وهذا ما فسره النبي ﷺ بقوله «ولكل دين خلق
وخلق الإسلام الحياة» ، تفسيراً مطبقاً . وهو أيضاً ما يؤيده الحديث
الذي قال فيه النبي ﷺ : « إذا لم تستح ، فاستع ماشيت ، ومعناه أنك إن
فقدت الحياة ، حلك الهوى . فدي مصدره الجبلية الحيوانية ، ولم يبد
المنكر في نظرك منكرًا .

والحياة الفطرية في الانسان كالوادة النهم لم تنفخ في قالب . فهو ،
وإن كان يتأفف من جميع المنكرات بالطنع ، إلا أنه لا فهم له ولا إدراك
فهو لا يعلم السبب لكرهيته لفعل منكر بعينه . وهذا الجهل يفسد فيه
شعور الكراهية ورويدا وريداً حتى يأخذ من في ارتكاب المنكر بدافع
الحيوانية وعلته عليه . وتكراره لارتكابه يطل فيه حاسة الحياة آخر

الأمر ، وعاية الخلق المخلقي في الاسلام رفع هذا الجبل والتمس من غريزة الحياة ، هو لا يبرئها فالتكرات الظاهرة البارزة لحسب ، بل يوضح لها أيضاً ميثاق التوبة والارادة والاماني المكتونة في ضعيف النفس ، ويثبتها إلى مفاسد كاد منها ، لكي تتركها كراهية بصيرة . وتأني بعد ذلك التربية الخلقية ، فتش في هذا الحياة المطال بالتعليم ، من قوة الحس وشدة أن لا يفتن عليه أدنى ميلان في نفس المرء إلى منكر ولا يتعصر في تنبيه النفس الانسانية عند أدنى ذلة في نيتها أو إرادتها .

وقد بلغ من سمة طلاق الحياة في التصايم الخلقية الاسلامية أن لا تنحرف منه شعبة من شعب الحياة . وقد استخدمه الاسلام حتى لإصلاح الاخلاق في شدة التمدن والاحتياج التي تتعلق بمجبة لانسان الجنسية ، فهو يلبه على أخفى مداحل الريبة في النص الانسانية ، ويجعله رقيباً عليها ، ولأن هذا المقام لا يتسع للسطو والتفصيل ، نكتفي ببيان الأمر بأمانة ممدودة .

فائنة القلوب

إن لقانوناً إلهياً يتعلق بحكم الزنى على الاتصال الحسدي لحسب ، ولكن نظام الاخلاق يد كل ميلان إلى الجنس المتخلف ، خارج دائرة الزواج ، في حكم الزنى من جهة اسية والارادة . فتتمتع العين بمجال الاجنبي وتلذذ السامع بحسن صوته وتلوي اللسان في عبادته ، وتتحرك الأقدام إلى لغاته كل أولئك من مقدسات الزنى بل هي زنى بسنه باعتبار معانيها وهذا الزنى المحنوي لا يمكن للقانون أن يؤاخذ عليه ، وإنما هو خائفة القلوب ، ولا يقع

عليها إلا رقيب الضمير . ويشير إلى هذا الحديث النبوي والكلمات الآتية:
 والميتان تريان وزفاها النظر ، واليدان تريان وزفاها ، البطش والرجلان
 تريان وزفاها المتني ، وزفا اللسان المتطلي ، والفم تفتني وتشتني ، والامرج
 يصدق ذلك كله أو يكذبه .

فتنة النظر

وأكبر خاتمة نفسية في النظر، ولذلك يؤخذ عليها القرآن والحديث
 قبل كل شيء : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتَّقُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
 وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . ذَلِكُمْ أَرَى لَكُمْ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
 يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّقْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
 وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » . (لور . ص ١٠٤) وفي الحديث: « ابن آدم !
 لك أول نظرة وإياك ، والثانية ^(١) وقال النبي ﷺ لملي كرم الله وجهه:
 « يا علي ! لا تشم النظرة انظره . فان لك الأولى وليس لك الآخرة ^(٢) ، وسأل
 جابر رضي الله عنه عن نظر الفجاجة ، فقال ﷺ : « وأصرف بصرك » . ^(٣)

غريزة التبرج والإظهار التزيين

ومن لواحق فتنة النظر هذه ما يجلب إلى المرأة أن ترى حسنها وجمالها

(١) الجفاس

(٢) أبو داود . جاب ما يؤمر به من غير البصر

(٣) أبو داود

وهذه الرغبة لا تكون جليلة بارزة أبداً . ولكن هذا النزوع إلى إظهار الزينة يمكن لا محالة في مطاوي النفس وهو الذي تظاهر آثاره في زينة القبايس وتجميل الشمر واختخاب الأزياء الرقيقة الجذابة ، وما إلى ذلك من الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها ، وقد عثر القرآن عن كل ذلك بمصطلح جامع هو (تبرج الجاهلية) . فكل زينة وكل تجميل تقصد به المرأة أن تجلو في عين الأجانب ، يطلق عليه (تبرج الجاهلية) حتى الفتاح الذي تستر به المرأة ، إن انتخب من الألوان البارقة والشكل الجذاب لكي تُلذ به أعين الماظرين ، فهو أيضاً من مظاهر كبرج الجاهلي . وليس في الامكان أن تضبط هذه أظواهر كلها بقانون ، بل الامر موكول في ذلك إلى ضمير المرأة نفسها فليها أن تحاسب نفسها وتخصص فيما ليلها . يمكن في مطاويها هذا النزوع إلى التبرج . فمن وجدته ، فهي لا ريب مخاطبة في الامر الإلهي : « وَلَا تَبْرُجْنَ تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » (الاحزاب : ٣٣) . وإن الزينة التي تجلو من كل فية فاسدة هي الزينة المبروعة في الاسلام . وأما التي نشوبها شائبة من فساد النية فهي زينة الجاهلية .

فتر السان :

ووكيل آخر لشيطان النفس هو المسانف ، وما أكثر الفتن التي يبيتها اللسان وينشرها . رجل وامرأة يتكلمان ، ولا يبدو في حديثهما ما يشكك أو يريب . ولكن خائفة القلوب قد سجلت الصوت رخصاً ، والتهجة مشوقة والحديث عذبا . ويشير اليه القرآن بقوله : « إِنَّ

اتَّعْتَبِرْنِ فَلَا تُخَفَّضْنَ بِالْقَوْلِ ۗ وَيَطْمَحُ الثَّانِي فِي قَتْلِ
مَرْحُومٍ. وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۗ (الاحزاب : ٣٢) . ثم هذه
الخاتمة التالية هي التي تلند بمحاكاة أحوال الناس في علاقاتهم الجنسية
المسرورة أو غير المسرورة ، كما تلند باستماعها ولأجل هذه اللغة تحملن.
قصص الحب والفرام من كل صحيح نظير وموشوعه وتسردي في الوادي
والجبال ، وتنتشر منها في المجتمع انتشار النار في الهشيم . فنبه القرآن
على هذا أيضاً بقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ
فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ »
(النور : ١٩) .

ولفتة السائل شعب أخرى متعددة ، وفي كل شبة منها تعمل خاتمة
من خواتم القلوب معها . وقد استقرأها الاسلام ونبه عليها . فليس للمرأة
أن تصف أحوال غيرها من النساء زوجها : « لَا تَبَايَسْ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ حَتَّى
تَصِفَ أَرْوَاجَهُنَّ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَىهَا » (١) . والمرأة والرجل كلاهما قد نهى عن
أن ينشر سره للناس ، لأن ذلك يشيع الفاحشة ويفري بها القلوب . (٢)
وإن أدرك الامام سهو في الصلاة ، أي وجب فيها تنبيه على شيء ،
فلى الرجل أن يقولوا : (سبحان الله) ولكن النساء أمرن بأن يصفقن
وليس لهن أن يجبرن بقول . (٣)

(١) الترمذي ، باب ما جاء في كراهية مباشرة المرأة بالمرأة .

(٢) أبو داود : باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابه أهله

(٣) أبو داود باب الصلوة في الصلاة . والبخاري : باب الصلوة في الصلاة .

فَتْنَةُ الصَّوْتِ

وردجا سكنت السنان ، وقالت حركات أخرى تؤثر في سمع السامع بصوتها ، وهذا أيضاً من باب فساد الحلية ، فيعنه الاسلام بقوله : « وَلَا يَصْهَرُ مِنْهَا بَارُ الْجُلَيْنِ » يُعَلِّمُ مَا يُخَفِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتَيْنِ » (التور : ٣١) .

فَتْنَةُ الطَّيِّبِ

والطيب أيضاً رسول من نفس شريفة إلى نفس شريفة أخرى ، وهو من اللطف وسائل الخاتبة والمراسلة ، تهافت به النظم الاخلاقية عامة ولكن النباه الاسلامي يبلغ من رقة الاحساس أن لا يجتهد حق هذا اللطيف اللطيف من عوامل الاغراء . فلا يصح للمرأة المصلحة أن تمر بالطريق أو تقتطع المجلس مستعمارة . لأنها وإن استترت جمالها وزينتها ، ينتشر عطرها في الجو ويمررك المواعظ . قال النبي ﷺ : « المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهي صدقة لزوجها » (١) . وقال عليه السلام : « إذا شهدت أحداً كن المسجد طيباً » (٢) . وطيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » (٣) .

(١) الترمذي . باب ما جاء في كراهية خروج المرأة

(٢) الموطأ وسنن .

(٣) الترمذي . باب ما جاء في طيب الرجال والنساء ، وأبو داود باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من أصابعه أمه .

فترة العري

إن التعبير النفسي الكامل الصحيح الذي قد عو به الإسلام هن غريزة الحياة الانساني في بابستر الموراث ، لا مثيل له في حضارة من حضارات العالم . ومن حال أرقى أهم الارض وأعلاها ثقافة ليوم - مع عنك غيرها - أن رجالها ولماها لا يتخرجون من كشف أي جزء من أجزاء جسمهم - و للباس تتقدم لجرده الزينة ، لا للستر ، ولكن الاسلام أكثر ما يحميه من الابس هو المستر دون الزينة - فهو يأمي الرجل والمرأة أن يسترأ من جسمها كل الاجزاء التي فيها جاذبية للصنف الآخر . والعري عند الاسلام من الوقاحة وسوء الادب الذي لا يكاد حياة بمعبر عليه بحال من الاحوال . وماذا يقال في الاجانب ، إن الاسلام لا يجب حق الزوجين أن يتجرد أحدهم أمام الآخر . وإذا أتى أحدكم أهله فليستر . ولا يتجردان كتحرد اميرين (١) . وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ » (٢) . وأفضل درجة من الحياء أن لا يرضى الاسلام للمرأة أن يتجرد حتى في خلوتها ، لأن الله أحق أن يستحي منه (٣) . وحده في الحديث : « إيتاكم وانتم عري » فإن معكم من لا يفارقكم الا عند المناظر وسين يقضي الرجل الى أهله فاستجبوا وأكرموا (٤) .

(١) ابن ماجة : باب البستر عند الجماع .

(٢) صحيح الترمذي : باب ما جاء في حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الترمذي : باب ما حلف لأمورة .

(٤) الترمذي : باب ما يه في الاستنار عند الجماع

وما القباس الذي يشق عن الجسم ويفضح أموراته ، بلباس في نظر الاسلام . قال رسول الله ﷺ : « نساء كاسيات عاريات مشيات مكافلات ، رؤوسهن كأشنة النخلة » لا يدخلن الجنة ولا يجدن . رجمها (١) .

ولا قصد في هذا المقام ستيعاب جميع الأحكام الواردة في هذا الباب . وإنما سقنا منها أمثلة معدودة ، ليتأملها القارئ ، ويتدبر منها مقياس الاسلام العالي للأخلاق ، وروحه الخلقى السامى . فالاسلام يريد أن يطهر جو المجتمع ويثبتته من كل مفرقات الفحشاء والمنكر . وهذه المفريات مصدرها جميعاً الباطن الانسانى ، فذلك نشأ جرائم على منكر وفاحشة . ومن هناك تبتدىء المخرجات الخفيفة التي ربما غفل عنها الانسان الجاهل زاعماً إلتها هتئات لا تضر ، ولكنها - في رأي الحكيم العليم - حيلة للسلل وأصل الامراض التي تدمر التمدن والأخلاق والاجتماع . ولذلك يُريد تعليم الخلقي الاسلامي أن يثبت في باطن الانسان شعوراً نفسياً ، من الحياء ، يكون من القوة والشدة بحيث يقدمه على محاسبة نفسه بنفسه على اقواله ، حتى إذا آتس في حياها أدنى ميل الى امتكر ، شبره نفسه . وقضى عليه بقوة إرادته .

قانون المقربات

إن المبدأ الرئيسى لقانون المقربات الاسلامي أن لا يشه المروء

(١) مسلم : باب النساء الكاسيات العاريات .

بوثاق السياسة إلا إذا ارتكبت بالفعل عملاً تخريباً للتمدين . فرداً فعل ، فلا ينبغي أن ينعوه ارتكاب المآثم واستمال العقوبات « بمعايته على ذلك عقاباً هيئاً » بل يجب أن يجعل الشرط اللازمة لاثبات الجرائم شديدة مستعصية (١) وأن يجنب الناس التعرض لمواخذة القانون ما أمكن (٢) . ولكنه إذا وقع أحدهم في بطلته ، وقامت السنة عليه ، فليعاقبن عقاباً لا يعجزه وحده عن إعادة تلك الجريمة ، بل يكون نكالا لألوف من أمثاله الذين ييلون إلى ارتكابها ، حتى يرهبوا ويجمعوا عنها . وذلك أن غاية القانون هي تطهير المجتمع من الجرائم ، لا تعويد الناس إيها ، ومعاقبتهم عليها مرة بعد أخرى .

والفيلتان اثنتان قد قررها الاسلام من الجرائم المستزمنة للعقوبة ،

حفظاً لنظام لاجتماعهما اثنتان : الزنى ولقذف .

عمر الزنى

قد ذكرناها سبق عن زنى ، أن هذه الصلة بمنجدة لا بمحطاة باللسان

(١) إن الشرط اللازمة لاثبات الجرائم في دين القواعد الاسلامي ، شديدة جداً على الموم . ولكن المراتب لاثبات جريمة الزنى قد جعلت أشد وأصعب من سائرهما فهدون الاسلامي يكفي مشاهدي اثنين للقضاء في عاسة شؤون الحياة . ولكنه يستلزم لاثبات الزنى أربعة شهود على الأقل .

(٢) من قول النبي صلى الله عليه وسلم : ادركوا اليهود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج ، فملوا عليه . عن الامام أبي حنيفة في المخرج من أن يعطى في القعدة . (انظر في : أبواب الحدود) .

في أسفل دركات الخلق . هالتي يرتكبها ، يبرهن أن نفسه قد غلبتها
 البهيمية 'كل الطلبة ، فهو لا يصلح لأن يعيش في المجتمع كمعزو صالح من
 أعضائه ، وهذه الفعلة من وجهة نظر الاجتماع من أكبر السيئات التي
 تأتي التمدن الانساني من التواضع . ولهذا قد قررنا الاسلام في نفسها
 جريمة تستلزم العقوبة « سواء أقتضت بها جريمة أخرى كالفساد
 والاكرام ، وللتعامل على حق الآخر ، أم لا . ولذا يأمر المرءان :
 « الزانية ' والزاني ، فاجتذوا كل واحد منها مائة جلدية ، ولا
 تأخذكم بها رافة ' في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .
 ولتشهد عذابها طائفة من المؤمنين » . (النور : ٢)

وقد كثير ما بين القانون الغربي والقانون الاسلامي من الاختلاف
 في هذا الباب ، فالقانون الغربي لا يعتبر الزنى في نفسه من الجرائم . وإنما
 يصير جريمة في عينه إذا كان إكراه ، أو إذا ارتكبه العامل بإمرأة
 في عقد رجل آخر . وبعبارة أخرى ليست الجريمة في القانون الغربي هي
 الزنى نفسه ، بل الجريمة هي الإكراه والاعتداء على حق الآخر ،
 بخلاف الاسلام ، فإن الزنى في قانونه جريمة في ذاته ، وتُصنف إليه
 جريمة أخرى ، إذا كان منه قسر وإكراه ، أو اعتداء على حقوق
 الآخرين . ولهذا الاختلاف الجوهري في النظريات ، يختلف القانونان في
 أساليبها في باب العقوبة . فالتقانون الغربي يكتفي بالحبس عقوبة للزنى بإمرأة
 ذات زوج ، فلا يعاقب عليها إلا بغيرم يؤدي إلى زوجها . وهذه العقوبة

ليس من شأنها أن تقمع الجريمة، بل هي حرة بأن تزيد النس جرافعة عليها
لأجل ذلك تجد بسيطة: انني إلى الزيادة والاعشار في الأضرار العامة بهذا
القانون . والقانون الاسلامي ، على عكس ذلك ، يعاقب على الزنى عقاباً
شديداً يطرأ المجتمع من هذه الجريمة ومرتكبها مدة طويلة من الزمن ،
فالأضرار التي حملت بقوة الاسلام لجريمة الزنى ، لم يعم فيها ارتكابها
قط . وذلك أن إقالة الحد على الحاني مرة واحدة ، تلقى في قلوب الأهلين
من الهبة والروعة مالا يسود منه أحدهم يجترى على الجريمة إلى سنين .
فكأنها محمية حراحيمة نفسية ، تجري على ذهن المائلين إلى الحرام ،
فنصلح بها نفوسهم من تقايا .

ولت الضمير النزي يشتر من عقوبة الجذلات المئة . والسبب في
ذلك لا يرجع إلى كونه لا يجب إيذاء الانسان في جسده . بل العيب
الحقيقي أنه لم تكتمل بعد نشأة شعوره الخفي . فهو بينا كان بعد الزنى
من قبل عيباً وهجنة ، إذا به الآن لا يعتبره إلا لعباً وسفوة ، يسل به
شخصان نفسيهما ساعة من الزمن . فهو يريد لذلك أن يسمح في هذا
العمل ولا يحاسب عليه ، إلا إذا أخل الزنى بحرية رجب آخر أو بحق
من حقوقه القانونية . وحتى عند حصول هذا لاحتلال لا يكون الزنى
عنده إلا من صدر الجرائم التي لا تاتر بها إلا حقوق شخص واحد ،
فيكتفي لمراقبة عليه بمقاب خفيف أو تفرير .
وبعيسى أنه من كان هذا نصوره للزنى فلا بد أن يرى حد المئة جليلة

عقوبة مثالة جداً لهذا العمل. ولكنه إذا ارتقى شعوره الخلقى والاجتماعى وعلم أن الرضى سواء كان بالرضى أو بالإكراه، وكان بامرأة متروجة أو باكره، حرية اجتماعية في كل حال تعود مشارها على المجتمع بأسرها فلا بد أن تتدخل نظريته في باب العقوبة، ويعترف بوجود صوت المجتمع من تلك المضار وبما أن العوامل المحركة للرء على فرضي متأسلة جداً في جيلته الحيوانية، وليس من الممكن قلع شأقتها بمجرد عقوبات الجس والفرم، فلا مندوحة لقمعه من استخدام التدابير الشديدة. وبما لا شك فيه أن وفاة ملايين من الناس بما لا يحصى من الضرر الخلقية والسرانية بإيذاء شخص أو شخصين إيذاء شديداً خير من رفع الادي عن الحياة ونريض الأمة كلها المضار لا تقصر ههنا، بل تورثها أجيال القادمة أيضاً بلا ذنب لها.

وهناك سبب آخر لا اعتبارم حد المثة جدلة من لمقوبات الطينة، يظن له المرء بسهولة إذ. أفهم نظره في أسس الحضرة الغربية. وذلك أن حضارة الغرب - كما أسلفنا - قد قامت على إعانة (الفرد) على (الجماعة). وتركبت عناصرها بتصور مغلو فيه للحقوق الفردية. لذلك سها كان من ظلم الفرد واضدائه على المجموع، فلا يتكروه أهل الغرب، بل يمتثلونه غالباً بطيبة نفس. ولكنه كلما امتدت إلى الفرد بد القانون حقاً لحقوق الجماعة، اقتشمت منه جثردم خوفاً وزعماً وأصبح كل تسعهم وتمسهم بحق الفرد دون الجماعة. ثم إن أبناء الجماعة

القوية - كاهل الجماعة في كل زمان - أنهم يهتمون بالخصوصيات
أكثر من اهتمامهم بالمعولات . ولهذا يستظفون الضر الذي ينال
الفرد لكونه مائلاً أمام أعينهم بصورة مريئة . ولكنهم لا يدركون
خطورة الضرر العظيم الذي يلحق المجتمع وأجياله القادمة جميعاً ،
على نطاق واسع لأنهم يكادون لا يحسون به لسعته وعنق آثامه .

مر القرف

ومثل مضار الزنى مضار القذف . فإن قذف عفيفة من النساء لا يجر
عليها وحدها سوء القالة والشبهة ، بل هو يشيع الفاحشة في المجتمع ،
ويشذ الملائق الزوجية ، وينشر المناوأة في الأسرة ، ويدخل الريبة في
الانساب ، ويدفع به شخص واحد عشرات من النعمى إلى اشتداد
ولحن عدداً من السنين ، بمجرد ما يفوه به من كلمة بهتان . لذلك يؤخذ
عنه التردد ، ويقرر له عقوبة شديدة ، **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ**
فَهُنَّ بَرَّاءٌ ۖ يَرْمِيَهُنَّ أَفْكٌ مِّنْ أَعْيُنِهِنَّ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنضَرِ اللَّهُ إِلَيْهِ
وَيَتَّبِعْهُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ الشَّهِيدُ ۚ أَتُحِبُّونَ أَن يَكُونَ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (النور: ٤)

التدابير الوقائية

وهكذا يأتي قانون القويات الاسلامي ، فيقعح - أولاً - الخلاعة
والفجور بقوته السياسية ، ويصون - ثانياً - الصالحين من أفراد المجتمع

من سوء مقال أهل الخطب . وإذا كان تعليم الإسلام الخلق يصلح المرء في بلده ، حتى لا ينشأ فيه ميل إلى الإثم والمصيبة ، وكان قانون العقوبات الإسلامي يصلحه من الخارج ، سكبت بالصف ما ينشأ في نفسه من زعات الفجور لنقص تربيته الخلقية ، وتجنح من أن تقتل من القوة إلى النفس فإن هناك بين هذين النوعين من التدابير ، تدابير أخرى قد اتخذها الإسلام ردها لتعليم الخلق لإصلاح الباطن ، وأصلح نظام الاجتماع بهذه التدابير إصلاحاً لا يذبح مواطن الضعف الخلقى ، التى تنبى في أفراد الجماعة لنقص تربيتهم ، تنمو وتتحول من القوة إلى الضعف . وذلك لكي تقوم في المجتمع بيئة تقبل من كل ما يثير في المرء زعات السوء ، وتتزه عن جميع المفريات ، وتقلل فيها أسباب القوض الجنسية إلى أبعد حد ممكن ، ويوسد باب جميع سوء السلوك الانساني التى قد تغل بنظام وتمتد . وهاتين فصل القول في كل واحد من هذه التدابير :

أعظم الباسى وسر المورثات

لست أول ما عني به الإسلام في سبيل إحكام الاجتماع هو إسكان المرأة ، وتأمين المورثات للرجال والنساء . وإن الحل الذى كانت عليه الجاهلية العربية في التأول بالمرء ، لا تختلف عنها حال الأمم المتهذبة الراقية اليوم استلاماً يذكر فكان رجالاً من العرب يتمرى بعضهم أمام

بعض بدون حياة أو تردد (١) . وكأولا لا يروى لزوم الاستدراك عند النقل أو قضاء الحاجة . وكأثنا يطوفون بالكعبة حراء ، ويستقدونه من أفضل العبادات (٢) . حتى التماس كن يشرعن عند الطواف (٣) . وكن يلبس في عامة الأحوال لباساً يكشف عن بعض الصدر وعن جانب من الذراعين والكشع والساقين (٤) ... وهي حالة توجد اليوم بينها في أوروبا وأمريكا وإلبان . وليس في أقطار الشرق أيضاً نظام اجتماعي - غير الاسلام - فشررت فيه حدود الكشف ولست على وجه الشدة والاهتمام .

ولفطن الاسلام النوع الانساني أول عرض في الحصار في هذا الباب بقوله : « يا أي كاذم قد أنزلنا تعبيكم لبساً يوازي سوا تعبيكم » (الأعراف : ٣٦) . ففرض بهذه الآية ستر ولا تغفروا حراء .

(١) قد أخرج مسلم في باب (الاعتناء بمسح البويرة) أنه أتت سورة بن حمزة بغير يمينه فلبس عليه لزار خفيف فاعل الزارة ، ومنه الخبر لا يستطيع أن يمشي حتى يبلغ به إلى موضع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رحم الله نوحك فعمله ولا تغفروا حراء .»

(٢) قد روي عن ابن عباس وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عباس وغيرهم أنهم قالوا : «كان رجال من العرب يطوفون بالبيت حراء» (ان كبير : ج ٢ ص ٢١٠)

(٣) قد جاء في كتاب التفسير في صحيح مسلم أن كانت المرأة تطوف بالبيت وهي مريضة ، فنزل من بين يدي تعواذاً لها من فرسها ونقول :

(اليوم ليس بيمه أو كاهه فا يدامسه فلا يحس)

وكان اعطاه الكسوة مثل هذه الساعة بعد من اليد .

(٤) انظر المصدر الكبير لفرازي ، الآية : « وأيضاً بغير من على حوبين »

«الجسم على كل رجل وامرأة . وشدد النبي ﷺ في النهي عن كشف
 العورة والنظر إليها . فقال : « ملعون من نظر إلى سواة أخيه » (١) .
 « لا ينظر الرجل إلى عورة امرئ ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة » (٢)
 « لأن آخر من السماء فأقطع نصيبين أحدهما إلي من أن أنظر إلى عورة
 أحد أو ينظر إلى عورتني » (٣) . « إنكم والشعري ، فزنت معكم من
 لا يعارقكم إلا عند المنيط وجن بفضي الرجل إلى أهله » (٤) . « إذا أتى
 أحدكم أهله فليستر ، ولا يتجردا تجرد المبرين » (٥) وخرج رسول
 الله ﷺ ذات مرة إلى إبل الصدقة فرأى راعيا تجرد في الشمس .
 فعزله وقال : « لا يعمل لنا من لا يحياء له » (٦) .

حرور العورة للرجال

وبجانب هذه الأحكام قرر الإسلام حدوداً متناهية لحرورات النساء
 والرجال ، والعورة في مصطلح الشرع هي ما يجب ستره من أعضاء الجسم
 فقرر ما بين السرّة والركبتين عورة الرجل ، وأمروا ألا يكشفوه
 لأحد ، ولا أن ينظروا إليه في غيرهم . عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي

(١) أحكام القرآن للربيع

(٢) أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي باب حرم النظر إلى العورات

(٣) المبسوط - كتاب الاستعصان

(٤) الترمذي - باب ما جاء في الأستر

(٥) ابن ماجه - باب الأستر عند الجماع

(٦) المبسوط - كتاب الاستعصان الجزء ١٠ - الصفحة ١٥٥

﴿١﴾ : وما فوق الركبتين من المورة وأسفل من السرة من احودة ﴿٢﴾ .
 وعودة الرجل ما بين سرتة إلى ركبته ﴿٣﴾ . عن أبي طالب عن النبي ﷺ :
 « لا تبرز غنذك ولا تنظر إلى غنذك حي ولا ميت » ﴿٤﴾ . وهذا الحكم عام
 لم يستثن منه إلا زوجة الرجل . فقد جاء في الحديث : « احفظ عورتك
 إلا من زوجتك أو مملكتك منك » . ﴿٥﴾

مدور العورة للنساء

أما حدود المورة للنساء فقد سجلت أوسع من مورة الرجال « امرئ
 " أن يحفي كل جسمه " غير الوجه واليدن " عن كل الناس " وفيهم
 آباؤهم وإخوانهم وسائر القاريين من المككور ولم يستثن من ذلك إلا
 أرواحين : « لا يجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها إلا
 إلى هذا » وقبض نصف الذراع « ﴿٦﴾ » الجارية إذا حاضت ، أم يصلح
 أن يرى منها إلا وجهها وبدها إلى المصلى « ﴿٧﴾ » . وعن عائشة رضي الله
 عنها قالت : « خرجت لأبي عبد الله لعقيل مزينة ، فكرهه النبي

(١) المدارطي

(٢) المدارطي والبيهي

(٣) أبو داود وابن ماجه

(٤) مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه

(٥) ابن جرير الطبري

(٦) أبو داود

ﷺ ، قلت : إنه ابن أخي يارسول الله فقال : « إذا عرقت المرأة ، لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها وإلا مادون هذا وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى » . (١) وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها آمنت زوج النبي ﷺ . فدخلت عليه ذات مرة في لباس رقيق يشف عن جسمها . فأمرض النبي عنها وقال : « يا أسماء ! إن المرأة إذا بلغت الحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفه » . (٢) ودخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة زوج النبي ﷺ ، وهي حفصة خمار رقيق ، فشفته عائشة وكسها خماراً غليظاً . (٣) وقال النبي ﷺ : « ولئن الله اكسايات الماريات ، وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال : لا تلبسوا النساء الكتان ولا القباطي . فإنها تصف ولا تشف » . (٤)

فيعلم من جميع هذه الروايات أن جسم المرأة كله ، إلا وجهها وبديها ، عورة يجب أن تستر حتى عن أدنى أفرادها في البيت . ولا يجوز لها أن تكشف عورتها على أحد غير زوجها سواء كان أباً أو أخاً أو

(١) ابن جرير الطبري

(٢) أبو داود مرسل

(٣) الموطأ للإمام مالك

(٤) أبسوط - كتاب الاستحسان

بن أخيها ، حتى ولا يحل لها أن تلبس لباساً وثيقاً يخشف عن عورتها أو يصفها .

على أن كل ماورد في هذا الباب من الأحكام ، هو للمرأة الشابة ، تستفد هذه الأحكام - في ستر العورة - منذ تقارب المرأة البلوغ ، وتبقى نافذة عليها مادامت فيها جدية جنسية فإذا تجاوزت المرأة ذلك العمر وتقدمت في السن ، فإنها لا يجب أن تخفف منها . في القرآن : « وَالتَّوَّاعِدُ مِنَ الْمَنَاسِكَةِ الَّتِي لَا يَرَجُونَ الْكَافَا ، فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُوا مِنْ ثِيَابِهِمْ غَيْرَ مُتَبَرِّجِينَ بِزِينَةٍ . وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ » (النور : ٣٠) وفي الآية تصريح بعلة التخفيف والمراد بعدم الرجاء في الكاح هو أن تبلغ المرأة عمراً تقف فيه الشهوة الجنسية ولا تبقى في المرأة جاذبية ، على أن الله تعالى قد آزر من يريد الحيلة أن لا يقصدن بوضع الثياب إبداء ريشتهن وأما إذا كان في نفس المرأة أثر من الشهوة الجنسية ، فلا يجوز لها أن تطلع القوب عن رأسها ، وهذا التخفيف للمجائز اللاتي يحملن تقدم السن في عى من كناية بلباسهن ، واللاتي يكاد لا ينتظر لهن أحد إلا ينتظر الإجلال والاحترام وأمدل هؤلاء لا جناح عليهن أن يملعن خمرهن في بيوتهن .

الاستئذان

والحد الآخر الذي قد وضعه الاسلام بهذا الصدد ، هو أنه قد

منع المذكور من أهل البيت أن يدخلوا البيوت بغير استئذان ، حتى لا يروا نساءهم في حال لا ينبغي لهم رؤيتهن فيها ، وإذا دخل الأهل الأوطان منكم الحرام فليستمنوا فربوا كما استئذنت الذين من قبلهم » (نور : ٥٩) . وقد أشير في هذه الآية أيضاً إلى علة الأمر ، وهي طوع الاطمان الحرام ، أي نشأة اشعور الحسني في نفوسهم . وإذا أدرك الأطفال هذه السن ، وقع عليهم تكليف هذا الحكم ، ولا يؤمر لطلبهم الإذن قبل ذلك .

وبحسب هذا ، أمر الأجانب ألا يدخلوا بيتاً إلا بإذن أهل البيت ، والذين آمنوا لا تذخروا بيوتكم بغير إذنهم ، حتى تستأمنوا وتؤسستموا على أهلها » . (النور : ٢٧) والقصد بذلك توسع الحد الفاصل بين دخل البيت وخارجه ، حتى يكون لنساء ورجال في حياتهم المنزلية في مأمن من غل الأجنبي . وهذه الأحكام ما كانت العرب تفهم حلها بأيدي دي يده ، وربما كانوا يتطاولون إلى البيوت من الخارج . ووقع ذلك فني ﷺ نفسه دث مرة ، إذ اطلع رجلاً من صحبه في حجر النبي ﷺ ، ومع النبي مدرى يحك به رأسه . فقال : لو أعم أنك تغل لطلعت به في عينك . إنا جعل الاستئذان من أجل البصر » (١) وأعلن النبي بعد ذلك : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنه ، فقد حل لهم أن يعقؤوا عينيه » (٢) . ثم أمر الرجال الأجانب ألا يدخلوا البيوت

(١) البخاري - كتاب الاستئذان

(٢) مسلم - باب تحريم النظر في بيت غيره

إذ سألوا أهباً شيئاً ، هل يسألون من وراء حجاب : « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » . فدلكنهم أنهن يفتلنكن ، وكننكن ، (الأحزاب : ٣٣) وفي هذا المقام أيضاً قد أشير إلى علة الحكيم بكاتب : « ذكركم أطهر قلوبكم وقلوبهم » ، فالقصد الرئيسي هو صوغ النساء والرجال من النزعات والحركات الشهوانية ، وما وضعت هذه الحدود والقيود ، لا منعا لاختلاط الرجال والنساء وارتفاع الكلفة فيما بينهم .

وهذه الأحكام لا تنصرف على الجانب وعدم ، بل يطالب بها أيضاً خدمة البيوت وحسنها . فقد جاء في الآثار أن فاطمة رضي الله عنها لما تناولت أحد ابنيها ، بدلاً أو أهدأ قال رأيت كذا ، أي لم يزوجها (١) . ومن المعلوم أن كلا منها كان خادماً حليماً لابي ﷺ ، وكان يعيش عنده كأحد أهله .

منع الفاحشة واللمس

ولقد كانت لذي قد وضعه الإسلام هو أنه لا يجوز لرجل أن يلمس امرأة إلا أن يكون زوجها ، ولا أن يمس جسمها ، وإن كان من أدنى أظفارها . عن عتبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « إنما تم والفحولة على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرايت الحميم ؟ قال : لا لمحو

(١) بكفة جع الكبير ج ٨ ص ٩٨ .

«الموت» (١) . وقال ﷺ : « لا تلجوا على المنيات ، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » (٢) . وعن عمرو بن العاص ، قال : « سأفارس رسول الله ﷺ أن ندخل على النساء بنير إذن روجين » (٣) وقال ﷺ : « لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على منية إلا ومعه رجل أو ائمان » (٤) .

ومثل هذه الأحكام قد وردت في اللس ، فقال النبي ﷺ : « من مس كف امرأة ليس منها بسبيل أو وضع على كفه حجرة يوم القيامة » (٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا جامع النساء ، يباهين كلاماً ، ولا يأخذ أيديهن في يده . فقلت : « لا والله ما كنت بهذه يد امرأة قط في الباهية ، يباهين إلا بقوله : قد بائنتك على ذلك » (٦) .

وعن أميمة بنت رقيقة قالت : « آتيت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار نباهيه ، فقلنا : يا رسول الله : ب، بك على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرقة ولا نزني ولا نأني مهتان نفتريه بين أيدينا ورجلتنا ، ولا نعصيك في معروف . قال : « فم استعلنن » وأطعنن . قالت : قلنا الله

(١) الترمذي : باب ما جاء في كراهية الدخول على المنيات ، ابن حبان ، باب لا يدخلون رجل امرأة إلا نحو محرم . مسلم : « منه يخرج الخلوة بالاحتبة » .

(٢) الترمذي : باب كراهية الدخول على المنيات .

(٣) الترمذي : باب في النهي عن الدخول على النساء إلا بإذن أزواجهن .

(٤) مسند : باب تحريم الخلوة بالاحتبة .

(٥) تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٩٨ .

(٦) البخاري : باب يمة النساء . ومسلم : باب يمة كريمة يمة النساء .

ورسوله أرحم بنا . هم نبيك يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ :
 وإني لأصابع النساء . إنا قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة (١) .

وهذه الأحكام أيضاً تخصّ الشباب من النساء . وأما المجازر التي
 قد ملّسَ في السنّ ، فتجوز الحلوّة بهنّ ولا يُنزع من لمسهنّ . . . ويروى
 عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يزور قبيلة كان قد ارتضع فيها ،
 فيصاح المجازر من تلك القبيلة . وقيل عن عبد الله بن الزبير رضي الله
 عنه أنه استأجر عجوراً ، فامرّضه وكانت تقبّل رجله وتعلي رأسه (٢) .
 وهذا الفرق الذي جعل بين المجازر والشباب يدنو بنفسه على أن المراد
 بكل هذه الأحكام هو أن يمنع بين الصنفين من الاختلاط ما قد يكون
 سبباً للمشقة .

الفرق بين محارم المرأة وغيرهم

هذه من الأحكام التي تتناول كل الرجال إلا زوج المرأة . سواء
 كانوا ذوي محرمها أم لا . فالمرأة لا يجوز لها أن تظهر عورتها لأحد منهم
 أي تكشف لهم عما سوى وجهها وبدنها من أجزاء كالأنف أو الأذن أو
 له أن يظهر عورته . أي يكشف ما بين سرته وركبته . لأحد . وجميع

(١) التلسمي : باب بية النساء وابن ماجه . باب بية النساء .

(٢) نسخة فتح المقيّد ج ٨ ص ٩٨ .

الرجال يحب عليهم الاستئذان قبل أن يدخلوا البيوت. ولا يجوز لأحدهم أن يخلو بامرأة أو يمس جسماً (١).

ثم يميز الإسلام بين محارم المرأة وغيرهم فقد فصل القول في القرآن والحديث عن مدارج الخربة والتبسط التي يجوز للمرأة أن تمتنع بها مع المحرم من رجال أسرتها ولا يجوز لها ذلك مع غيرهم من الرجال. وهذه هو الذي يُعبر عنه بالحجاب في عرف الناس.

(١) هناك فرق بين ذوي المحرم وغيرهم فمس جسم المرأة ، ذبوا للأخ أنه منك يد أخيه ويركبا حاية ، ويعني أنه لا يحل ذلك لأحد من الرجال الأجانب . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا احرقه من سحر « ياتق فاطمة رضي الله عنها ويقل رأسها ، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه يذو رأس عائشة رضي الله عنها

أحكام الحجاب

إن الآي القرآنية التي قد وردت فيها أحكام الحجاب مبرورة في مايلي .

«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ . إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا . وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ السَّائِعِينَ غَيْرِ أُولِي
 الْإِرْبَةِ مِنْ رِجَالٍ أَوْ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ
 يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ . وَلَا يُقْرَبْنَ
 بِأَرْجُلَيْهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَى مِنْ بَاطِنِهِنَّ .
 (النور : ٣٠ - ٣١)

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ الْبَشْرُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ .
 إِنْ انْتَفَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَنَعُ
 الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ . وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى . » (الأحزاب : ٣٢ - ٣٣)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ
 وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
 جَلَابِيبِهِنَّ . ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا
 يُؤْذِينَ . (الأحزاب : ٥٩)

تأمل هذه الآيات . فإن الرجال إنما أمروا بها بأن ينصتوا من أبصارهم ، ويحفظوا من لغواش اختلهم . ولكن النساء قد أمروا - كالرجال - بهذين الأمرين ، ولومين بعد ذلك بأمر مزينة في باب المباشرة والسلوك العملي ، مما يدل صريحاً على أنه لا يمكن إصباغة أخلاقهن المتأينة بنض البصر وحفظ الفروج ، بل لابد لقلت من ضوابط أخرى غير ذلك . ولترحم في هذا المقام إلى آثار النبي ﷺ وصحابه وشواتقهم ، لتتفأثر كيف يتدوا هذه الأحكام المتجسدة في المجتمع الإسلامي ، وماذا يستلطف من أقوالهم وأفعالهم من التفاصيل المتونة والمطوية لهذه الأحكام .

غض البصر

إن أول ما أمر به الرجال والنساء في هذا الباب هو التمسك من أبصارهم . وترجم كلمة غض البصر إلى لئنا الأردية عامة ، في خفض البصر وعدم رفعه من الأرض . ولكن ليس هذا مقصود الأمر الرباني بهذه الكلمة ، بل المقصود اجتناب ما قد عبس عنه في الحديث برفق النظر . فلهذا دبرية حول الاجتناب وزيته هو مبث الفتنة للرجال ، كما أن المصوح بالبصر إلى الاجانب من الرجال هو مصدر الفتنة للنساء ، هنا يصدر الفساد طبعاً وهدنة ، ولذلك قد سُدَّ بابُه أول ما سُدَّ من الاجواب ، وهذا هو المراد بنض النظر .

على أنه ظاهر أنه ما دام الإنسان ظاهراً عينيه في هذه الدنيا ، فلا بد أن يقع بصره على كل ما حوله من الأشياء ولاشك في . وليس في الامكان أن لا يرى الرجل امرأة أبداً ، ولا ترى المرأة رجلاً بحال . فتقول الشارع عليه السلام في مثل هذا تنظر : أنه إن وقع فجأة ، فلا إثم فيه . وإثماً المخطوئ أن يبعد المرء نظره إلى حيث يستأس الزينة والجمال ويجعله مرمى عينيه . عن جرير قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال : « أصرف بصرك » . (١) وعن بريدة : قال رسول الله ﷺ : « يا علي لا تتبع النظرة النظرة » . قلت : لك الأولى وليس لك الآخرة . (٢) وعن النبي ﷺ قال : « من نظر إلى عاصم امرأة أجنبية عن شهوة حسنة في عينيه إلا نكح يوم القيامة » (٣) .

على أنه قد يكون هناك من لاحايين ما يستدعي النظر إلى امرأة أجنبية . كأن ينظر الطبيب إلى مريضة ، أو ينظر القاضي إلى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو فريقاً في قضية ، أو تجلس امرأة في حريم أو تقع في جثة فتشرف على الفرقة ، أو يكون عرضها أو نفسها عرضة للخطر . ففي كل هذه الحالات يجوز النظر إلى عورة امرأة فضلاً عن وجهها ، ويجوز كذلك لمسها بل إن احتضانها أيضاً إذا كانت متمردة لا يحرق أو

(١) أبو داود وصححه من غير من غير .

(٢) عن المصنف .

(٣) الآلة : الرضا للذات .

(٤) تكملة فتح المديح ج ١ ص ٩٢ .

والفرق - ليس من الجائز غسب^١ ، بل هو واجب بالضرورة . وبأمر
التأخر في هذه الاحوال أن يُخصَّصَ امرؤٌ يُثبِّتُه من الفساد ما استطاع .
ولكنه إن اختلفت في نفسه حاجة من الشهوة ، تقتضى الطبع البشري
فيه ، فلا جناح عليه فيه ، لأن مثل هذا النظر وهذا لمس ، قد دعت
بالضرورة ، وليس في مكنته . لاسان منع مقتضيات افطرة طينة^(١) .

وكذلك النظر إلى الأجنبية ، بل إسفاف النظر إليها بقصد الخروج
بها ، ليس بجائز غصب ، بل هو مكذوب إلى في السنة ، وقد رأى النبي
ﷺ نفسه امرأة بهذا القصد . وعن اميرة بن شعبة أنه خطب امرأة
فقال النبي ﷺ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »^(٢) . وعن
سبل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ : فقالت يا رسول
الله جئت لأهب لك بضي . فنظر إليها رسول الله ﷺ ، فبعد النظر
إليها^(٣) . وعن أبي هريرة ، قال : كنت عند النبي ﷺ فأناه وجعل
عائشه أنه زوج امرأة من الأنصار . فقال له رسول الله ﷺ : أنظرت
إليها ؟ قال : لا . قال : فإذهب فنظر إليها ، قال في عين الأنصار

(١) راجع تفصيل هذا الموضوع تفسير الرازي الآية « قل للذين آمنوا من
أصدراهم » ، وحكم الفرك للخصاص في تفسير الآية المذكورة وتكملة فتح القدير -
حصل في الزمعة والنظر والغمس ، والناسوط - كتاب الاستمسان .

(٢) الترمذي - ما جاء في النظر إلى المخطوبة

(٣) البخاري - باب النظر إلى المرأة قبل التزويج

شيئا ١٩ . وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « إذا
 خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى
 نكاحها فليقبل » ٢٠

فيستلزم من التأمل في هذه الحالات الاستثنائية أنه ليس مقصود
 الشارع صبه السلام منع النظر مطلقاً ، بل المقصود سد خربة الفتنة ،
 ولذلك منع النظر الذي لا تدعو إليه حاجة ولا فيه لفتنة متقنة ، ثم
 فيه أسباب محرمة أترعات الشهوة في الإنسان .

وهذا الحكم موجه إلى الرجال وإلى النساء على حد سواء فقد
 أخرج الترمذي في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت عند رسول
 الله ﷺ وميمونة ٢١ . قالت : فبما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم ،
 قد سدى عليه ، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ : احتجبوا
 منه فقلت : يا رسول الله ! أليس هو أعمى ، لا يُبصرنا ولا يعرفنا ؟
 فقال رسول الله ﷺ : أعمى وإنه ! أليس تبصرونه ؟ ٢٢

على أن هناك فرقاً دقيقاً بين فحار المرأة إلى الرجل ونظر الرجل
 إلى النساء من حيث الخصائص النفسية لاهتفين . وذلك أن في طبيعة

(١) مسلم - باب لطلب من أراد نكاح امرأة إلى أن ينظر إلى وجهها

(٢) أبو داود - باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها

(٣) ولي رواية عائشة رضي الله عنها

(٤) الترمذي - باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال

فوجب الاقدام ، فهو إذا أحب شيئاً ، يسعى في إحرازه والوصول اليه .
ولكن في طبيعة المرأة التمتع واغرازه ، وهي سادمت على فطرتها لم تتسلخ
منها ، لا يمكن أن يكون فيها من الجراءة والوفادة والاقدام ما تقدم به
نفسها إلى شيء محرم وشجب به . وقد رأى اشرار عليه السلام هذا
الفرق بين طبعي الصنيتين . فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة إلى الاجنبي
تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى الاجنبية . وقد اشتر حديث عائشة
رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراه أم حبشة يجرهم في المسجد^(١)
فما يفيد أنه ليس تنظر النساء إلى الرجل بمحطور على الإطلاق . وإما
المكروه اجتمع النساء والرجال في مجلس وتحديد بعضهم إلى بعض ووضاً
لا يجوز من النظر ما يحذف منه الفتنة . فذلك الصحابي - ابن أم مكتوم -
الذي كان أمر النبي ﷺ زوجه أم سلمة بالاحتجاب منه ، أمر فاطمة
بث قيس بقضاء عدتها في بيته . وذلك أنه لما أطلقها زوجها أمرها برسول

(١) هذا الحديث قد أخرجه البخاري ومسلم وسنن أبي داود وأحمد عن عائشة رضي
الله عنها ، من طرق أربعة ، يزيد بعضهم على بعض . وقد ذهب بعضهم في تأويله إلى
أنه وقع حد في أيام كانت أم المؤمنين حديثة السن فيها ، وذلك قبل أن تقرأ آية
الاحتجاب . إلا أنه صرح ابن حبان أنه وقع ذلك حين قدم إلى المدينة وقد من العفة .
وكان قصوه سنة سبع من الهجرة . صحبها يدل عليه التبرع وعل هذا كانت عائشة
رضي الله عنها حينذاك بنت خمسة عشر أو ستة عشر ثم رواه البخاري أن كان النبي
صلى الله عليه وسلم يسترها برأته وهو بريءاً ذلك الحب . فيصح منه أن الحكم
بالاحتجاب كانت قد تركت حينئذ .

الله تعالى أن تمتد في بيت أم شريك الانصارية . ثم قال : « إن تلك امرأة يشاهدها أسجاني ، احتدي في بيت ابن أم مكتوم ، فانه رسد أعمى تضمن ثيابك » ^(١) فالقصور الحقيقى إذن من مثل هذه الاحكام هو التقيد من مطلق الفضة . ولذلك منع النبي فاطمة بنت قيس من أن تمسح في بيت كان إمكان لفظة فيه أكثر وأذن له أن قم حيث كان إمكانها آخر والمرأة لم يكن لها بد من بيت تقيم فيه . ولكنه نهى النساء أن يجتمعن برجل أجنبي ويرثه وجهاً لوجه حيث لا ضرورة تدعو إليه وتسلمه .

كل هذه المدارج من الاحكام صادرة عن الحكمة . ومن لؤي من البصر الباطن ما يترك به متعزى الشروع . يستطاع أن يفهم بكل سهولة أي المصالح بنيت عليها أحكام عصى البرء وعلى أي الامور يعم التشديد والتخفيف في هذه الاحكام اعتباراً لتلك المصالح . فالفقير الحقيقى عند الشارع عليه السلام إنما هو منع الناس من الفطرة الآفة ، وليس له على أعينهم من آثار . فان هذه الاعين ربه تطرت بأدى ذي بدء نظرات بريئة . وجاء شيطان النفس بحجج خادعة لتبررها وتاجي المرء أنه ليست نظراته تلك إلى اتقيد الحسان إلا "فوقاً للجهل قد أودعته الفطرة" ^(٢) . وإذا كان من المباح له أن يجتلي سائر مظاهر الجان الطيبي ويبد فيها لذة ظاهرة ، فأي جناح عليه أن يتبع نظره بروية

(١) مسلم وأبو داود

الجمال الالهي ويستمد منه لذة روحية. ولكن هذا الشيطان يخفي ربه في نفس الإنسان هذا التزوع إلى تمتع واللذة ، حتى يموت التذوق للجمال شوقاً إلى الوصال. ومن الذي يكابر في أن كل ما قد حصل في الدنيا إلى هذا اليوم ، ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور ، بأعته الاول الاعظم هو فتنة النظر هذه ؟ ومن ذا يدعي بصدق أنه يجد في نفسه رؤية اشباب والجمال في الصنف الخلف ما يجده برأى وردة في ثروش ؟ وإذا كان بين هذا وذاك فرق ، وكان لنظر إلى الجمال الانساني بخلاف النظر إلى الجمال الفلسي سميت الشهوة في النفوس ، فأسمي بحق لأحد التوفيق الضرورة الحرة في هذا النوع من التذوق للجمال مثل الحرية الخاصة في ذلك ، إن الشارع لا يريد أن يذهب عن نفوسكم هذا الذوق الجمالي ، وانه هو يقول لكم أن اختاروا لانفسكم زوجاً يسحبكم و يروقكم ، ثم اجمعوه وحدهم مركزاً لكل ما أوتيتم من هذا الذوق ومشبهوا به أنفسكم حسبما شتم ، ولا يقلوا منه إلى سواء تشبهونه بالمرء الرغيب فانكم إن قلتم تلزمتم بالفواحش . وإن لم تتعوث بأداس الفوضى لعملية تضبطكم نفوسكم ألواناً أخرى من حولكم ، لم تسعوا ولا شكم من ضلال الفكر وشروده ، فيضيق معظكم قوسكم من طريق نظركم . وتندس قلوبكم باللاف على كثير من الذنات الآفة التي تحجب فيها أمانكم ، وتقنن في حبال الهوى مبهدين ومبهدين ، وتقنن كثير من الهالي في الإفظة حاليين ، ثم تجدون فيه أنفسكم مثل لدغ الحية أو مثل

حر الحر من عشق كثير من النيد العائات ، ويضيق أكثر جويكم في
 خفقان القلب وهيجان الدم 1 . وما عشتك بهذه المسارة ، أتأبه هي ؟
 وهي لا تجرّها كل على نفسك إلا بصرفك النظر عن مركزه الشرعي .
 لما أجدرتك إذأ بأن تخذ من شروء باطريك وتحفر النظر بدون حاجة ،
 وتجنب النظرة التي تكون مقلنة العتة . أما إن كانت هناك ضرورة
 تستلزم هذه النظرة ، أو كانت فيها منفعة نتمدّن ، فهي مباحة على الرغم
 من إمكان الفتنة . وأما إذا لم يكن هناك ضرورة تدعو إلى النظر ، ولكن
 لم يكن فيه ما ينجي منه وقوع الفتنة ، فسدّئ يجوز نظر المرأة إلى
 الرجل ، ولا يجوز نظر الرجل إلى المرأة ، إلا أن يكون
 نظر ضجاعة .

منع إبراء الزينة ومروها

كان حكم غضّ البصر موجهاً إلى كلا العتقين - الرجل والمرأة - وهذا
 بعد ذلك أحكام تخصّ المرأة وحدها . وأولها أن تجتنب إبداء الزينة
 إلا في دائرة معينة .

وقبل أن يتأمّل القارئ مقاصد هذا الحكم وتقديره ، يجدر به أن
 يستعرض في ذهنه تلك الأحكام التي قد مرّت في باب اللباس وستر
 العورات . فكل جسم المرأة إلا وجهها ويديها عورة لا يحلّ لها كشفها

حتى لأبها أو عمّ، أو أخبها أو ابنها، ولا يجوز للمرأة أن تكشف عورتها حتى للمرأة مثلها^(١)، فإذا جعلت هذا جوعياً منك، فعدوك الآن حدود إبداء الزينة :

١ - قد أيسح المرأة أن تبدي زينتها للرجال الذي ذكرهم من أقاربها : الزوج والاب والحو (أبو الزوج) ولإبناه وأبناء الزوج، والاخت وأبناء الاخت.

٢ - وكذلك أيسح لها أن تبدي زينتها لما ملكت بين أي عبيدها وإمائتها .

٣ - وأيضاً يجوز لها أن تفرج في زينتها أمام من هو تابع لها وتحت سيطرتها من الرجال ، وليسوا بمن يلبون إلى النساء ميلاً شهوانياً^(٢).

(١) حرم على المرأة النظر إلى ما بين السرة والركبة من امرأة الأخرى ، كما أنه حرام على الرجل النظر إلى ذلك من آخر .

(٢) يكتب المحقق ابن كثير في تفسير الآية : « أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال » أي الأجراء والأبناء الذين لبسوا بأحكامهم وهم مع ذلك في عقولهم أولاد ، ولا هم لهم إلى النساء ولا يشتهونهم (تفسير ابن كثير ٤ : ٢٨٥)

وليس الميلاق إلى النساء في هؤلاء الرجال وجهاً : أولها أن يكونوا فاعلي الشهوة تماماً ، كالنرجس ، المسكين في السن ، أو صغاف الطول وإليه أو الخلفي بالشفقة . والثاني أن يكون الصورة والميل الطبيعي إلى النساء موجوداً جلياً ، وسكنهم لميلهم وخضوعهم لا يتبرؤون على أن يلقوا ميولهم الشهوانية بقاء البيت التي هم فيه خدمة أو أجراء لو دخلوا سائلين مستعدين . وكلا هذين التوقعين يدخل تحت حكم -

٤ - ولما أن تبدي زيتاً لاطفال لم يظفروا على عورات النساء ، أي
الاطفال الذين لم يثبت فيهم الشعور الجنسي .

٥ - ويجوز لها أن تخرج في زينتها لبنات جنسها من النساء . ولم يقل

«الناحية غير أولي الآربة من الرجال» ولكنه ما يجب ألا يصل عنه أن يكون جميع
انتمسالة هؤلاء الذين يؤخذ للنساء بإبدانه الزينة لهم ، متصفين بصفين حيا ولزما :
أولهما أن يكونوا نساءً قبيحت الذي يدخلون على نسائه . والثانية أن لا يكون من
المسكن ونوع الزينة الشهوانية في أنفسهم إلى نساء البيت . ولقوام الأسرة البشري
فكر الحاجين الذين قد أخذ لهم بالدخول على نسائه ، حل جمع فيهم طلة التي طلة في
بإبداء الأمر من كونهم غير أولي الآربة . وإن بدأ له منهم بعد الأول ما يبدل
على أن يغير من أولي الآربة بمعية الذي ذلك الأول ، وأوقع الشقاق في هذا الباب
أمر ذلك الخلل الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن بالدخول على نساء البيوت
ولكنه بعد أمر بها له منه «منه من دخول البيوت» إلى عام من المدينة . وبيان
ذلك أن كان في المدينة رجل غتت يدخل على نساء المؤمنين . وبينما هو يوماً قد
أم سلة رضى الله منها يكلم أخاه عبد الله ، إذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه
يقول له : إن فتح الله عليكم الطائف فعدوا ، هذا لك نادية تات غيلان التي ، فأنها
إذا اقتلت أقيمت بأرضهم وإذا أدبرت أدبرت ثلثان . ثم وصف عورتها بعد ذلك بكلمة جد
خبيثة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد غفلت النظر إليها يا عبد الله ! ثم قال
لأزواجه : ألا أرى هذا يعلم ما هذا فلا يدخلن عليكم هذا . فمحمود من البيوت .
ثم لم يكتب بذلك ، بل أسره بالمزوج من المدينة إلى المدينة . لأن الوصف الذي وصف
به عورة بنت غيلان ، أخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم أن النساء يتسلطن به خفته
وثأته ، كتيطن مع باب حسيب من النساء . وبذلك قطع هذا على أحوالهم
واسرارهم . ثم يصعب الرجاء وذلك بما يثني من الكثرة . [انظر هذه اليهود (تخرج
إلى غادو) كتاب أميلى - باب ما جاء في قوله تعالى غير أولي الآربة من الرجال] .

الله تعالى : (النساء) ، بل لآل (نسائهن) . وعظمي أن الراديين " النساء
 النفعيات ، أو اللاتي هن من قبيلتها أو قرابتها أو مابقتها . وأما من سواهن
 من عامة النساء اللاتي تكون فيهن على مجبولة الدل واليسارة ، وذات
 البرية والسحمة التبيحة ، فيخرجن عن مراد هذا الحكم ، لأن هؤلاء
 أيضاً قد يكن سبياً لفتنة ، ولهذا لا دخل لاسلمون بلاد الشام وجعلت
 لناؤهم يتخلطن بنساء النصارى واليهود ، كتب عمر رضي الله عنه إلى
 أبي عبيدة بن الجراح والي الشام : " ما بعد فقد بعني أن نساء من نساء
 الممسين يدخلن الحمامات وممن نساء أهل الكتاب . " منع ذلك وحل
 دونه ^(١) . وقد صرح ابن عباس رضي الله عنه أنه يس السلفة أن
 تنجرد بين نساء أهل الذممة . ولا أن تبدي للكارية إلا ما تبدي
 للإجانب ^(٢) . وهذا الحكم لا يقصد به التفريق بين النساء على اعتبار
 ديني . وإنما المقصود به صون المسلمات من مقاصد عشرة النساء اللاتي لا
 يعرف شيء من أخلاقهن وآدابهن . أو قد عرف منها مالا يرضي الإسلام .
 وأما الشريفات وذوات العفة والحياة من غير المسلمات ، فلا جرم أنهن
 يدخلن في حكم (نسائهن) من الآية المذكورة .

وبأما هذه الحدود يستنتج المرء أمرين اثنين :

أولها : أن تربية التي قد رخص للمرأة في إبدائها في دائرته مبيحة ،

(١) انظر تفسر ابن كثير لقراءة المذكورة .

(٢) التصر الكبير . الآية المذكورة .

هي ما سوى عورة المرأة . والمراد بها : لئس الحلي والتجشع باللباس ،
والشكج والتمصق وتحسين الشعر ، وما إليها من أنواع الزينة الأخرى
التي تختصها النساء عادة في البيوت لأقضاء أوقتهن .

ونكفي : أنه قد رخص لمن في إبداء مثل هذه الزينة إما لرجال
البيت الذين قد سرّحتهم الحرمة الأبدية عليهم ، أو لفتاين الذين ليس لهم
طمين شهوة ولا في أخلاقهم من ريبة . فلذلك من الشروط للداخلات
عليهن من النساء : أن يكن من (لسانين) ولداخلين عليهن من المطول
والاتباع أن يكونوا (غير أولي الإربة) وللاطفال أن يكونوا ممن (لم
يظهروا على عورات النساء) . مما يعلم منه أن مقصود الشارع هو تحديد
إبداء النساء زيتن في حقة لا بجنى فيها أن تبث زيتن وجاهن
عواطف سوء في القلوب أو تهيج أسبابا للقوض الجنسية .

وأما من هو خارج هذه الحقة من الرجال ، فقد ورد انتهى عن أن
يبدن لهم زيتن . بل قد حُظر عليهم حتى أن يضرن بأرجلهم في المني ،
لكي لا يظهر بالصوت ما خفي من زيتن ، فتوجه لانظار العين . وإن
الزينة التي قد أمرن بأحفاؤها عن الإجاب ، هي التي قد أديرهن إبداءها
في دائرة محدودة ذكرت آنفا . والمقصود بهذا كله واضح مستبين وهو
أن النساء إن ظهرن في زيتن وجهن على الذين بهن الشهوة الجنسية ،
ولم تحوّل الحرمة الأبدية دواعي هذه الشهوة فيهم إلى اسواطف لبرشة
المطبرة ، فلا بد أن يكون من عواقبه ما يقتضيه اعطع البشري . ولنا

قول إن إبداء النساء زينةهن على هذا النحو سيحصل من كل امرأة "هزة" ومن كل رجل "تأجراً"، إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكره أن في خروج النساء متبرجات، وفي حضورهن النوادي والحفلات ساعات مالا يعد ولا يحصى من خسائر نفسية ومادية ظاهرة وخفية وهذا هو ما يدين بديك مثل النساء الاوربيات والامريكيات اللاتي يملكن اليوم معظم دخل أو احسن في زينةهن، وإسرائيل هن هذا إلى الزيادة والتفاخر يوماً بعد يوم، حتى كادت تضيق منه وسائل رزقهن (١) فهل في رأيك من باعث لهذا الجنون إلا تلك المفزعات القشوقة التي تستقبل النساء المتبرجات في الاسواق واسكان وحفلات المجتمع؟ ثم تأمل ما هو السبب في انبعث هذا نشوق الغرط في النساء إلى التجمد والتأني، والتشدد بين كاشد البذاء ولوباء آليس هو حرصهن على أن يملحن في أعين الرجال ويعلن منهم موقع الاعجاب ولا يستحسان (٢)؟ ولهذا هذا كله؟ هل هي زينة بريئة متبرحة وهل ليس في مصايرها الشهوات الجنسية لطامعة التي تكاد تتجاوز حدودها الطبيعية وتنتشر، وتقاسمها في العنف الآخر شهوات مثله تريد

(١) قد احدث منذ عهد قريب مرض اصاعي الادوات الكهوية "وعل من ياتلث الاصطناعين فيه ان ساء اسكتلندا تنفق عشرين مليون جنيه، ولواء اميركا مائة وخمسة وعشرين مليون جنيه على أدوات زينة كل سنة، وان ٩٠ في المائتين من النساء قد تمردن يوماً من انواع الزخرفة والتجميل (Make up).

(٢) وقد بلغ من هيام النساء بتكليف هذا الخيال ان قد عدن زينةهن في سعيهن حتى اعطين، فاعية ما تشاء إلهامهن ان تكون هنياً خاصة لا لترك جسمهن مفضة =

أن تمسح لملابها. إنك إن أنكرت هذه الحقيقة فلنكافي بك تمسك غداً

— لم زائدة . وما من ثلاثة ايام إلا وهم أن يجبل قطع جسماً مطاباً لما قد قروه
الأخصايون من القياس (Measurements) للصدر والمخبر والركب والوركين .
كأن القنية لازمة لجلبها ناية ونمواً سوى أن نحو في عين الذكور . ولبعث هذه
القنية تصير مسكية ومحرم معها العداة التي لمسي . ولتقره بصير التيسون والقنوة
الارة وما شاكها من الاغذية الطيبة . ثم لتصل من القنابر بدون معورة طلب
على خلاف مشورته ما يزلها ويصرها . وقد غي ولا يزال يضي هذا الجنون بكثير
من النساء الى الهلاك . في يودايت ماتت للشنة الشهيرة (جوسي لابس) عام
١٩٣٧ . يولوف حركة فيها حياة . ودل التحقيق في امرها يد . اما كانت
لا تزال تعيش عيفة لافاة والدع مد أعوام . وكانت تفضل القنابر الموصلة
(Parent) لتخفيف الجسم . حتى خاب قواها فالت . وتوالت في يودايت عسبة
ثلاثة احيات من هذا السبل . إذ فعت (مايلا يوسيلي) التي كانت لسكال فيها
ثائمة الميت في الخبر ضحية لهذا اليوم . وحشد القنية (لوتشوايو) التي سارت
اعبها بصير القس . أن خرما حربية على المسرح وهي تكل أيام القنارة . وكانت
هذه تكل في حزن دائم على أن جسماً لا ينطق على القنابس المسربة لجمال
وسكانت تتخذ القنابر المصنعة على مشكلتها ذلك . حتى قصت من وزنها خمس ستين
وحمل . وكان من نتائج ان حطت عليها جداً . فسقطت رمية لسفاح الرجال وتبعتها في
ذلك ممتة أخرى ! أيولا ! بالمت في التحيف من جسماً بالقنابر المصنعة الى انه
أصبحت في عطفها بالليل القدام . فأخذت طريقها الى مستشفى القنابر هلالاً من مسه
المسرح . وهؤلاء إما كن من التخصيب الازرة . فقرأ أن أخبارهن في المراتك
ومن يقرى كآين . من القنوس المصورة يضي عليها أو غريب عنها هذا الجنون من
النس والنتان في عين الرجل ؟ ! نقل في ريك : من هذا كله حرية المرأة أو
عبوديتها ؟ وما منه الحرية الزائفة التي قد زادت من استيلاء أهوال الرجال على
ويظنن باستصدة قد حرم من الحرية حتى في الاكل والعرب والتمتع بالصحة
وعاشت كل حياتهن وميتن موصوداً به الاكل !

أن يكون هناك في جوف البركان الذي يصد منه البخار مادة ثارية
تكدت تفجر منه . إنك لا تسبح سر في عمرك ، غبار في تأخذ أو تترك .
ولكن ليس لك أن تسكر الحقائق . إن هذه الحقائق لم تعد خافية ، بل
أصبحت معلومة مسروقة ينتهبها التي تتجلى اليوم كالشمس ليس دونها
غمام . وقد يكون لك أن تقبض هذه النتائج لنفسك ، بشموه منك أو
عدم شموه ، ولكن لا سلام يريد أن يجد منتها في إثبات نشوئها . لأنه
لا ينحصر نظره في مبدأ إبداء القوة الذي يكون في ظاهره ، يرثى من
الربة ، بل يمتداه إلى منتها الذي لا يحلو من الرربة والفساد ، ويسم الختم
بمثل طلعة يوم القيامة . « مثل الزائدة في الزينة كمثل طلعة يوم القيامة
لا نور لها » (١)

وبينا ينهي القرآن عن إبداء الزينة للأحاف ، إذ يستحي منها (إلا ما ظهر
منها) . والمراد به الزينة التي تظهر بنفسها على الرغم من إرادة المرء . وقد
حاول خلق من أناس أن يستخرجوا من هذا الاستثناء كثيراً من الفوائد .
ولكن المشكلة أن هذه الكلمات لا تقسم لكل ما تشتهي أنفسهم ، لأنها إنما
يريد بها الشارع ، غطاءً للنساء ، أن لا يبدن زينتهن للأجانب عن قصد
وإرادة . وأما الذي يظهر منها بعد ذلك من نفسه أو يبقى ظاهراً للدواعي
الضرورة ، فلا جناح فيه عليهن . والمراد واضح كل لوضوح ، وهو
أن لا تكون زينتهن إبداء الزينة ولا يكون في أنفسهن أن تظهرن

(١) الترمذي - باب ما جاء في كراهية خروج النساء في الزينة .

عسكن على الأجانب ، أو أن تسلطهم إلى أنفسهم بوسواس الحيل الخفية ، إن لم يكن أكثر ، بل يجب أن يتمدد لإخفاء ريتكن ما وسكن الجهد ، ثم إن ظهر منها بعد ذلك شيء بداعي الضرورة ، فلا يؤخذ كن الله عليه . وذلك أن الثياب التي تستر بها ريتكن لا بد أن تظهر ، وتظهر فيها أيضاً فلتكن وهندسكن ، كما لا بد أن تصطرون إلى أن تكشفن يديكن أو جزءاً من أجسامكن لغناه حاجاتكن ، كذلك لا جناح فيه عليكن ، لأنكن لم تتعدته بل اضطرون عليه . وإن كان هنك من شياطين الإلس من يمتنع حق بهذا الجزء الصير الذي يظهر من ريتكن فلا تبالين به . إنه سيق وبال يتشه القاسدة بنفسه . أما أنت فقد قمين ، كان عليكن من واجب حفظ التمدن والأحلاق .

هذا هو المفهوم الصحيح لهذه الآية الكريمة . وإذا تأملت كل ما روي من الاختلاف بين المفسرين في هذا المفهوم علمت أن أقوالهم جميعاً لا تزيد على ما بينها من الخلاف . إلا ما قلناه آنفاً .

فقد ذهب ابن مسعود وأبراهيم التيمي والحسين البصري ، إلى أن المراد بالزينة الطاهرة هو الثياب التي تغطي بها الزينة الباطنة ، كالرداء والتقاب .

وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن عمر وأنس والضحاك ومسيب ابن جبير والأوزاعي ، وعمامة الخنثية أن المراد بها الوجه واليدان .

ويدخل في هذا الاستثناء أيضاً ما كان من القرينة في وجه المرأة ويدعاه
ككحل العين وخضاب الكف والحاتم .

وعن سعيد بن المسيب قال : وحسبها عتاً (ظهر منها) ويروى عن
الحسن البصري قول يؤيده .

وتقبل عائشة زوج النبي ﷺ إلى إطفاء الوجه . فذهب إلى أنه
المراد بالزينة الظاهرة هو الميادان وما فيها من الزينة كالخشب والفتحة .

ويُصبح مسوّر بن غزمية وفائدة كشف اليدين يزيتها كالغواتيم
والقالبين أو السوارين . ولكنه يفهم من أقوالها في باب الوجه أنها
لا يشجوز أن لا تكشف اليدين منه (١) .

وتدبر حقيقة هذا الاختلاف بين المفسرين إن هؤلاء جميعاً قد فهموا
من قول (إلا ما ظهر منها) أن الله تعالى قد أمّح للمرأة إبداء زينة تظهر
على الرغم من إرادتها ، وتدعو اضرورة إلى إبدائها . أما أن تعرض
المرأة وجهها ويدعاه عرضاً يستعمل الانظار ، فلم يرده أحد منهم . وإغنا
كلهم قد اجتهد أن يفهم ، حسباً لوقت من انهم وحسباً لارتداء من حاجات
النساء ؛ أي شيء تدعو الحاجة إلى كشفه وإلى أي حد تستلزم كشفه ؟
وأي شيء قد يظهر بالضرورة أو هو بوضر أبدأ في عامة الأحوال ؛ وبموجب دلالة
أدلى برآءة في تفسير الآية . على أننا نقول في هذا المقام أن لا نقصدوا استثناء (إلا

(١) كل هذه الأقوال بدلت من نصيب ابن جرير الطبري وأحكامهم لأن اجسامهم

ما ظهر منها) بأمر من تلك الأمور ، بل دعوا المرأة المؤمنة التي تريد أن تتبع أحكام الله تعالى ورسوله ، ولا ترضى الوقوع في الفتنة ، تتحكم بنفسها بحسب أحوالها وحوائجها : هل تكشف الوجه أم تستره ؟ وإن كشفت في بعض الحالات ، متى تكشفه ومتى لا تكشفه ؟ ثم أي جزء منه تكشفه وأي جزء تخفيه ؟ إن الشارع لم يردعه في هذا الباب أحكام فاطمة صريحة . ولا من مقتضى الحكمة ، نظراً لاختلاف الأحوال والحاجات ، أن توسع فيه أحكام فاطمة متصلة ، وذلك أن المرأة التي تضطر إلى الخروج لبعض شؤونها ولعمل خارج بيتها ، لا بد أن تحملها الضرورة على كشف اليدين وكشف الوجه أيضاً . ومثل هذه المرأة قد رخص لها في الأمر حسب ما تستوجب حاجتها وضرورتها . وأما المرأة التي ليس بها شيء من تلك الحاجات ، فلا يصح لها أن تكشف شيئاً منها عمداً ، إلا حاجة .

فقصود الشارع إذاً أنه إن كشفت المرأة شيئاً من نفسها إظهاراً لحسنها وجمالها ، فهو إثم . وإن ظهر منها شيء بنفسه بدون أن تستعمل إظهاره ، فلا جناح فيه عليها ، وإن دعت الحاجة الحقيقية إلى كشف شيء ، هائز ومباح كشفه ، وأما السؤال عن الوجه على الأخص ، - مصروف النظر عن اختلاف الأحوال - هل يجب للشارع كشفه أو لا يجب ؟ وهل يجوز إبداءه كضرورة لا ممانع منها ، أم ليس الوجه عنده مما يجب

إخفاقه من الأجانب ؟ نهدي في كل هذه الأسئلة آية الحجب .آية
من سورة الأحزاب :

حكم الوم

وَلَا يَجْرِي فِيهِ بَأْسٌ لِّمَا نَسُوا ، قُلْ لَا تَزِرُ وَازِرَتُكَ وِزْرَتَكَ وَيَسِّرْ
الْمُؤْمِنِينَ ، يُدْعَيْنَ عَلَيْكَ مِنْ جَلِيلٍ يُحِبُّونَ ذَرِكْ أَذَىٰ أَنْ
يُعْرِضَ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ (الأحزاب : ٥٩) فهي تركه خاصة في ستر
الوجه .(الجلاب) جمع جلباب وهو الثوب الواسع أو الحمار أو الرداء .
(يُدْعَيْنَ) أي يرحلن . معنى الآية بالحرف : أن يرحلن جانباً من
خمرهن أو ثيابهن على أنفسهن . وهذا هو المصباح من (ضرب الحمار على
الوجه) والقصود به ستر الوجه وخفاؤه ، سواء كان يستر الحمار أو
جلبس الثياب ، أو بطريقة أخرى غير . وقد ذكرت الآية من مصالحه
أن المسلمات إذا خرجن من بيوتهن مستورات على هذا النحو ، على أهل
الرية من الناس أنهن شريفات ، لا إماء ولا متبذلات ، هم يشرعن
لهن منهم أحد .

وجميع المفسرين قد ذهبوا بهذا المذهب في تفسير هذه الآية . فيروى
عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : « أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن
من بيوتهن في حاجة أن يضلين وجوههن من فوق بالجلاب » (١) وعن

(١) تفسير ابن جرير الطبري - ج ٢٢ / ٢٩

ابن سبرين قال : « سألت عبيدة بن سفيان بن الخارث الحصري عن قوله تعالى : « قُلْ لَأَرْوِاجُكَ وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ بِذُنُوبِهِمْ عَطَيْنَ مِنْ جَلِيلٍ » . قال فقال بثوبه ، فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه » .^(١) ويقول العلامة ابن حجر الطبري في تفسير هذه الآية : « يا أيها النبي قل لأرواجك وبناك ونساء المؤمنين لا تشبهن بلاماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن يدين عليهن من جلابيبهن ثلثا يحرصن عن فاسد إذا علم أنهن حرر ، فأذى من قول » .^(٢) ويكتب العلامة أبو بكر الجصاص : « في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الاجنبيين وإظهار السرة واستفاف عند الخروج ثلثا » .^(٣) وعن العلامة التيسابوري في تفسير هذه الآية : كانت النساء في أول الإسلام على عاداتهن في الجاهلية مثبذلات يبرزن في دوح وخمار من غير فصل بين الحرمة والأمة . فأمرن بلبس الأردية وستر الرأس والحواء . (ذلك) الإبداء (أدنى) وأقرب إلى (أن يبرفن) أنهن حرائر ، أو أمهات لسن برانيات ، فإن التي ستورت وجهها أولى بأنت تستر عورتها .^(٤) ويكتب الامام فخر الدين الرازي :

(١) تفسير الطبري ٢/٢٩٤ أحكام القرآن للجصاص - ٢/٢٧٢

(٢) تفسير الطبري - ٢/٢٩٤

(٣) أحكام القرآن - ٢/٤٠٨

(٤) تفسير خزانة القرآن على حاشية ابن حجر الطبري ج ٢/٢٧٢

« وكان في الحاهلية يخرج الحرمة والامة مكشوفات بشبهين الزئفة وتقع
 عليهم . فأمر الله الحرائر بالتجليب . وقوله تعالى (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أُمَّتٍ)
 يُعْرَضُ كَلَا يُؤْذِنُ (قيل يُعْرَضُ أَنَّهُنَّ حَرَّائِرٌ فَلَا يُشَبِّهُنَّ . ويمكن
 أَنْ يَتَلَّحَّ : المراد يُعْرَضُ أَنَّهُنَّ لَا يُزْنَيْنَّ . لأنَّ مَنْ تَسَرَّ وَجْهًا مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ
 بِمُورَةٍ (١) ، لَا يَطْمَعُ فِيهَا أَنَّهُ تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا فَيُفْرَسُ أَنَّهَا مُسْتَوْرَاتٌ
 لَا يُمْكِنُ طَلَبُ الزَّوْنِ مِنْهُنَّ » . (٢) وَيَكْتَبُ الْقَاضِي الْبُخَارِيُّ : « دِمْدَمٌ
 «طَبِيعٌ» مِنْ «جَلَابِيطٍ» : أَيُّ يَتَطَبَّعُ وَجْهَهُنَّ وَأَعْيُنَهُنَّ بِالْحُفْنِ ،
 إِذَا بَرَزْنَ لِحُجَّةٍ . وَ (مِنْ) تَنْبِيضٌ . فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تُرْسِي بِمَنْ جَلَبَا
 وَتَنْفَعُ بِيَمِينِ . ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَضُ : يُعْرَضُ مِنْ الْأَمَاءِ وَالْقَبَائِلِ ،
 فَلَا يُؤْذِنُ : فَلَا يُؤْذِنُ أَهْلَ الرِّبَةِ بِالْعُرْضِ لَهُنَّ » (٣) .

وَيُشْتَقُّ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ جَمِيعًا أَنَّهُ مِنْ لَدُنْ عَصْرِ الصَّعَادَةِ الْجَمْعُ
 إِلَى الْقُرْنِ الثَّانِي مِنَ الْهَجْرَةِ حَمَلُ جَمِيعِ أَهْلِ الدِّينِ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى مَعْنَوْهَا وَاحِدًا ،
 هُوَ الَّذِي قَدْ قُبِلَتْ مِنْ كَلَامِهَا . وَإِذَا رَجَعْنَا بِهِ ذَلِكَ إِلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ
 وَالْآثَرِ ، عَلِمْنَا مِنْهَا أَيْضًا أَنَّ التَّسَاءُلَ قَدْ شَرَعَ لِبَسْنِ الْقَابِ عَلَى الْمَعْمُومِ ،
 بِحَدِّ زَوَالِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْعِدَالَةِ النَّبَوِيِّ . وَكَانَ لَا يَنْفَرُ مِنْ مَدْفَرَاتٍ . فَقَدْ
 جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالْمَوْطَأِ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ

(١) «البقرة» في المصطلح الإسلامي ما يجب ستره من الجسم على كل رجل . و
 إستره غير الروح ، الروح ، نفسا . نفسا لستره والركبة من الرجل أيضا حورة
 بهذا المعنى .

(٢) الفقيه الكبير الرازي - ج ٩/٦ .

(٣) تفسير البخاري ج ١٦٨/٤ .

الاحاديث أن كان النبي ﷺ قد أمر أن « الحرمة لا تنقب ولا تلبس القفازين » ، و « نهى النساء في إحرامهن عن القفازين والثياب » ، وهذا حرج الحلالة على أن النساء في عهد النبوة قد نزعن الثياب وليس القفازين عامة ، فمنه عنه في الاحرام . ولم يكن المقصود بهذا الحرج أن تعرض الوجوه في موسم الحج مرساة ، بل كان المقصود في الحقيقة أن لا يكون القناع جزءاً من هيئة الاحرام المتواصلة كما يكون جزءاً من لباسهن عادة ، فقد ورد في الاحاديث الاخرى تصريح بأن أزواج النبي ﷺ و « عامة المسلمات كن يجهن وجوههن عن الاجانب في حالة إحرامهن أيضاً » ، في « ابن ابي داود » عن عائشة قالت : « كان الركبان يبرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات ، فإذا حاروا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزة كشفناه » (١) ، وفي الموطأ للإمام مالك : « عن فاطمة بنت المنذر قالت : كنا نخرجن وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فلا تنكركه علينا » (٢) وقد ورد في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها : « تصدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها » (٣) .

الثياب

وكل من تأمل حكميات الآية وما غيرها به أهل التفسير في جميع

(١) أبو داود - باب في الحرمة تنبلي وجهها .

(٢) الموطأ - باب تغبير الحرم وجهه

(٣) فتح الباري - كتاب الحج

الازمان بالاتفاق ، وما تامل عليه الناس على عبد الله ﷺ ، لم ير فيه الا امر عيالا لا وجود بأن امرها انصرع الاسلامي بستر وجهه عن الاجانب ، ما زال العمل جارياً عليه منذ عهد النبي ﷺ إلى هذه اليوم . وأن النقاب بما قد اقترحه القرآن نفسه من حيث حقيقته ومعناه وإن لم يصلح عليه لفظاً ، وكانت نساء المسلمين قد اتخذته جزءاً من لبسهن لخارج البيت ، بمرأى من الذات النبوية التي نزل عليها القرآن ، وكان يسمى نقاباً في ذلك العهد أيضاً .

نم : هو هذا النقاب (Veil) الذي تده أوروبية غالبة في الشرق والشمع . ويكاد الضمير الغربي يمتدح حتى من تصوره ، ويشير المزيون عنوانه العلم وسيا الوحشية وضيق الفكر . وهو أول ما يقدر عليه الخنصر إذا ذكرت أمة شرقية بلهالة والتخلف في طريق التقدم . وأما اذا وصفت أمة في الشرق بكونها سائرة في طريق الحضارة والتقدم ، فأول ما يذكر من شواهد بكل تبجح واختصار ، هو كون (النقاب) قد رال عن هذه الامة أو كاد ؛ ولذا نلزمكم يا أصحابنا المتجددين المسترئين إذا تبين لكم أن هذا شيء لم يخترع بعد زمان النبي بل نسج يردته القرآن نفسه ، وروجه النبي ﷺ في أمته في حياته . على أن شعورك بمسألة الحزبي وإطرائكم بالدائمة والحيليل ليس بتأفكم شيئاً ، لأن التهمة إن أخذت رأساً في اتراب لرؤية الصائد ، فانه لا يطرد عنها الصائد ولا

بني وجوده ، كذلك إن أشعث بوجوهكم عن الحقيقة ، لم تبطل بهـ
الحقيقة الثابتة ولم نخع آية القرآن ، وإن حاولتم أن تكسوها هذه الوصفة
- كما تزعمها - في تمدنكم من وراء حجب التأويل ، لم يزيدوها إلا وضوحاً
وجلاء . وإذا كنتم قد قررت هذا النقاب عاراً على أنفسكم وشناراً ، بمد
إيمانكم بوحى الغرب ، فليس إلى غسله عن أنفسكم من سبيل غير أن
تعلنوا براءتكم من الدين لاسلامى الذى يأمر بالاشياء السمجة البشعة
كليس النقاب وإسدال الحمار وسر الوجوه . إنكم تقوم تشيدون الرقي
وتطلعون الحضارة فأنى لدين يمنع ذات الخدر أن تكون عطر المجالس ،
ويوسى بالمعة والحياء والاستحباب ، ومنى ربة البيت أن تكون فرقة بين
نكل غد ورائع ... أنى لدين مثل هذا أن يصلح في رأيكم للاتباع ؟
وأن هو من الرقي ؟ ومن التهذب والحضارة ؟ وإنما الرقي والحضارة
يقتضيان الآكسة - إذا هت بالخروج من بيتها - أن تنفض يديها من كل
عمل قبل ساعتين من موعد الخروج ، تنفرخ فيها إلى زيتها وتجميلها -
تضعف الجسم كله بالطيب ، وتلبس الملابس الجذابة الاخاذ ، وتبيض الوجه
والدراعين بأنواع السابون ، وتلون الشفتين بقلم الدهان الاحمر Lip Stick
وتسد قوس الحاجبين وتضعه للرقي بسهام النظر ، حتى إذا خرجت من
البيت راعلة في هذه الزخارف ، استهوى كل مظفر من مظاهر زيتها
وجماله القلوب ، وجذب الانظار ، وفنن القول . ثم لاتعلمن نفس
الأنسة بمد هذا كله من المظاهر بالجل ، بل تكون أدوات الرينة والزخرفة

محاولة مما في حديثها (١) ، حتى تدرك بين حين وآخر كل مانع أو ضاع من دقائق زيتها .

إن بين مقاصد الاسلام ومقاصد الحضارة الغربية - كما ذكرناه غير مرة فيما سبق - لبوناً بعيداً وفرقاً شامساً جداً ، ويخطئ من يظن انهما من يريد أن يفسر أحكام الاسلام بوجهة نظر الغرب ، ذلك بأن ما عند الغرب من المقياس لأقدار الأشياء وقيمها ، يختلف عنه مقياس الاسلام كل الاختلاف ، فالذي يكبره القرب ويصده غيبة الحياة الانسانية ، هو في عين الاسلام من التواضع والهنات ، وإن ما يهتم به الاسلام وينظم شأنه هو عند الغرب من سقط المتاع . لذلك كل من قال بصحة المقياس الغربي ، فلا بد أن يرى جميع مآقي الاسلام وأجوب الترميم والإصلاح . وإذا مضى يفسر أحكام الاسلام ويشرحها ، جاء بها معرفة عن معانيها ، ثم لم يوفق في تعليقها على الحياة العملية حتى في صورها المرفوعة ، كما يترس سبيله إلى ذلك من أحكام القرآن ونصوص السنة النبوية . غاري؟ بطل هذا الرجل قبل أن ينظر في جزئيات المناهج العملية ، أن يتأمل المقاصد التي قد اتخذت للوصول إليها تلك المناهج ، وينظر هل هي صالحة للقبول أم لا . وإن هو لم يكن يوافق تلك المقاصد نفسها بأي غناء يشهه لبحث في المنهج التي تتعارف لتحقيق تلك المقاصد ، ولأننا يكافئ نفسه مسخ تلك المناهج ونمطها؟ أليس من الأجدر به والأصح له أن يجبر الدين الذي يحظى بمقاصده؟

(١) الشبهة : الوعاء الذي يكون فيه طيب المرأوس فيه من الأشياء - Pursa .

وأما إذا كان يتفق مع تلك المقاصد ، فلا يبقى البحث بعد ذلك إلا فيما يتخذ لتحقيقها من المناهج ، هل هي صحيحة أم لا ؟ وهذا البحث يمكن طيه بكل سهولة ولكن هذه الطريقة لا يتبناها إلا ذوقوا البرودة ولكرهم ، وهم قبايون ! وأما المناقون الذين هم بلبسهم أخبث ما خلق الله في هذا الكون ، فلا يذكروهم إلا أن يدعوا إليهم بشيء ، ويؤمنوا في الحقيقة بشيء آخر !

فبشكل ما لا يزال هؤلاء يتخوضون فيه من المباحث حول الحجاب وانقلب ، هو صدر في الحقيقة عن هذا التفاد ، وقد استندوا كل ما في طائفتهم ووسمهم لإثبات أن هذا الوضع من الحجاب إذا كان رواجبه في أمم الجاهلية قبل الاسلام ، ثم زال هذا الميراث الجاهلي إلى المسلمين في بعض الصور المتأخرة البعيدة عن عهد النبوة . ولماذا يتكلمون هذا البحث والتحقيق التاريخي بأراء النص القرآني الصريح ، والنمل الثالث في عهد النبوة ، وتفسير الصحابة والتابعين لقوم الآية ؟ إنهم يتكلمونه لجرده أنه كان - ولا يزال - نصب أعينهم من مقاصد الحياة ما هو مقبول شائع في الثرب . وأنه قد رسخ في أذهانهم من تصورات الحضارة والرفي ما نزل إليهم من سمائه . ولا كان ليسى الملاذ ولتقلب لا يلائم تلك التصورات بحال من الأحوال ، فقد جازوا بمسول التحقيق التاريخي ، ليهدهوا به ما هو ثابت في شرع الاسلام . وهذا النفاق البين الذي قد تناولوا به هذه هذه المسألة مع غيرها من المسائل ، يرجع في أصله إلى ما سبق أن ذكرناه

فيهم من حجة العقل وفقد الجراعة الخلقية وعدم التمسك بالبدىء . ولولا ذلك ما سوت لهم أنفسهم أن يأتوا بالتاريخ شاهداً على انقراضهم ، مع كونهم يدعون الاسلام وينتمون اليه . بل كانوا أحرىء - لو أرادوا أن يغوا مسلمين - أن يستبدلوا المقدس القرآني بتهمدم هم ، أو يملئوا انصرافهم عن الاسلام الذي يترض سيولهم إلى التقدم والرفق حسب ما يهيمونه من معاني الرقي ا-

إن من يفهم مقاسد الفنون لاسلامي وله مع ذلك حظ من العقل البسيط (Common Sense) ، لا يصعب عليه أن يفهم أن إطلاق الحرية فضاء في الخروج سافرات الوجود يعاكف تلك المقاسد التي هم بها الاسلام كل هذا الاهتمام . وذلك بأن أكثر ما يؤثر في نفس المرء من امرى آخر هو وجهه . وإن لوجهه وانظير الأكر لاجال الخلق والطبيعي في الانسان - فهو أكثر مفاخر الجلال الانساني جذياً لا نظار واستواء^١ نزعته ، فهم هو العامل الاقوى للجاذبية الجنسية بين الصنفين ، ولهم هذه الحقيقة لا تحتاج إلى تصديق في علم النفس ، بل اوضح في ذلك ، إلى ضميرك نفسك تعالجب حكمه ، وإلى عينيك تستغيثها ، وإلى خيالك النفسية تستبسط منها النتائج ، وجنبت نفسك آفة النفاق ، قالت المناق إن رأى حتى وجود الشمس ضاراً بمقاصده ، لم يقرعه في إنكاره بلارة في راجمة النهار ، بل لازم جانباً صدق فن قلت ، لم تعجب بدأ من الاعتراف بأن هذا الجمال الطبيعي الذي قد وضعه الله في وجه الانسان هو أكثر ما يهيمونه الناظر ،

وهو أكبر ملل لتعريك الجنسي (Sex Appeal) . ثم هل رأيت أنك
 إن كنت تريد أن تتزوج بمتعة أردت أن تلقي عليها فترك قيل أن تتزيم
 على الأمر بصفة نهائية، نقل في بالهريك ! إلام تنظرها لتقبلها أو ترفضها؟
 وهب أن لنترك إليها صوريين اثنتين ؛ أولاهما أن تخرج لك الفتاة في كل
 زيتها إلا وجهها . والثانية أن تترك وجهها وحده من فائضة دون سائر
 جسمها . فأي صورة من هاتين تختارها لانتخاب الفتاة لنفسك ؟ احذقي
 بأنه ألا يكون جمال الوجه أثر وأرحح عندك من جمال سائر الجسم؟

وإذا تقررت هذه الحقيقة ، فلتنمض في البحث قدماً . فقول إنه
 إن لم يكن منع الفوضى الجنسية ومنع الهيجان الشهواني المتطرف في المجتمع
 من المقصود للثبوت ، فلتكن المرأة أداً في سحر من الكشف عن ثغرها
 وذراعها وساقها ومضجها ، مع عت وجهها وحده ، كما هو عليه الحال
 في الحضارة الغربية لهذا العهد . ولا حاجة لوضع تلك الحدود والقيود التي
 قد مر ذكرها في مرسوم قانون الحجاب الاسلامي . ولكنه إن كانت
 المقصود هو سد هذا الطوفان ودفع غائلته عن المجتمع ، فأي مستغففة
 أكبر من أن توصد في وجهه صفار المنافذ ويمنع له باب رئيسي كبير؟

ولك أن تسأل في هذا المقدم أنه إن كان الأمر كذلك ؛ فما الاسلام
 يبيح للمرأة أن تكشف وجهها عند الحاجة والضرورة ؛ كما قد ذكرت
 بنفسك فيما مر ؟ فالجواب عليه أن القانون الاسلامي ليس بقانون مائل
 الشك ، متصرف من الاعتدال ؛ بل هو بينا براعي - بحسبان - مصالح

الاخلاق ، رأيي - بالحجب الآخر - ضرور ان الانسان وحده جاته ، ويقم
 بينها الميزان ثالثة التقسط ، انه يريد أن يسد باب العن الخلقية ، ويريد
 مع ذلك أن لا يفرض على الانسان قيودا لا يستطيع مما أن يقضي حوجته
 الحقيقية . وهذا هو السبب لأنه لم يأمر المرأة في وجهها وبديها بثل
 ما أمرها به فيستر المودة ، وخفاء الزينة من الاحكام القاطنة الصريحة .
 ذلك بأن ستر المودة وإخفاء الزينة لا تسهل بقصد حاجات الحياة أبدا .
 ولكن المتداومة على إخفاء الوجه والبدن قد ترهن المرأة من أمر القيام
 بحاجاتها عسرا . من ثم قد قرر الاسلام على وجه العموم أنه تدق
 النساء عليهن من جلايين . ثم أجاز لمن بقوله (إلا ما ظهر منه) أن
 يكشفن عن وجوههن إذا ما قصته الضرورة ، بشرط أن لا يقصد بذلك
 إظهار الجمال . بل يكون المقصود قضاء الحاجة وحده ، وسد سد ذلك
 أبواب التفتة من قبل الرجال بأن أمرهم أن يفضوا من أعضائهم . وذلك
 "نه إن كشفت امرأة عفيفة عن وجهها مضجرة غض الرجال من
 أعضائهم عن النظر إليها ، ولم يصدوا فيها أنظارهم بما لا يليق .

إذ إن أنتم النظر في أحكام الحجاب هذه ، تبين لك أن الحجاب
 الاسلامي ليس ببيء من باب التقاليد الجاهلية بل هو قانون عقلي منطقي .
 إذ أنه التقيد الجاهلي يكون جامدا لا مرونة فيه أبدا . وأما طريقة
 راحت فيه وبأي صورة راحت ، فلا يمكن قط أن تعدل أو تبدل .
 وكل ما قضى فيه بالإخفاء ، فإنه يخفى ويستر في كل زمان ، وعلى كل

حال ، وإن كان دونه هلاك الأنفس وشياع الاعراض ، ولما القنون
 العقلي ، فيكون - على عكس ذلك - لئلاً مرناً ، يميل مع الضرورات
 الحقيقية ، ويتسع لكل من التشديد والتخفيف حسب مقتضى الأحوال .
 وترك في قواعد العامة سور استثنائية لكل الاوضاع والمسايات فلا
 يتبع هذا القانون اتباعاً عاماً - بل يجب لاتباعه الفهم والتمييز . ويكون
 للشع الماقد انهم أن يقضي بنفسه : في أي الأحوال يجب أن يسد
 باقاعدة العامة ، وفي أيها نفسه (الحاجة الحقيقية) من وجهة نظر القانون ،
 فيستع في رخصة الحكم الاستثنائي ، ثم يكون له بنفسه أن يحكم إلى
 أي حد ينبغي أن تمتع بالرخصة في أي المسببات ، وكيف يراعي
 مقصد القانون الرئيسي في أثناء تمتعه بالرخصة ، كل هذه الأمور لا ينبغي
 فيها بالامر الحق إلا " قلب المؤمن الصادق النية والايان " كما قال النبي
 ﷺ : " استعنت قلبك ودمع ماسالك في صدرك " . ومن هذا كله لا يمكن
 أن يتبع الاسلام اتباعاً صحيحاً بالجملة وعدم الشعور . وإقنا هو قانون
 عقلي يستلزم اتباعه الفهم والطفة والمشور عند كل خطوة من خطوات العمل .

أحكام خروج المرأة من البيت

وأخر ما أمر الله به النساء بعد ما وسأهن في اللبس وفي حدود
 العورة ، هو ما يأتي : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » (الأحزاب : ٣٣) « وَلَا يَضْرِبْنَ بَازُجِلِينَ
 لِيُخَالِفُوا بِمَا بَعَثَ فِيهِنَّ مِنْ رَبِّنَّاهُنَّ » (النور : ٣١) « وَلَا تَخْضَعْنَ
 بِالْقَوْلِ فَيَطْمَلَعَنَّ الَّذِي فِي ظَهْرِهِ خُمُرُ » (الأحزاب : ٣٣) . وقد
 اختلفوا في قراءة (وَقَرْنَ) فقد قرأها طائفة قراء المدينة وبعض
 الكوفيين بفتح القاف ومصدره قرار . ومعنى الآية بذلك : التزمْنَ
 بيوتكن واستقررنَّ بها . وقرأها عامة قراء البصرة والكوفة
 (وَقَرْنَ) بكسر القاف ، وهي من قرَّ الرجلُ وقرَّ وقرَّ وقالوا : فمضى
 الآية إداً : عشنَّ في بُيُوتِكُنَّ بالسكينة والوقار . والتبرُّجُ مصباح :
 أحدهما إظهار الزينة والمفاخر . والآخر : التبخُّر والاختيال ، والثاني
 والثاود في المكى . وكلا هذين المشيئين مراد في هذه الآية . وذلك أنَّ
 النساء في الجاهلية الأولى ، كنساء هذه الجاهلية المتعددة ، كن يخرجن
 في أحواد ريتين ويشين مشية من اللال تكاد لا تقع فيها أقدامهنَّ

على الأرض، بل على قلب من ينظر إليها . ويقول التامى والمفسر الشهير
 قتادة بن دعالة : « كانت لمن مشية تكسر وتفتح فتأهت الله عن
 ذلك » . ولتصور كيفية لا تحتاج إلى بيان فأرى ، بل أشهد جلياً
 تحضره أواس من الطراز المصري الأوربي ، تتفلسف لك مشية
 التبرج الذي اعتادته نساء الحداثة الأولى . هي هي التي ينهى عنها
 الإسلام ، ويقول : إن مقام المرأة ومستقرها هو البيت . وما وضعت
 ضمن واجبات خارج البيت إلا « ليلاً لمن » أسبوت بالحكمة والوفاء
 ويؤمن بواجبات الحياة المأثلية . أمّا إن كان من « حاجة إلى الخروج »
 فيجوز لمن أن يخرج من البيت ، بشرط أن يراعى جانب الفقه والحياء .
 فلا يكون في لباسه ريق أو زخرفة أو جاذبية تجذب إلى الانتظار
 ولا في قوسه من حرس على إظهار ريشته ، فيكشف تارة عن وجوهه ،
 وأخرى عن أيديهن ، ولا في مشيته شيء يستهوي القلوب ، ولا يلبس
 كذلك من الحلي ما يجعله وسوسه في السامع ، ولا يرفق أسواته بقصد
 أن يسمها الناس . ثم ، يجوز لمن التكلم في ساحته ، ولكنه
 يجب أن لا يكون في كلامه لين وخضوع ولا في لهجته عذوبة
 وتشويق . كل هذه الضوابط والحدود إن راضتها النساء ، جاز لمن أن
 يخرج من لواحيهن .

هذا في القرآن . وما الآن يرجع إلى السنة المطهرة ، ترى ما الذي
 كانت قرره النبي ﷺ من الطرق لسلوك نساء المسلمين في المجتمع ،

وقفاً لهذا التسليم القرآني ، وكيف عمل به الصحابة والسلف رضي الله عنهم .

الرضعة في خروج النساء لحوائجهن

قد ورد في الحديث أن عمر رضي الله عنه كان يود : قبل أن ينزل الحجاب ، لو أن رسول الله ﷺ يأمر نساءه بالاحتجاب ، وذات مرة خرجت أم المؤمنين سودة رضي الله عنها لبعض حاجتها بالليل ، فرأها عمر بن الخطاب وقال : يا سودة ! أما والله ما تخفين علينا ، فأضري كيف تخرجين . وكان مراده بذلك أن تمنع النساء من الخروج . ولما تركت بعد ذلك آفة الحجاب ، تشط عمر ، ولورداد شدة في نهي النساء عن الخروج ، وحدث لسودة رضي الله عنها مرة أخرى أن خرجت من بيتها ، فصاح بها عمر ، فرجعت إلى النبي ﷺ ، وذكرت ذلك له . فقال : « قد أدن الله لكن أن تخرجين لحوائجكن » . (١)

فيعلم من هذا أنه ليس المراد بحكم (« تَمَرَّنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ») أن لا تخطي النساء عتبة بيتهن أبداً ، بل الأمر أن قد أدن لمن أن تخرجن لحوائجهن . ولكن هذا الإذن ليس بمطلق غير محدود ، ولا هو غير مقيد بشروط . فليس جائزاً للنساء أن يطلن " خارج بيوتهن كما شئن " ،

(١) هذه خلاصة أحاديث متعددة أخرجهما مسلم في باب (إباحة الخروج للنساء) ونساء حجة الإسنان) ، والبخاري في باب (خروج النساء لحوائجهن) ، وباب (آفة الخطاب) .

ويخالط الرجل بحرية في المجلس ولنوادي. وإنما مراد الشرع بالمخالط هو المخالطة الحقيقية التي لا بد منها بالنساء من أن يخرجن من البيوت ويسلن خارجها. ومن الظاهر أنه لا يمكن استبعاد جميع الصور الممكنة لخروج النساء وعدم خروجهن في جميع الأزمان، ولا من الممكن وضع الضوابط والحدود لكي مناسبة من تلك للنسبات. غير أن المرء يستطيع أن يتفطن لروح القانون الاسلامي ورجحانه، إذا نظر فيما قرره النبي ﷺ من الضوابط لخروج المرأة من البيت في عدة أحوال الحياة، وما تناول به حدود الحجاب من الزيادة والنقص بين كثرة وأخرى، وأن يستخرج بنفسه حدود الحجب للأحوال العديدة والشؤون الجزئية، وقواعد الزيادة فيه والنقص منها تيسراً للحالات واللازمات. وهما نحن لسرد فيما يلي بعض المسائل (إيضاحاً للأمر :

اندون في حضور المساجد وحضوره

معلوم بالبداية أن أعظم الفرائض في الاسلام هو الصلاة. وقد جاء في الحديث على حضور المساجد والجمعة ما لا يخفى على أحد. ولكن النساء قد أمرن في باب الصلاة مع الجماعة بعكس ما أمر به الرجال. فأفضل صلاة الرجل هو مابصلته مع الجماعة في المسجد. وأفضل صلاة المرأة مابصلته في أهل خلوة من بيتها. وقد أخرج الامام أحمد والطبراني عن أم حميد الساعدية، قالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: وقد علمت. صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرةك،

وسلاتك في حجرتك خير من سلاتك في دارك ، وولاتك في دارك خير من سلاتك في مسجد قومك ، وولاتك في مسجد قومك خير من سلاتك في مسجد الجماعة (١) . وحديث آخر في مثل هذا الموضع قد أخرجه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال النبي ﷺ « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وولاتها في خدعها أفضل من سلاتها في بيتها » (٢) .

لاظنر تكيف اتب الترتيب في صلاة المرأة . فبينما أحط صلاة الرجل هو ما يصلّي في بيته ، وأفضلها ما يصلّي مع أكبر جماعة في المسجد . إذ أفضل صلاة المرأة سلاتها في أقصى خلوة بيتها . ومثل هذه الصلاة في الخلوة لم تُفعل على صلاة الجماعة بحسب ، بل فُعلت على

(١) إن الصلوة من وراء إمامة المرأة بأن تصلي في أحد خواتمها ، قد تمهينا النساء أكثر من غيرهن . وذلك أن المرأة تتأخر في كل شهر أيام ، تغفل فيها إلى ترك الصلاة . وبذلك يظهر من مالا يحب ذات حياء أن يظهر حق على خواتمها وأخواتها في البيت . وهذا الحياء ربما يحسن على ترك الصلاة ، فأحسن الخارج من هذا ، فأوصاهن أن يصلين في ناحية من الخلوة ، حتى لا يطلع أحد من يصلين ويتركن . ولكن هذا ، على كل ، وصية ، لاحق أو أمر مؤكد . ويحوز للنساء ، ولأرب ، أن يصلين في جماعة في بيوتهن ، ونصي بين امرأة منهن . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آذن لأم ورقة بنت عبد الله بن مسعود أن تصلي بالنساء (ابودود) . وفي سنن البخاري والبيهقي أن عائشة رضي الله عنها صلت بالنساء وقامت في وسط المصلى .

(٢) باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد .

ما ليس وراءه مطمع لمسلم ، وهو صلاة الجماعة في المسجد النبوي خلف النبي ﷺ نفسه . أرأيت ما الطهنة لهذا التمييز بين المرأة والرجل في هذه البداة ؟ البست علته أن النبي ﷺ لم يحب خروج المرأة من بيتها وأراد أن يمنع اختلاط المذكور والإناث في جماعة المسجد .

على أن الصلاة فرصة مقدسة . والمسجد مقام طهارة وسفاه . لذلك جئنا أفصح الشارع بمحاريده من منع اختلاط الجنسين ، عاين لأنواع صلاتهما من التفضيلة وعدم التفضيلة ، لم يمنع النساء على الإطلاق من حضور مقام مطهر كالمسجد ، لعل جالس كالصلاة . وأثبت الكلمات التي قد ورد فيها الإذن لمن في حضور المساجد ، لذلك على محو حكمة الشارع . قال ﷺ : « لا تمنوا إمامة الله مساجده الله . وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا ينهها » . (١) وقال : « لا تمنوا نساءكم المساجد ويوشهن خير لمن » . (٢)

هذه الكلمات صريحة بأنه لا يجب أن الشارع لا يمنع النساء من المساجد ، لأن حضور المساجد للصلاة ليس يأمر مريب ، حتى يحظر ويمنع عنه . ولكن المصالح الاجتماعية لا تقتضي أيضاً أن يحتل الرجال والنساء في جماعات المساجد . لذلك رخص الشارع للنساء في إثبات المساجد ولكنه لم يأمر الرجال أن يستأذنوا نساءهم إلى المساجد أو يجمعوهن

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه ابو داود

مهم إليها . ولما اكتفى ببيان أنهم إن آمنوا لأنفسهم أدنى الدرجة من الصلاة ، وهي التي يصلونها في المسجد ، على أفضل صلاحين في ناحية البيت ، فاستأذنتكم في الأمر ، فلا تمنوهن . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف جيداً روح الشرع . ففهم حكمة الشارع في أقوله هذه جيداً الفهم . فقد جاء في موطأ لأمام مالك أن كانت عائشة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب تنازعه دائماً في هذا الأمر ، كان عمر لا يحب لها أن تحضر المسجد ولكنها تنصر عليه . فكان إذا استأذنته ، يمدد بالأمر الذبوي بدقة ، فيسكت ولا يجيب بنت شقة . كأي من يريد هذا السكوت أن لن آذن لك إلى المسجد . فتقول عائشة : والله لأخرجن ، إلا أن تمنني ، أي تصرف بأسح . ولكنه لا يمنها (١) .

بشروط حضور المساجد

وقد اشترط على النساء في حضورهن إلى المساجد أمور :
أولها أن لا يحضرنها في أحوالهن بل يشتركن في الصلوات التي تصلين في سواد الليل . أي النساء والعجور ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اتلفوا للنساء بالليل إلى المساجد » . (٢) قال فاعبوني ابن

(١) وما كان هذا بمنزلة زوج عمر بن الخطاب وحدها . بل كان كثير من النساء يشارن المسجد لعلتهن مع الجماعة . وأخرج أبو داود أنه ربما كان للنساء معان في المسجد . (باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من أمهاته) .
(٢) أخرجه البيهقي في باب (خروج النساء إلى المساجد) ، وفي هذا معنى حديث أخرجه البخاري في باب (خروج النساء إلى المساجد بالليل والليل) .

حمر : وكانت خضمان أكيل بذلك لكونه أشتد وأخفى . وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يبعثني الصبح فيصرف النساء من الغنيمات بجر وطن ما يهرمن من الغنم (١)

والثاني أن لا يحضرن المساجد متردات ولا متعجلات ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد ، إذ دخلت امرأة من مؤمنة ترقل في زينة لها ، في المسجد ، فقال النبي ﷺ : يا أيها الناس ! أتروا نساءكم عن لبس الزينة ، والبخير في المسجد ؟ (٢) ونهى كذلك عن التطيب . فقال : إذا شهدت إحداكن امرأة ، فلا تشهد معنا تطيب تلك أهيلة . . . وقال : أيما امرأة أصابت بخوراً ، فلا تشهد معنا امرأة . (٣)

والثالث : أن لا تخلط النساء بالرجال في الجماعة ، ولا يسبقن

(١) الترمذي - باب (التطير في الغبر) ، وقد جاءت الحديث في هذا الموضع في البخاري - باب (وقت الغبر) ومسلم - باب (استحباب التكبير بالصبح في أول وقت) ، وابن داود - باب (وقت الصبح) ومسانيد أخرى ، وأيضاً جاء في كتب الأئمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الصحابة كانوا يجلسون بعد الصلاة ويتنصرف النساء ثم يقوم ويصومون .

(٢) ابن ماجه - باب فتنه النساء

(٣) أبو داود - باب خروج النساء إلى المساجد ، ومسلم - باب خروج النساء إلى المساجد ، وابن ماجه - باب فتنه النساء

إلى الصفوف الأمامية . بل يجب أن يثمن خلف صفوف الرجال . قال
 الذي عليه السلام : خير صفوف الرجال أولهم ، وشرها آخرهم ، وخير صفوف
 النساء آخرهن ، وشرها أولهن . (١) وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر
 في صلاة الجماعة ألا يقوم الرجل والمرأة جنباً لجنب ، وإن كان زوجين
 أو أمماً وإبناً . فمن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه ، فأكل منه ، ثم قال : قوموا فليصل بكم . قال أنس :
 فمضت إلى حمير لنا قد أسود من طول ما لبس ، ففشخت بالنساء . فقدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفت عليه أنا واليتيم وراءه ، والسجوز من وراءه . (٢) وعن
 أنس رضي الله عنه في رواية أخرى : قال : صليت أنا واليتيم في بيتنا
 حلف التي عليه السلام ، وأمّي وأم سلمة حمنا . (٣) وعن ابن عباس رضي
 الله عنه ، قال : صليت إلى جنب رسول الله وعائشة خلفت تصلي مناء ،
 وأنا إلى جنب التي عليه السلام أصلي معه . (٤)

ولنسرط الرابع : أن لا ترفع النساء أصواتهن في الصلاة . وأما إذا
 وجب تنبيه الإمام في أثناء الصلاة فالرجال بالتنبيه ولهن التصفيق . (٥)
 ومع كل هذه الحدود والقيود لما حثي عمر ابن الخطاب رضي الله

(١) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وحده

(٢) الرمذي - باب ما جاء في الرجل يسلي معه رجال وساء .

(٣) البخاري - باب المرأة وحدها تكون معاً

(٤) البيهقي - باب طواف الرجال مع النساء

(٥) البخاري - باب التصفيق للنساء

عنه اختلاط النساء والرجال في الجماعة ، خص النساء باباً من أبواب المسجد ، ونهى أن يدخل من بهن^(١).

النساء في الحج

والثاني من الفرائض الاجتماعية بعد الصلاة هو الحج ، وهو واجب على النساء كوجوبه على الرجال . ولكن النساء أمرن أن يصحبن غائلة الرجال في الحظاف ما استعلن . وقد أخرج ابن خزيمة عن عطاء أن النساء كن يظعن بالبيت مع الرجال على المهادني ولكن لا يخالطن الرجال^(٢) . وعن إبراهيم النخعي في فتح الباري ، قال : نهي عمر رضي الله عنه أن يطوف الرجال مع النساء . قال فرأى رجلاً ممن فسر به بالدرية^(٣) ، وفي الموطأ أن عديلة بن عمر رضي الله عنه كان يقدم أهله وسبائنه من الكوفة إلى منى ، حتى بعثوا العبيح بنى ، ويرموا قبل أن يأتي الناس . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي من يثرب ، فلما قيل لها في ذلك ، قالت قد كنت نصنع ذلك مع النبي ﷺ^(٤).

خروج النساء للجهنم والعبرين

ويضي عن البيان ما لحاظ الجملة والميدان من عظمة شأن في الاسلام.

(١) أبو حنيفة : باب ما جاء في اعتزال النساء في المسجد من الرجال .

(٢) البخاري : باب طواف الرجال مع النساء .

(٣) فتح الباري : ج ٣ / ٣١٢ .

(٤) الموطأ : إبراهيم الحج ، باب تدرج النساء والميادين .

ولمظمتها وخطورتها هذه ، قد وضع الشرع عن النساء في أمرها ما اشترط عليهن في سائر لملاوات من حضور جماعة في سواد الليل وحده . فأدين لمن " أت بمحضرة الجمعة واليدين ولا ريب أنهن قد استثنين صراحة من وجوب الجمعة عليهن " (١) ، إلا أنه يجوز لمن أن يحضرن هذه الجماعات إذا التزمين سائر الشروط لاشتراكهن في صلاة الجمعة . وقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ كان بنفسه يخرج نساءه إلى الممسى في اليدين ، فمن أم عطية قالت : إن رسول الله ﷺ كان يخرج الأبقار والوائق ودوات الخدور والحيف في اليدين . فأما الحيف فيحتلن الممسى ويشهدن دعوة المسلمين (٢) . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يخرج بدنه ونساءه في اليدين . (٣) وكان اجتماع النساء في اليدين مستقلا عن اجتماع الرجال ، فكان النبي ﷺ يخرج اليدين ويخطبن بعد أن يفرغ من خطبة الرجال . (٤)

زيارة القبور واتباع الجنائز

إن اتباع جنازة المسلم فرض كفاية في الاسلام ، ولا ينفى على أهل

(١) أبو داود .

(٢) الترمذي : باب خروج النساء في اليدين .

(٣) ابن ماجه : باب ما جاء في خروج النساء في اليدين .

(٤) البخاري وسلم عن ابن عباس ، وأبو داود عن جابر بن عبد الله .

الطيرة ما ورد في الحديث عليه من الاحكام . ولكن كلها لرجال . وأما النساء فقد ثبت عنهن ، وإن لم يكن هذا النبي مشدداً فيه ، ولكن قد رخص لهن في الأمر في بعض الأحيان . على أن أقوال الشارح عليه السلام قيد بوضوح لا ليس فيه أن اتباع النساء للجنائز لا يخلو من مكروه . وقد أخرج البخاري عن أم عطية ، قالت : « ثبتنا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا »^(١) . وقد جاء في سنن ابن ماجه والنسائي أن النبي ﷺ كان في جنازة ، فرأى عمر امرأة ، فمسلح بها . قال النبي ﷺ : ودعها يا عمر ! فإن الدين دأمة وانفس مصابة والهد قريب . ولما المرأة كانت من أقارب الميت ، فثبت جنازته لفرط الحزن ، فأحس ذلك منها النبي ﷺ فنهى عمر عن وجعها .

وقل مثل ذلك في زيارة القبور . إن النساء رقيقات القلوب وذكرى أقاربين الاموات أعلق بنفوسهن . لذا أحب الشارح عليه السلام أن يكتب عواطفهن وأحاسيسهن كبتاء ولكنه صرح مع ذلك أن الإكثار من زيارة القبور يحظو لهن في الاسلام . فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لما رسول الله ﷺ زورات القبور ،^(٢) وأنت عائشة رضي الله عنها قبر أخيهما عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقالت :

(١) البخاري - باب اتباع النساء الجنائز

(٢) الترمذي - باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء . وقد أخرج ابن ماجه مثل هذا الحديث عن ابن عباس وحسان بن ثابت رضي الله عنهما

« لو شهدتك ماررتك » (١) ، وعن أليس بن مالك رضي الله عنه قال : مر
 النبي ﷺ بأمرأة عند قبر وهي تبكي ، فقال : « انني أله وأصيري » (٢) .
 تأمل كل هذه الأحكام التي مرث بك في هذا الباب . إن أصالة
 عبادة مقدسة ، والمسجد مقام ملأه الطهارة والصفاء ، والحج موسم يحضر
 فيه الإنسان بيت الله بالقلب الخالص والطرف المضبوط ، والجنائز
 والقبور كلها تذكر إفراد الموت ، وتثبت في نفسه الشجى والحزن ،
 وفي كل هذه المواقف ، تكون التزعة الجسدية إما مددومة في الانسداد
 أصلاً ، أو يتلب عنها ما هو أزركى وأظهر من المشاعر والحواس .
 ولكن الشرع عليه اسلام لم يرش أن يختلط الرجل والنساء حتى في
 مثل هذه المجالع والمنااسك ، ولئن أدل الحن في الخروج إليها أو أحرج
 بقصه إليها في بعض الأحيان ، نظراً لراحة المقصود وطهارة الموضع
 والمحل ، ورقة مشاعر الجنس الطيف ، فإنه ألزم خروجين بقيد من
 الحجاب . لا تترك لحظة أدنى محل . ثم صرح لجميع تلك العبادات - اللهم
 إلا الحج - أن عدم حضور النساء لها خير وأحسن من حضورها ،
 فكيف تتوقع من القانون الذي ينزع هذه التزعة في أمر خروج المرأة
 تلك الشائز والعبادات أن يميز اختلاط الصنعتين في المدارس والكنيات
 والمكاتب والمساجد والمتزهات والتفرجات ، والمقاهي والمراقص ،
 والمسرح والسينما ؟

(١) الترمذي - باب ما جاء في زيارة القبور لنساء

(٢) البيهقي - باب زيارة القبور -

سُرُود النساء للحرب

أما وقد علمت مواضع الشدة في أحكام الحجاب ، فالتفت الآن إلى مواقع التلين والتسامح فيها ، وتبين الضرورات التي قد سامع الإسلام في تلك الأحكام لأجلها .

يبتلى المسلمون بالحرب ، فتعظم الشدة ويصعب البلاء . وتقتضي الأحوال أن توفر قوة الأمة كلها للدفاع . ففي هذه الحال يبيع الإسلام لنساء الأمة أن يشاركن الرجال في خدمات الحرب . ولكنه يلاحظ - مع ذلك - أن التي قد سلفها الله لأنت تكون أما رؤوماً ، لم تخلق - ولا عك - لضرب الاعناق وإهراق الدماء . فسلحها بالرمح والسيف مسح لقطرتها وطبيعتها . لذلك يتناهى عن السماح لمن الإسلام أن يستعملن أسلحة دقاً عن أنفسهن وأعراضهن ، لا يرضى أبداً استعمالهن للقتال وتجاوزهن في الجندية . ولذا يريد أن يستخدمن في الحرب لخدمات الاسعاف . كسقي المجاهدين ، وطبخ الطعام ، ومداواة المرضى ، وحفظ الرجال . ولأجل هذه الخدمات قد خفف جداً من حدود الحجاب وأجاز للنساء أن يلبسن لأجل القيام بها لباساً ، تلبسه اليوم الراهبات امصريات ، بقليل من التعديل .

وتتضمن الاحاديث على أن أزواج النبي ولساء المسلمين كن يسهبن النبي ﷺ إلى ميدان القتال ، فستين المجاهدين ويدوين الجرحى .

وتبي العمل فيه جبرياً بعد زوال الحجاب أيضاً^(١)، وقد أخرج الترمذي أوت رسول الله ﷺ كان ينزو أيام سليم ولسوء مما من الانصار، يسقين الماء ويدعون الجرحى^(٢)، وفي البخاري أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ادمع الله أن يجعلني بمن يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، فقال: اللهم اجعلها منهم^(٣)، وعن أنس رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، قال: ولقد رأيت ثلاثة بنت أبي بكر وأم سليم، وهن لمشمران أوى خدم سوقهن، تتفلاتن القرب على متونهن، ثم تفرغن في أموال القوم، ثم ترجعان...^(٤)، وأمرأة أخرى أم سليط قد روى فيها عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ نفسه، قال: «ما كنت يوماً ولا شهراً يوماً أحد إلا رأيت أم سليط تقاتل دولي»، وفي هذه الغزوة كانت الريح بنت مموذ وجماعة من النساء تسقي الجرحى وترد القتلى إلى المدينة^(٥)، وفي غزوة حنين رُئيت أم سليم ومما خنجر، فسألها النبي ﷺ: ما هذه الخنجر؟ قالت: اتخذته، إن دعا مني أحد أشركين، بقرت به بطنه^(٦)، وعزت

(١) البخاري - باب حل الرجل امرأة في الغزو

(٢) الترمذي - باب ما جاء في خروج النساء في الغزو

(٣) البخاري - باب غزو المرأة في البحر

(٤) البخاري - باب غزو النساء وتالفن مع الرجال - وسلم - باسم النساء

الغاريات يرضع لهن

(٥) البخاري - باب مدواة النساء الجرحى في الغزو

(٦) مسلم - باب غزوة النساء مع الرجال

أم عطية مع رسول الله ﷺ سبع عزوات . وكانت تغطهن في راحلهم ،
وتصنع لهم الطعام وتدأوي الجرحى وتقوم على المرضى (١) . وكتب ابن
عباس رضي الله عنه إلى نجدة : قد كان رسول الله ﷺ يزور بالنساء
فيداوين الجرحى ، ويحذرن من المنفعة . وأما بهن فلم يضرب لهن (٢) .

ولقد أن تقدّر من كل ما سبق ، أن الحجاب الإسلامي ليس شيء
من باب التقاليد الجاهلية ، التي لا يمكن قط أن يرد فيها أو ينقص منها
للمصالح والضرورات ، بل الحجاب في الإسلام قد يخفف من حدوده
إذا اقتضت الضرورات الحقيقية . وعند ذلك لا يجوز كشف الوجه
واليدين غصب ، بل يجوز كشف جانب من الأعضاء الممدودة في الدورة
أيضاً ، قدر الضرورة . ولكن كما زالت تلك الضرورات ، وجب أن
يرد الحجاب إلى الحدود التي قوت له نامة الأحوال . وكما أن هذا
الحجاب لا يتم بسمة الجاهلية ، كذلك ليس التخصيف منه أيضاً بمثابة
الحرية والاباحية الجاهلية . ولست المرأة المسلمة كالمرأة لاورية التي
خرجت من حدود وطنيتها الطبيعية بضرورات الحرب ، ثم لا انتهت
الحرب وزالت الضرورات ، أبت الرجوع إلى حدودها تلك .

(١) ابن ماجه - باب السيد والنساء يشهدون مع المسلمين .

(٢) مسلم - باب النساء للزنا يرضخ لهن .

خاتمة القول

هذه هي نقطة التصدد والوقف الوسط الذي شد ما تنظر اليه الدنيا
لرقبها وهنائها وسلاحها الخلقى . وهي - كما ذكرت في بدء هذا الكتاب -
لا تزال تحبب ضبط عشاء في قمين منزلة المرأة - أي منزلة النصف
الكامل من كيان العالم الانساني - في التمدن ، منذ آلاف من لسنين .
فتميل قارة إلى الإفراط وأخرى إلى التفريط . وقد أشرت بها هاتان
التزعات المتطرفتان ضرراً قد شهدت به التجارب والمشاهدات ، أما
ما بين هذين الطرفين المتناقضين من الموقف الوسط المتعدل الذي يوافق
القطرة والقل ، ويلائم المصلح لانساية كل الملامة ، فهو الذي قد جاء
به الاسلام . ولكن المؤسف أنه قد قامت في هذا العصر الاحير حواجز
بعضها من وراء بعض ، تحول دون فهم هذا الطريق المستقيم وتقديره
حتى قدره .

أهم هذه الحواجز أن الإنسان في عصرنا هذا قد ابتلي في بصيرته بدهاء
كاليرقان ، وأصيب المستفرون من أهل الشرق بنوع أخوف من هذا
الدهاء اسمه البرقان الأبيض . ومنذرة إلى الاخوان والاصدقاء لصراحتي
هذه . ولكنها حقيقة لا تفكر ، والحقيقة يجب ألا يبع من إعلانها مداراة .

إن من الحق الواقع أنه لم يأت الاسلام بحكم أو مسألة تتخالف الحقائق
 العلمية الثابتة . بل الاصح ان كل ما هو حقيقة علمية في هذه الدنيا ، هو
 عين الاسلام . ولكن هذا الواقع لا ينعصر إلا عين مجردة ترى الأشياء
 بلونها الحقيقي ، لا بلون المنظار ، ولا تتركه إلا نظرة واسعة ترى كل
 أمر من جميع نواحيه لأمن ناحية واحدة ، ولا يقبله إلا قلب رحب
 وعطرة سليمة تسلم بالحقائق كما هي ، وبدل أن تجعلها قايمة " لأهواء
 النفس ونوازعها ، تقبل أهواء النفس قايمة لها . وأما بدون هذه
 الصفات ، فلا يتعد حتى اسم والرفقان مما زخر عبايته واستغاث ،
 ذلك بأن لعين الملوثة أن تبصر شيئاً إلا " بلون المنظار الذي ينشأها ،
 وأن النظرة المحدودة لن تنفذ من المسائل والشؤون إلا " إلى النواحي التي
 تستجبل وجهها . ثم إن الحقائق إن طمست إلى باطن الانسان في صورتها
 الحقيقية ، على الرغم من تلك الموانع كلها ، فهناك ضيق القدرع وأهولج
 الطبع يميل فيها عنه ، ويكرها على أن تخضع لدواعي النفس ، وتطاول
 ميولها وترطتها . وإن هي لم تطاولها ولم تخضع لها ، فبذلك وراء ظهره ،
 مع علمه بأنها حقائق ، ودواح يشج هواء ومن البديهي أنه إذا ابتلي
 الانسان بهذا الداء البلاء ، فلا يهديه شيء من العلم والتجربة والشاهدة
 سواء البعيد ، ومن غير المسكن أبداً لكل هذا المريض أن يسم سكام
 من أحكام الاسلام فيها صحيحاً . لأن الاسلام دين الفطرة . بل هو
 الفطرة بعينها ، ولم يتحذر قيم الاسلام على دنيا الغرب إلا بسبب إساءتها

بهذا الداء . فكل ما عندنا من (العلم)^(١) هو برئته إسلام . ولكن
 يصورها متحول . وإن تلون بصرها هذا قد تدعى إلى القمامة بين الجند
 من أهل الشرق ، فتدعى على أبصارهم ، وأساليب البرقان الأبيض . وعاد
 هذا الداء ينتج هؤلاء أيضاً من استنباط نتائج الصحيحة من الحقائق
 العلمية . ومن النظر إلى مسائل الحياة بالنظر الطبيعي الجرد . فالتدين هم
 مسلمون منهم ، قد يكونون ، بلا ريب مؤمنين بالدين الإسلامي ، معتقدين
 بصدقه غير مستكفين عن اتباعه . ولكن أنى هؤلاء الساكنين أن
 يُجنَّبوا عيوبهم أثر هذا البرقان الذي لا يتطرون به إلى شيء ، إلا وهو
 يظهر لهم على غير حقيقته ، وفي صيغة غير صيغة الطبيعة .

والحاجز الثاني دون الفهم الصحيح ، هو أن الناس إذ مكروا عملة
 في مسألة من مسائل الإسلام لا ينظرون إلى النظام الذي تملق به
 مجموعاً ، بل هم يتناولون ذلك الجزء بيه متفصلاً عن النظام . ويكون
 من نتيجة ذلك أن ذلك الجزء يبدو لهم خالياً من كل حكمة ومصلحة ،
 وتختار أنفسهم في باب أنواع اشكوك . هكذا كان منيهم في مسألة
 الربا ، إذ نظرو إليها منفصلة عن مبادئ الاقتصاد ونظام الماش الذي
 جاء به دين الفطرية الإسلام . جذا لهم كثير من الطاعن والتامز . وعاد
 حتى أكابر أهل العلم يستشرون بصيرة ترميمها وتبويرها على رغم أنف
 مقاصد النسخ . ثم أعيد هذا الخطأ الأساسي في مسألة الرق وتعدد
 (١) المراد بهذا العلم هو علم الحقيقة لا النتائج المستخرجة من النظريات والحقائق .

الزوجات وحقوق الزوجين ، وما شابهها من المسائل . وهذا الخطأ عينه قد تناول مسألة الحجاب أيضاً بضامه . وأنت إن حبست نظرك على عموه واحد من بناء ما بدل أن تنظر إلى البناء بكامله كنت لاريب حرياً بأن تصيب من أمره وتتساءل عن السبب لإقامة ذلك العمود بعينه ، ونرى وجوده هناك خالياً من كل مصلحة ، ولا تقطن للنسابة والتقدير الذي قد عنده المهندس في نصبه هناك لحل البناء ، ولا للضرر الذي يلحق ابناؤه كله إذا هدم ذلك العمود الواحد . فمثل هذا المصود هو الحجاب فإنه إذا فصل عن النظام الاجتماعي الذي هو منصوب فيه نسب عموه في البناء ، مراعاة لضرورة بينها ومناسبة مطروحة ، بحيث على السيوف جميع مصالحه ، ولم يستطع أحد أن يفهم السبب في ضرب الحدود والمصلحة بين الجسدين من النوع الانساني الواحد . لذلك من المحذور لازم لتفهم المرء منصفة العمود ومصلحته أن يصعد النظر إلى كمال البناء الذي هو منصوب فيه .

وهو قد مر بك في المنتجات الماضية حجاب الاسلام الحقيقي . ومر بك أيضاً ذلك النظام الاجتماعي الذي وضعت لأجله قواعد هذا الحجاب ووقفت على جميع أركان هذا النظام ، التي قد ربط بها ركن الحجاب بآزان مرعي ، ثم طالعت تلك الحقائق المالية الثابتة التي قد بني عليها هذا النظام الاجتماعي الكامل . فتأمل هذه كلها ، ثم قل لي : أين ربحه فيها من تطور ؟ وأين تجد فيها أثر الانحراف عن القصد أو عدول أو أي

موضع فيها يمكن أن يقترح له اصلاح من حبة السم والقفل المبرد مع عنق
 ميول طائفة من الناس مخصوصة ليأتوا على وجه البصيرة إن العدل الذي
 تقوم عليه السموات والارض ، والاستواء والاعتدال الذي يتناز به
 نظام هذا الكون ، والتناسب والاتزان التام الذي تراه في تركيب التربة
 ووثافة النظام الشمسي ، هو الذي يقوم عليه هذا النظام الاجتماعي
 وأما ما يشين الاعمال الإنسانية من الإفراط والتفريط والميلت إلى
 جانب دون آخر ، فيخو منه هذا النظام ويبرأ منه . وليس في طائفة
 الانسان آفة يتنازل به بصلاح أو ترميم . ولو أنه عير فيه أدى تغيير
 بإقصاء عقله التافئ فيه ، فإن يسلحه ، بل هو أخرى بأن "يصل"
 بقناسيه ويُفسده !

وإلهف نفسي لا أملك من الوسائل ما أيسر به دعوتي إخواني
 الاسلاميين في أوروبا وأمريكا ولشرق الأقصى ، فزهم لا يزالون
 يفسدون معيشتهم ، لا لئيب سوى كوتهم لم يبتدوا بدلاً إلى نظام صحيح
 مستدل للتمدن ، وقد جبروا إلى الخراب إنما أخرى أيضاً معهم . وليقي
 استطيع أن أدلهم على ماء الحياة الذي هم إليه ظمأ وإن كانوا لا يشعرون
 بظلمتهم . على أن "مواعني" من الهذات والفساد والهوى ، على كتب
 مني ، ومطعمهم يفرجون لتي . فما أنا ذا أدعوهم إلى أن يطهروا عقولهم بما
 وإن عليها من انتصب على الاسلام ، بسب زعيمهم الكارموني والسياسي
 مع المسلمين ، ويظالموا هذا النظام الاجتماعي الاسلامي الذي قد ذكرت

خصائصه كما هي ، في هذا الكتاب ، طابى الحق منتمين له ، ثم
يولوناه بين وبين النظام الاجتماعي الغربي الذي هم ساعون إليه مفتنون
به . فيحكوا لأجل رشاى أو رضى غيري ، بل لأجل مصلحةهم
أنفسهم : أي "الطريقتين يضمن لهم الملاح الحقيقي ؟

وبعد خطابي هذا لقائمة القراء ، أريد أن التفت إلى اخواني الصالحين
الذين يدعون (مسلمين) ، لأقول لهم بضع كلمات :

إن من إخواننا المسلمين الجدد من يسلمون بكل ما مضى بانه في
هذا الكتاب ولكنهم يقولون : إن قوانين الاسلام إذا كانت تتسع لكثير
من الشدة والتخفيف وفقاً لأوضاع المصرة ، ما لا تنكره أنت أيضاً ، فلدي
توخاه - أبناء هذا المصرة - هو أن تمنح بالرخصة في تلك القوانين .
وذلك أن حوال هذا المصرة تقتضي أن يحقف من حدود الحجاب .
والحاجة ماسة إلى أن تخرج ابنت المصلحت إلى المدارس والكلبات ،
ليطلقن تليماً عالياً وتحليل بترصة تؤهلن افهم مسائل الوطن في
قواحي التمدن والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وترشحت لنقض
مشاكل وحل مستلاتها . وبدون ذلك لا بد أن يتخلف مسعون عن
الامم المتطورة لهم ، في ركب الحياة . ويخشى أن يحضرون بذلك في آتني
أيامهم أكثر مما قد خسروه إلى الآن . ثم إن الحقوق السياسية التي قد
قضوا أخيراً بإعطائها للرأى في بلادنا ، إن لم تتأهل سائراً لسلطات
لتمتع بها ، أو لم يتمكن المتم بها اتقود الحجاب وأعماله ، شالت كفة

المسلمين في ميزان اسيااسة الوطنية ، وكفى به من خسران ! وها بين
يديك مثل الامم الراقية في العالم الاسلامي ، كتركيا ويران ، فكنتهم قد
خففت (١) من حدود الحجاب الاسلامي مراعاة لأوضاع هذا العصر ،
طعنا ذلك عليها بقواته لا تنكر ، في بضع سنين وأي ضمير علينا نوثق
في ذلك أمثالهم ، فتجني من فوائده مثل ما نلهم ؟

كل هذه المشافوف والاختطار التي يحذرنا إياها إخواننا ،
نحن نسلم بها جيباً كامياً ، بل أشف إليها شجرة أضفاف أمتنا
إن شئت . ولعلكن أي عناء يشبه ذلك ؟ وهل شيء من تلك
المخاوف مما يجوز لأجيال أن يتناول القانون الاسلامي برسم وتخفيف ؟
إنما منظم ازاء تلك الأخطار كمثل رجل يمشي في وسط نجس وخيم ،
إما واحياً ، لحقته ، أو كارهأ ، لضعفه . فيتمرد عليه السبل بقواعد حفظ
الصحة ، بل يتمسك عليه التمسك بدول أن يتلوث بالقذر في تلك لكونه
من أهل النجس . فواضح أن الرجل في مثل تلك الحال لا يبق له أن
يطالب بإصلاح قواعد الصحة أو التخفيف منها . لأنه إن كان مؤمناً
بصحة تلك القواعد فليبه أن يجارب بيته لأجلها ويظهرها من نجسها . وإن
كان لا يجد في نفسه لقوة والحكمة لمخاربة بيته ، وكان لضعفه قد انهزم
في وجهها ، فليطيق معها ما يشاء ، مرتطلاً في حثائها ، وما المبرر لأن تدل
(١) لم يتولون (قد خففت) على سبيل المثال لا غير . وربما خلق من كلام
منها قد سبخت آية الحجاب نسجاً .

لأجله قوانين الصحة ، أو يحفف منها ، وأما إن كان يتقدحاً أن قوانين
الصحة المعروفة خاطئة ، وكان قد ألم بحسه مأحولة من النجس والفساد ،
موجر في أن يشرح نفسه ما يشاء من نقول ، ويدع قوانين الصحة والصفاء
والطهارة جانباً ، لأنها ما كانت لتسمح لأعواد المثلين بطبعم
إلى القاذورات !

ولاشك أن القانون الاسلامي - كسائر القوانين - يسم لكل من
الشدة والتخفيف باعتبار الأحوال والأوضاع ولكنه كجميع تلك
القوانين ، يُصر على أن ينظر إلى تلك الأحوال بوجهة نظره ووجه
الانصاف لأجل القضاء بتشديد فيه أو تخفيف وأما النظر إلى الأوضاع
والأحوال بوجهة غير وجهته ، ثم المد إلى بنود القانون بانقطع والبر
بقصد التخفيف منها ، لما هو تخفيف ، بل هو تحريف واضح صريح ،
ذلك أن الأوضاع التي ينظر إليها القوم من وجهة نظر الاسلام ، ثم
يطالبون بأن يحفف لأجلها من القانون الاسلامي ، إن تأملنا عاقل من
وجهة نظر الاسلام ، فلا يد أن يحكم بأنها لا تتطلب تخفيفاً في القانون ، بل
مزيداً من الشدة فيه ، فإن القوانين لا تخفف منها إلا إذا كانت مقاصدها
لا تزال تتحقق بسهولة بالوسائل الخارجية الأخرى ، ولم تكن هناك حاجة
إلى زيادة الشدة في التخفيفات. وأما إذا كانت مقصد القانون لا تتحقق
بالوسائل الخارجية ، بل كانت جميع القوى الخارجية قد تأثرت عليها
تضييعها ، وكان حصول تلك المقصد قد عا د متوقفاً على التعديلات

وحدها، فلا يقول بالتخفيف من "لقد نزل" في مثل هذه الظروف إلا من
يهل روحه كل الجهل .

وقد فُسلنا القول نيا سبق من الابواب أن مقصد القانون الاجتماعي
الاسلامي هو حفظ سابط ازواج، ومنع المعوضى الجنسية، وسد المهرجات
الشهوانية غير المتدلة، وتحقيق هذا المقصد قد اتخذ الشرع تدابير ثلاثة:
أو لها إصلاح لا خلاف، والثاني: الحدود واسفوات، والثالث: التدابير الوقائية،
وكان هذه التدابير أركان ثلاثة قد رُفِعَ عليها هذا البناء . وهي إحصاء
وفوتها يتوقف إحصاءه . وفي هدمها هدم البناء كله . فقالوا الآن نلظر
في أحوال بلادنا الحاضرة ، نرى ماذا عساه هذه الاركان الثلاثة من
القوة والإحكام .

خذوا قبل كل شيء ما حولكم من البيئة والوسط المحيط . إنكم
تبعثون في قطر لايزال ثلاثة أرباع سكانه غير مسلمين ، تقصرونكم أنفسكم
في جنهم في التبر والحضر ، تحكمه أمة غير مسلمة ^(١) ، ثم قد طيسته
حضارة أجنبية كالربع الماسفة ، وانتشرت في أسوائه مبادئ الاحلاق
الجاهلية ، وتصورات الحضارة غير الاسلامية ، كالتشاجر، ثم الأوبئة
حتى تسمم بها القضاء ، فأحاطت بك محيطها من كل جانب . وقد آلت

(١) كتب هذا الكتاب في زمان كان شبه دائرة الهدية فيه طغراً واسعاً تحت
حي الانكليز . وكان حين جلا الانكليز من هذه البلاد بوعاد عدد غير المسلمين
في باكستان لايزيد على ١٠٪ من سكانها . إلا أن الحال قد اختلفت تحت حكم المسلمين
المتطرفين من سبي إلى أسوأ .

الحال إلى أن مظاهر الخلاعة والفحش التي كانت تقشعر من تصورها
 حدودكم قبل مدة من الزمن ، قد سع من إيلاتكم لها أن صرتم تنظرون
 إليها كالأعمال العادية . حتى إن سناكم يبرون كل يوم على الصبور
 الخلية في الجرائد والمجلات والإعلانات ، فيستودون التبذل والجهون .
 وإن شيوخكم وشيبتكم وسيبانكم يتفرجون كلهم على الاعلام السيئة التي
 أجذب ما بها المري وأرواح ما بها الخلاعة والحب " الشهوان " ولا يتأثمون !
 وإن أُمراء عائلاتكم بين آباء وأبناء وأمهات وبسات وإخوان وأخوات ،
 يشاهدون كلهم في تلك الاعلام مناظر الخاطلة والمناق والتقبيل ، جالسين
 سمنهم إلى جنب بعض ، ولا يستحيون ! ثم لا تزال أحب أنواع الاغاني
 وأدعاهم إلى الشهوات قذراً المحر في البيت والشارع والمتزهات ، ولا يكاد
 أحد يسلم منها عذميه . هذا والآفات والسيدات من الطبقات المثقفة
 العليا - الأهلوية والأحنية - يستخترن في المهاتي والطرفلات لباس عريان
 شفاف . وقد بلغ من كمود الانظار تلك الأرياء الفاضحة أن لا يشعر
 أحد ما يجري من الوقاحة والخلاعة بها . وإن التصورات الخلقية التي
 لا تزال تنتشر في البلاد بفعل نظام التعليم والتربية الغربي ، قد جعلت
 الكناح في عين الناس عرفاً بالياً قد مضى زمانه ، والفرق طواً وشغلاً ،
 واختلاط الأثافي والله كورثيناً لاسلمن فيه ، بل أمر مستحسن ، والطلاق
 أنوبة ، والمواحيات الإوجية قيداً مستغلاً ، والتوالد والتناسل حقاً
 وسفاهة ، وإطاعة امرأة زوجها ذلاً وعبودية . مما كره إلى المرأة أن
 تكون حليمة زوج ، وحجب إليها أن تظل " خفية عشاق !

ثم انظروا الى آكار هذه البيئة الموحدة في أممكم، فهل يرى في مجتمعكم
من ينقض "بصره" مما لا يحل ؟ وهل في آلاف من أممكم رجل واحد
يتألم من التلذذ برؤية جمال الأجنبيات ؟ وهل ترى بالبن واللسان
لا يرتكب عنفا ؟ وهل نساءكم أيضاً يتجبن تيرج "الجاهلية وإظهار
الزينة وإبداء معاني الجمال ؟ وهل لا تلبس أرواحكم وعاتكم اليوم نفس
اللبس الذي قال النبي ﷺ في لباساته : " نساء كاسيات عيون مملأت
مالاثة "؟ ثم ألتزم زون أخواتكم وبناتكم وأمهاتكم في لباس لا يميز لمسلمة
أن تلبسه إلا زوجها وحده ؟ وهل لا تعكس وتسمع في مجتمعاتكم قصص
الحب والغرام وأحداث الخلاعة والمجون، بدون تخرج ولا حذر ؟ وهل
يزرد الناس في نواديكم عن ذكر أحوال فحورهم ؟ وإذا كان جواب كل
ذلك كلمة "لا" مكبرة مفتخة وكانت الحال على ما هي عليه ، فقد لي
بحق أن تجد ذلك الركن الأساسي للآمن — تطهير الأخلاق — قلبي
بني عليه صرح الاحتجاج الاسلامي ؟ إننا الثيرة الاسلامية قد أمحت من
النفوس الى حد أنه قد أصبحت نساء المسلمات يمشن بأعراسهن لا المسلون
وحدهم ، بل الاجاب من غير المسلمين أيضاً . وليس ذلك واقفاً في
حكومة أجنبية ، بل هو واقع على رؤوس الاشهاد في الولايات المتحدة
المسلمة ، وكل ذلك يمر عليه المسلمون ولا يتحرك في قلوبهم ساكنين . بل
قد وجد فيهم من بلغوا من التلذذ أن أخواتهم أنفسهم تتجسس بأجسامهن
أحد على غير المسلمين ، فتجسوا بذلك وأعلنوا بكل فخر أنهم أصهار

كافى فلافي كبير (١) وهل بقي بعد ذلك درجة من الوفاة والصفاقة
ولا يتدل الخلق يهبط بها المسنون ؟

ولنتوجه بعد ذلك الى الركن الثاني لهذا البناء ، ونستند حاليه . قد
بطل في هذا القطر قانون العقوبات الاسلامي بأكمله . فلا تجري حدود
الزنى والعنفه لافي الهندالبريطانية ولا في الولايات امسلة . وليس هذا
فقط . بل القانون النافذ في القطر الهندي في هذه الآونة لا يبد الزنى
جريمة أصلاً (٢) فان أراد بعض الفساق أن يراد أقسة كريمة عن نفسها ويحمل
على اللطافة والفجور ، فليس بأيديكم من وسائل القانون ما تصونون به كرامتها .
وإن سارع رجل امرأة ثلثاً منبر حق ، عن رضاها وموافقتها ، فلا يمسكم
أن تماثبوه عليه في أي قانون من القوانين . ثم إن عزم امرأة على البغاء
علناً ، فليس عندكم من القوة ما تأخذون به على بدنها . أما القانون فلا
يبد إلا الزنى بالاكراه جريمة . ولكن سبل التماثيل طرفة القانون :
أي صوبه يواجهونها في إثبات الاكراه في الزنى من الجهة القانونية .
وكذلك إضواء المرأة المتزوجة أيضاً جريمة . ولكن سبل المايلين بالقانون
الانكليزي ماذا يكون بأيدي الحكم العاملة بهذا القانون لو أن متزوجة
تتسلل بنفسها وبرساعها إلى بيت رجل أجنبي .

(١) هذا ما وقع في جوهي الهند . وقد ذكر لي بعض الامملاء ما هو أدنى
من ذلك وأمر . وهو أن امرأة مسلمة - بالاسم - في حرم الهند حدث ثرا من
غير المسلمين عنها . فأصابته بقتل علالها ، الآفة به ثروة طائلة . فقام الصديق ، إنه كثيراً ما
راي المسلمين - الجهرانيي . في تلك الواحي يتخطون باقتلاص تلك الثروة الضخمة
من يد غير مسلم إلى (المسلمين) . وانا قد وانا إليه راجعون ؟
(٢) ولا تزال عليه الحال حتى بعد تأسيس دولة باكستان المسلمة .

هذه حالة نظامكم الاجتماعي . قد انهدم من أركانه هذان الركنان
القويان ، فهو قائم على الركن الثالث وحده . فهل تشاؤون أن تهدموا
هذا الركن الباقي أيضاً ؟ إن يجاب منكم تلك المسألة التي قد عددتموها
أثماً ومحجاً ، ومحجاً ، وآخر أن إنشاء الحجاب مناهج الحرب الكامل
الشمول على الأخلاق وعلى النظام الاجتماعي . طمأن أن توازنوا بين هذا
وذاك . إنما لا شك بليتان . ولا بد من اختيار أحدهما فاستفتوا قلوبكم
أي هاتين البليتين أهون شراً وأخف ضرراً ؟

والثاني كان الفصل في الأمر موقوفاً على أوضاع هذا العصر ، فأقول
إن أوضاع بلادنا لا تتطلب تخفيفاً في الحجاب ، بل هي تتطلب مزيداً من
الضيق بأموره . ذلك بأنه قد انهدم ركنان اثنتان من الأركان التي يقوم
عليها نظامكم الاجتماعي ، وديننا الإسلامي ، ثالثاً ، عليه كل الملوك والشمس .
فإن كنتم تريدون حل مسائل التدخين والاقتصاد والسياسة ، طمأن أن
تدبروها وتباحثوا فيها بجمعين . لطمأن تهتدون إلى صور متشابهة لحلولها
في حدود التعاليم الإسلامية . وسكن لا تخشون لأجل ذلك من قوته هذا
الركن الأساسي الوحيد الذي قد بقي على عتبات الحداث والبه ضعف كثير .
وعليكم ، قبل أن تاملوه بالتخفيف ، أن تتمعنوا من القوة والسطوة ما
يطلأ هامة كل شر لاجم . حتى إن كان في المجتمع عتبات اثنتان تحمضان
إلى امرأة قد خرجت من بيتها مسافرة ، كانت فيه في الوقت نفسه « مبعوث
بدأ ، تمتد إليها لتعلمها من محجرتها ! !

الفهرس

المقدمة	٣
ماهي المسألة	٨
أيوغان (١٢) الرومان (١٧) أدربة المسيحية (٢٠) أدربة الجديدة (٢٤) تقصير الفكر الانساني (٣٣)	
موقف المسلم في العصر الجديد	٣٧
السياق التاريخي (٣٨) الميوية الفكرية (٣٩) نشوء مسألة الحجاب (٤١) الحركات الحقبية (٤٢) الخداج الأكبر (٤٤) عايقا في هذا الكتاب (٤٧).	
النظريات	٤٩
تصور الحرية في القرن الثامن عشر (٥٠) تغيرات الأسوال في القرن التاسع عشر (٥٢) مظاهر الارتقاء في القرن العشرين (٥٩) أدب الحركة المائطوسية الجديدة (٦٢).	
النتائج	٦٧
الثورة الصناعية وآثارها (٨١) أزمة الرأسماليين (٦٩) النظام السياسي الديمقراطي (٧٢) الحقائق والشواهد (٧٤) خسر الشعور الخلق (٧٥) كثرة الفواشش (٨٠) طوفان الوفاحة	

وجروح الشبوات (٨٧) أعراض الهلاك القومي الشامل (٨٨)
احتجاج القوى الجسدية (٩١) فساد النظام المائلي (٩٢) وأد
النسل (٩٥) .

١٠٠ مزيد من الأمثلة

تأثير البيئة المبيجة في الأطفال (١٠٠) مرحلة التعليم (١٠٢)
ثلاثة محركات شديدة (١٠٤) كثرة الفواحي (١٠٦)
الأمراض السرية الفتاكة (١٠٨) الطلاق والتفريق (١٠٩)
الانحطاط القومي (١١٢) الحالة في إنسكافا (١١٤) .

١١٨ السؤال الفصيل

المستقرون من أهل الشرق (١١٩) الأدب الجديد (١٢١)
التمدن الجديد (١٢٨) فصل الخطاب مع المستنيرين (١٣٠)
الطائفة الثانية (١٣٢) السؤال الفصيل (١٣٤) .

١٣٧ قوانين الفطرة

تأثير الجاذبية الجنسية في إنشاء التمدن (١٣٩) المسألة
الاساسية لتمدن (١٤٢) .

١٤٤ لوائح المرتبة الصالحة

١ - تمديد الميلاد الجنسي
٢ - تشكيل الأسرة
١٤٤

- ٣ - سد باب الإباحية الجنسية ١٥٧
 ٤ - التدابير اللازمة لمنع الفواحش ١٧٤
 ٥ - الوجه الصحيح للعلاقة بين الزوجين ١٨٠

١٨٥ شهادة علم الوعاة

١٩٩ مظاهر التقصير الإنساني

السبب الحقيقي لهذا التقصير (٢٠٠) بضعة أمثلة (٢٠٠) ميزة
 الاعتدال في قانون الإسلام (٢١١) .

٢١٣ نظام الاجتماع الإسلامي

١ - النظريات الأساسية
 (٢١٥)
 المفهوم الأساسي للرجية (٢١٥) النظرة الحيوانية في الإنسان
 ومقتضاياتها (٢٢٠) الفطرة الانسانية ومقتضاياتها (٢٢٢) .

٢ - الأصول والأركان
 (٢٢٨)
 المحرمات (٢٢٨) تحريم الزنا (٢٢٩) النكاح (٢٢٩) تنظيم
 الأسرة (٢٣٢) قوامية الرجل (٢٣٢) دائرة حمل المرأة
 (٢٣٤) القيود اللازمة (٢٣٧) حقوق المرأة (٢٣٩)
 الحقوق الاقتصادية (٢٤١) الحقوق التمدنية (٢٤٢) تعليم
 المرأة (٢٤٣) تحرير المرأة بالمعنى الصحيح (٢٤٤) .

٣ - التحفظات
 (٢٥٢)
 إصلاح الباطن ٢٥٤

الحياة (٢٥٥) سائمة القلوب (٢٥٧) فتنة التنار (٢٥٨)
فتنة اللسان (٢٥٩) فتنة الصوت (٢٦١) فتنة الطيب (٢٦١)
فتنة العري (٢٦٢) .

قانون العقوبات
حد الزنى (٢٦٤) حد القذف (٢٦٨) .

التدابير الوقائية
أحكام اللباس وستر المورات (٢٦٩) حدود المورة للرجال
(٢٧١) حدود المورة للنساء (٢٧٢) الاستئذان (٢٧٤)
منع الخلو واللس (٢٧٦) الفرق بين محارم المرأة وغيرهم (٢٧٨)

٢٨٠ أحكام المعجاف
نقض البصر (٢٨٢) منع ابتداء الزينة وحدودها (٢٨٩)
حكم الوجه (٣٠٠) القناع (٣٠٣) .

٣١٢ أحكام خروج المرأة من البيت
الرخصة في خروج النساء لحوائجهن (٣١٤) الإذن في حضور
المساجد وحدوده (٣١٥) شروط حضور المساجد (٣١٨)
النساء في الحج (٣٢١) خروج النساء للحجمة واليدين (٣٢١)
زيارة القبور وإتيان الجنائز (٣٢٢) شهود النساء للحرب (٣٢٥)

٣٢٨ طائفة القول